روائع الخطب المنبرية

(القسم الأول)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

روائع الخطب المنبرية
للجمع والأعياد والمناسبات الدينية
(القسم الأول)

جمع وإعداد

الفقيه إلى عفو الملك القدير

إبراهيم يحيى عبد الله الدرسي وفقه الله وثبته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (المنشور في دار الفقه) جليل القدر (الدين) بن عمارة حاشية (الكتاب)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

تم الصف والإخراج بمركز الإمام المنصور بالله عليه السلام

اليسن - صعدة - الحنرات

١٤٤٢هـ، ٢٠٢١م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أمدنا بالنعمة، وأمتن علينا بالإحسان والكرم، نحمده على ما أوهب وأعطى، وله الشكر على ما قدر وقضى.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ند له ولا شبيهه.
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المصطفى لتبليغ الرسالة، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد:

فقد طلب مني بعض الإخوان الكرام، أن أجمع بعض الخطب التي كنت ألقيتها في الجمع والأعياد والمناسبات، فأجبتهم إلى ما طلب، طلباً للثواب من الكريم الوهاب، وللنفع للإخوان وغيرهم من الخطباء والطلاب.
مع أن تلك الخطب قد ضلّ مني أكثرها وضاع، وبعضها كنت ألقيتها ارتجالاً، وبعضها كانت مسجلة في أشرطة الكاسيت، أو في ذاكرة الجوال، فجمعت منها ما تمكنت من جمعه، وجعلته على قسمين:

القسم الأول: فيما يختص بالمناسبات والأحداث الواقعة في كل شهر من شهور السنة.

والقسم الثاني: في خطب المواعظ والأخلاق وغيرها.

والقسم الثالث: في المستدرك من الخطب التي لم تجمع سابقاً في أي القسمين.

وما تبقى فبصدد جمعه وترتيبه إن شاء الله تعالى في القسم الرابع.

والخطب التي قد ألقيتها كثيرة العدد، فإني بحمد الله تعالى - وتحدثاً بنعمته - ابتدأت الخطابة في الجامع الكبير بالحمزات، عام ١٤١٦هـ، وبقيت خطيباً فيه، إلى عام ١٤٢٨هـ، على انقطاع في بعض الجمع، إما لسفر أو وجود أحد من الإخوان يقوم بالنيابة، أو تقديم عالم أو ضيف مؤهل للخطابة، ثم حصلت أمور وأحداث

اضطرتني لترك الخطابة في ذلك الجامع بالكلية، بسبب مضايقات واعتراضات وعداءات ومنافسات من قِبَلِ عدة جهات، إما من حاسد، أو معاند، أو حاقد، وكان آخر خطبة خطبتها بعد وفاة مولانا الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي صلوات ربي وسلامه عليه، في ١٠ من رمضان عام ١٤٢٨هـ، الذي كانت أكثر العداوات تنصَّبُ إليّ بسبب الإلتناء إليه، والإعتزاء في الجمعة إليه، بل والتصريح بذكر اسمه في الخطبة.

ثم هياً الله تعالى بالإننتقال من ذلك الجامع، وقمنا بمعونة الله تعالى ببناء جامع المجد بالحسينية بالحمزات، الذي أصبح هو المسجد الجامع، وأسسهُ المولى العلامة الحجة محمد بن عبد العظيم الحوئي، ووافق وبارك خطة بناءه المولى العلامة المجتهد عبد الرحمن بن حسين شايمة المؤيدي، والمولى العلامة شرف الإسلام الحسين بن يحيى الحوئي رحمهما الله تعالى، والسيد العلامة قاسم بن صلاح عامر حفظه الله، وغيرهم من العلماء الأعلام، ثم أصبح بحمد الله ومَنِّه مجمَعاً لأتباع العلماء، والمنتهجين نهج المولى الإمام الحجة مجدالدين المؤيدي، وقمت بالخطابة فيه برهة من الزمان، ولا زلت أعتاد الخطابة فيه في بعض الأحيان، ويقوم كوكبة من الطلبة المخلصين في الأوقات الأخرى. فجمعت من تلك الخطب السابقة ما تيسر جمعه، وتمكنت منه، وسيتم إلحاق البقية إن شاء الله تعالى.

علماً أن الكتب في الخطب قد تعددت، وأساليب الخطباء فيها قد تنوعت، ولكل خطيب أسلوبه وطريقته، ولكن يمتاز هذا المجموع المبارك بأنه منسق على حسب الأحداث والمناسبات والذكريات الهامة الحاصلة في كل شهر من شهور السنة، مع وضع الخطب الوعظية المناسبة واللائقة بتلك الأشهر، كشهر المحرم وربيع الأول ورجب ورمضان والحجة، على اختلاف العبادات، وتنوع الطاعات فيها، لكل شهر بما يصلح له، ويحسن أن يكون فيه، ويهتم به.

وقد جعلت للصلاة على النبي وآله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين عدة صيغ، وجعلتها في آخر الكتاب، اختصاراً لحجم الكتاب، وسلامة من التكرير لها في آخر الخطبة الثانية، فالخطيب يختار الصيغة التي يحبها أو تروق له، أو ينوع الصيغ في كل جمعة صيغة غير التي في الأولى.

تنبيه: هذه الخطب المباركة تصلح أن تلقى على شكل محاضرات، أو دروس في المساجد والمناسبات، بأن يحذف آخر الخطبة الأولى وتوصل الثانية بالأولى، أو بأن يغير الخطيب أو المتكلم بعض الألفاظ والعبارات، أو يختصر منها على حسب تمكنه ومقدرته.

وأسأل الله أن يجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم، سالماً من كل محبط وداء سقيم، وأستمد الدعاء من جميع الإخوان لي ولوالدي ولأولادي وأهلي ومشائخي في الدين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الأكرمين.

الأول:

الخطب المتعلقة بشهر

محرم

١ - في أول السنة الهجرية حول محاسبة النفس

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَهْلِ الْحَمْدِ وَالْتِنَاءِ، وَرَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَخَالِقِ الْخَلْقِ وَالْأَنْامِ، وَمُدَبِّرِ
الْيَلِيَّ وَالْأَيَّامِ، وَمَقْدِّرِ السِّنِينَ وَالْأَعْوَامِ، الَّذِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَتُهُ، وَأَبْدَعَتْ كُلَّ
خَلْقٍ حِكْمَتُهُ، وَقَهَرَ كُلَّ ذِي سُلْطَانٍ سُلْطَانَهُ، وَبَهَرَ كُلَّ بُرْهَانَ بُرْهَانَهُ.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً أَوْجَبَهَا حُكْمُ الْمِلَّةِ، وَكَلِمَةً
صَدَّقَهَا وَاضِحُ الْأَدِلَّةِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْأَمِينُ الْمَيْمُونُ، أُرْسِلَهُ هَادِيًا
لِخَلْقِهِ، وَدَاعِيًا إِلَى حَقِّهِ، فَأَدَّى الرَّسَالَهَ، وَأَقَامَ الدَّلَالَهَ، وَدَعَا إِلَى دَارِ النِّعَمِ، وَهَدَى
إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْأَبْرَارِ، وَعِزَّتِهِ الْأَطْهَارِ.
أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

هَا نَحْنُ نَعِيشُ فِي أَوَّلِ جُمُعَةٍ مِنْ هَذَا الْعَامِ الْجَدِيدِ، وَقَبْلَ أَيَّامٍ وَدَعْنَا عَامًا كَامِلًا
حِينَ دَنَى رَحِيلُهُ، وَهَا نَحْنُ نَبْدَأُ فِي عَامٍ جَدِيدٍ، فَكَأَنَّنَا بِخُرُوجِ عَامٍ وَدُخُولِ آخَرَ نَعْبُرُ
جِسْرًا أَوْ قُنْطَرَةً لِنَنْتَقِلَ مِنْ مَرَحَلَةٍ إِلَى أُخْرَى، وَمِنْ مَنْطِقَةٍ إِلَى مَنْطِقَةٍ، فَنَحْنُ بَيْنَ
خَطَوَتَيْنِ، خَطْوَةٍ تُودِّعُ بِهَا، وَأُخْرَى نَسْتَقْبِلُ بِهَا، فَهَذَا نَحْنُ نَقِفُ مُودِّعِينَ وَمُسْتَقْبِلِينَ،
مُودِّعِينَ عَامًا كَامِلًا قَدْ أودَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِمَّا فِيهِ مَا أودَعَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَخَزَائِنُ
بَعْضِنَا مَلَأَتْ بِمَا هُوَ لَهُ، وَخَزَائِنُ بَعْضِنَا مَلَأَتْ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ، كَمَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:
{يُعَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ}، وَكَمَا يَقُولُ
تَعَالَى: {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}.

فَهَا هُوَ عَامُنَا الْمَاضِي قَدْ طَوَى بِسَاطِ أَيَّامِهِ، وَقَوَّضَ أَرْكَانَ خِيَامِهِ، وَشَدَّ رِحَالَهُ،
عَامٌ كَامِلٌ مِنْ أَعْمَارِنَا، تَصَرَّمَتْ أَيَّامُهُ، وَتَفَرَّقَتْ أَوْصَالُهُ، وَقَدْ حَوَى فِي ثَنَائِيهِ حِكْمًا

وَعِبْرًا، وَأَحْدَاثًا وَعِظَاتًا بَلِيغَةً، وَتَصَرُّمُ الْأَعْوَامِ يُقَرِّبُ مِنَ السَّاعَةِ، كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الْآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَعَدَا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ).

نَسِيرٌ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
وَأَعْمَارُنَا تُطَوَى وَهِنَّ مَرَا حِلٌ
تَرَحَّلُ مِنَ الدُّنْيَا بَزَادٍ مِنَ التُّقَى
فَعُمْرُكَ أَيَّامٌ وَهِنَّ قَلَائِلٌ

انتهى هذا العام بأحداثه، بأفراحه وأتراحه، فما أسرع ما مضى وانقضى، وما أعظم ما حوى، فكَمْ شَقِيٍّ فِيهِ أَنَسٌ، وَكَمْ سَعِدَ فِيهِ آخِرُونَ؟ كَمْ مِّنْ دَارٍ فَرِحَتْ بِمَوْلُودٍ، وَأُخْرَى عَزِيَّتْ بِمَقْمُودٍ، كَمْ مِنْ طِفْلِ فِيهِ تَيْتَمٌ، وَكَمْ مِنْ امْرَأَةٍ فِيهِ تَرَمَلَتْ، وَكَمْ مِّنْ مَّرِيضٍ تَعَافَى، وَسَلِيمٍ فِي الثَّرَابِ تَوَارَى، كَمْ مِّنْ أَهْلِ بَيْتٍ شَبِعُوا مَيْتًا لَهُمْ، وَآخِرُونَ يُزْفُونَ عَرُوسَهُمْ، كَمْ مِنْ آلَامٍ انْقَلَبَتْ فِيهِ أَفْرَاحًا، وَأَفْرَاحٍ انْقَلَبَتْ فِيهِ أَتْرَاحًا، وَكَمْ مِّنْ حَيِّبٍ فَارَقْنَا، وَكَمْ مِّنْ اخْتِيَارٍ وَبَلَاءٍ وَاجْهَنَّا، وَكَمْ مِّنْ سَيِّئَاتٍ اجْتَرَحْنَا، وَكَمْ مِّنْ عَزِيزٍ أَمَسَى فِيهِ ذَلِيلًا، وَكَمْ مِّنْ غَنِيٍّ أَصْبَحَ فِيهِ فَقِيرًا، وَكَمْ مِنْ حَوَادِثٍ عِظَامٍ مَرَّتْ بِنَا، وَلَكِنْ أَيْنَ الْمُعْتَبِرُونَ وَالْمَتَّعِطُونَ؟!، وَأَيْنَ النَّاطِرُونَ وَالْمُهَفِّكُونَ؟!، أَيَّامٌ تَمُرُّ عَلَى أَصْحَابِهَا كَالْأَعْوَامِ، وَأَعْوَامٌ تَمُرُّ عَلَى أَصْحَابِهَا كَالْأَيَّامِ، أُمُورٌ تَتَابَعُ، وَأَحْوَالٌ تَتَعَيَّرُ وَتَتَمَانَعُ، تَزِيدُ الْعَاقِلَ عِظَةً وَعِبْرَةً، وَتُنْبِئُ الْجَاهِلَ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلَةِ، وَمَنْ لَمْ يَعْتَبِرْ بِمَا يَجْرِي حَوْلَهُ، فَقَدْ غَبَرَ نَفْسَهُ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

تَحْتَلِفُ أَحْوَالُ النَّاسِ فِي انْسِلَاحِ الْعَامِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَفْرَحُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْزَنُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَدْرِي أَخْرَجَ عَامٌ أَمْ لَا؟ فَمَنْ كَانَ يَتَرَقَّبُ مَنَفَعَةً أَوْ مَصْلَحَةً دُنْيَوِيَّةً مُسْتَقْبَلَةً يَفْرَحُ بِمُرُورِ عَامٍ، لِأَنَّهُ يَقْتَرِبُ مِنْ حَاجَتِهِ وَمَنْفَعَتِهِ، وَمَنْ كَانَ يَتَرَقَّبُ أَوْ يَنْتَظِرُ سُوءًا أَوْ شَرًّا أَوْ ضَرَرًا تَرَاهُ يَحْزَنُ لِأَقْتِرَابِ الشَّيْءِ الْمُخَوِّفِ مِنْهُ، وَلَكِنْ أَفْرَاحُنَا وَأَحْزَانُنَا كُلُّهَا

تَنَجَّهْ فِي اتِّجَاهِ وَاحِدٍ، وَتَصُبُّ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ النَّظَرُ إِلَى الدُّنْيَا، فَجَعَلْنَا أَفْرَاحَنَا وَأَحْزَانَنَا مِنْ أَجْلِهَا، وَنَحْنُ فِي عَقْلَةٍ عَظِيمَةٍ عَنِ الْفَرَحِ أَوْ الْحُزَنِ مِنْ أَجْلِ الْمُقْصَدِ الْأَسْمَى وَهُوَ الْمُقْصَدُ الْآخِرِيُّ، فَمَنْ يَفْرَحُ بِقَطْعِ الْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ دُونَ اعْتِبَارِ وَحِسَابِ لِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْعَقْلَةِ الْعَظِيمَةِ.

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نَقَطُهَا
وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يُدْنِي مِنَ الْأَجَلِ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُجْتَهِدًا
فَإِنَّمَا الرِّيحُ وَالْخُسْرَانُ فِي الْعَمَلِ
فَالْعَاقِلُ مِنْ اعْتَبَرَ بِالْأَمْسِ الْمَاضِي، وَجَدَّ وَاجْتَهَدَ فِي الْيَوْمِ الْحَالِي، وَاسْتَعَدَّ لِيَعْمَلَ فِي الْعَدِ الْآتِي.

أبيها المؤمنون:

إِنَّ اللَّيَالِيَّ وَالْأَيَّامَ تُبْلِي الْجَدِيدَ، وَتُقَرِّبُ الْبَعِيدَ، فَهِيَ خَزَائِنُ الْأَعْمَالِ، وَمَرَاحِلُ الْأَعْمَارِ، فَانظُرْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ فِي صَحَائِفِ أَيَّامِكَ الَّتِي مَضَتْ، مَاذَا قَدَّمْتَ فِيهَا لِأَخْرَجَتِكَ، وَاحْتَلِ بِنَفْسِكَ وَحَاسِبِهَا، عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنْ أَعْمَالِهَا، وَخُذْ بِرِمَامِ نَفْسِكَ وَضَيِّقْ خِنَافَهَا، وَسَأَلِهَا مُسْأَلَةَ التَّحْقِيقِ، وَحَاسِبِهَا مُحَاسَبَةَ الشَّرِيكِ.

انظُرْ فِي مَاذَا تَكَلَّمَ اللِّسَانُ، وَرَأَتْ الْعَيْنَانِ، وَسَمِعَتْ الْأُذُنَانِ؟، وَإِلَى أَيْنَ مَشَتْ الْقَدَمَانِ؟، وَبِمَنْ بَطَشَتْ الْيَدَانِ؟، حَاسِبِ نَفْسَكَ عَلَى إِهْمَالِ وَتَضْيِيعِ الْفَرَائِضِ وَالْوَاجِبَاتِ، وَعَلَى ارْتِكَابِ الْمَحْرَمَاتِ وَالْمَنْهِيَّاتِ، حَاسِبِ نَفْسَكَ عَلَى الْعَقَلَاتِ، وَتَضْيِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَقَوَاتِ الشُّهُورِ وَالْأَسَابِيعِ وَالسَّاعَاتِ، فَإِنَّ اللَّيْلَ وَالتَّهَارَ مَطِيئَانِ، يُبَاعِدَانِ مِنَ الدُّنْيَا وَيُقَرِّبَانِ مِنَ الْآخِرَةِ، وَيُحْتَانِ بِنَا السَّيْرِ إِلَى الْآخِرَةِ.

فَطُوبَى لِعَبْدٍ انْتَفَعَ بِوَقْتِهِ، وَحَرِصَ عَلَى عُمْرِهِ، فَاسْتَقْبَلَ عَامَهُ الْجَدِيدَ بِمَحَاسَبَةِ نَفْسِهِ، فَتَحَسَّرَ وَنَدِمَ عَلَى تَفْرِيطِهِ فِيمَا مَضَى، وَتَابَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَزَمَ عَلَى الْهُدَى، وَجَعَلَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ)) نَصَبَ عَيْنِيهِ، وَحَرِصَ عَلَى كُلِّ أَوْقَاتِ عُمْرِهِ إِلَّا تَفُوتَ إِلَّا

فِي خَيْرٍ وَعَمَلٍ حَسَنٍ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ((خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ))، وطوبى لمن استعانَ بالله تعالى بالدعاء والتضرع، وهو يدعو بدعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ((اللهم اجعل الحياةَ زيادةً لي في كُلِّ خيرٍ، والموتَ راحةً لي من كُلِّ شرٍّ)).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: تَتَجَدَّدُ الْأَعْوَامُ فنقول في أنفسنا: إِنَّ أَمَامَنَا عَامًا جَدِيدًا وَنَرَاهُ طَوِيلًا، نُؤْمَلُ فِيهِ آمَالًا، وَنُبَوِي فِيهِ أَعْمَالًا، وَلَكِنْ سُرْعَانَ مَا يَنْقُضِي قَبْلَ أَنْ نَحْصُلَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَلَا نَحْنُ اسْتَفْدْنَا فِي الدُّنْيَا، وَلَا نَحْنُ عَمِلْنَا لِلْآخِرَةِ، فَلَا ذَا تَأْتِي وَلَا ذَا حَصَلَ. فعلينا أَنْ نَقِفَ مَعَ أَنْفُسِنَا مَوْقِفَ الصِّدْقِ وَالصِّرَاحَةِ، وَأَنْ نُحَاسِبَهَا قَبْلَ أَنْ نُحَاسِبَ، وَأَنْ نَرِنَ أَعْمَالَنَا قَبْلَ أَنْ نُوزَنَ، فَإِذَا كَانَ أَصْحَابُ رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَأَرْبَابُ الدُّنْيَا يَجْعَلُونَ الْحَاسِبَةَ وَالتَّدْقِيقَ وَالْمَرَاجِعَةَ مِنْ أَهَمِّ الْمَرَاكِحِ الْإِدَارِيَّةِ، لِتَسْتَمِرَّ أَعْمَالُهُمْ وَتَسِيرَ إِلَى الْأَحْسَنِ وَالْأَفْضَلِ، فَإِذَا وَجَدُوا خَلَلًا سَدُّوهُ، أَوْ فَسَادًا أَصْلَحُوهُ، فَيَجْعَلُونَ الْحَاسِبَةَ وَسَبِيلَهُ إِلَى بِنَاءِ أَعْمَالِهِمْ وَتَرْقِيَّتِهَا إِلَى الْأَحْسَنِ، فَبِدُونِ الْحَاسِبَةِ تَكُونُ مَصَالِحُهُمْ عُرْضَةً لِلْفَشْلِ وَالزَّوَالِ، هَذَا فِي إِدَارَةِ الشُّؤُونِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَمَا بِاللُّكُ - أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْمَسْكِينُ الضَّعِيفُ - وَأَنْتَ تَقْطَعُ مَرَاكِحَ حَيَاتِكَ لِلِقَاءِ رَبِّكَ، كَيْفَ سَيَكُونُ ذَلِكَ اللَّقَاءُ إِذَا لَمْ تَكُنْ مُنْتَسِقًا مُعَدًّا لَهُ أَحْسَنَ إِعْدَادٍ، لِأَنَّهُ نَتِيجَةُ نَهَائِيَّةٍ، فَإِمَّا فَوْزٌ وَنَجَاةٌ، وَإِمَّا خَسَارَةٌ وَعَذَابٌ.

وَقَفَّيْ اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُرْضِيهِ، وَجَنَّبْنَا مَعَاصِيهِ، وَجَعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، وَغَفَرَ لَنَا سَالِفَ آثَامِنَا فِيمَا خَلَا مِنْ أَعْمَارِنَا، وَعَصَمَنَا فِي بَقِيَّةِ أَيَّامِ دَهْرِنَا، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤} } أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِوَالِدَيْنَا وَوَالِدَيْكُمْ، وَلِكَافَّةِ إِخْوَانِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله نحمدهُ ونستعينه، ونؤمنُ به، ونتوكلُ عليه، حمداً يكونُ أرضى الحمدِ له،
وأتمَّ الحمدِ لديه.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له، إلهاً واحداً، فرداً صمداً، ليسَ له نِدٌّ
ولا شبيهة.

وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ المصطفى، ورسوله المجتبي، صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليه وعلى
آله الهداةِ لدينه

أما بعدُ: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ
مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}، فَقَدْ أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى بِأَنْ نُحَاسِبَ
أَنْفُسَنَا، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَمَعَنَ النَّظَرَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَتَأَمَّلَهَا تَأْمُلًا صَحِيحًا، كَانَ ذَلِكَ
كَافِيًا بِأَنْ يُوقِظَ الْإِنْسَانَ مِنْ غَفْلَتِهِ، وَيُنَبِّهَهُ عَلَى مَوَاضِعِ الضَّعْفِ عِنْدَهُ، وَأَمَاكِنِ النِّقْصِ
فِيهِ، وَمَوَاضِعِ التَّقْصِيرِ لَدَيْهِ، لِأَنَّ التَّأْمُلَ وَالتَّفَكُّرَ يَفْتَحُ أَمَامَ الْإِنْسَانِ صَفْحَةَ أَعْمَالِهِ
الْيَوْمِيَّةِ، بَلْ صَفْحَاتِ حَيَاتِهِ كُلِّهَا، وَيَمُدُّ بِبَصَرِهِ فِي سَطُورِهَا كُلِّهَا لِيَتَأْمَّلَهَا، وَيَنْظُرَ رَصِيدَ
حِسَابِهِ جُمْلًا وَتَفْصِيلًا، لِيَنْظُرَ مَاذَا قَدَّمَ لِغَدِهِ فِي صَفْحَاتِ هَذِهِ الْحَيَاةِ، كَيْفَمَا أَسْلَفَ
مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَإِنْ كَانَ قَدْ تَعَبَّ وَاجْتَهَدَ فِي الْخَيْرِ فَهُوَ حَاقٌّ لَهُ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ، وَإِنْ
كَانَ فِي الشَّرِّ فَهُوَ تَنْبِيهُ لَهُ عَلَى التَّوْبَةِ وَتَرْكِ الْإِصْرَارِ، فَإِذَا كَانَ رَصِيدُهُ مِنَ الْخَيْرِ قَلِيلًا
كَثْرَهُ، وَإِذَا كَانَ رَصِيدُهُ مِنَ الشَّرِّ كَثِيرًا أَصْلَحَهُ؟! فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَمَسَةُ إِيمَانِيَّةٍ لَا يَنَامُ
بَعْدَهَا الْقَلْبُ السَّلِيمُ أَبَدًا، وَلَا يَكْفُ عَنْ النَّظْرِ وَالْحَاسِبَةِ.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ الْحَاسِبَةَ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ يَقُولُ فِي وَصْفِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
يُحَاسِبُونَ أَنْفُسَهُمْ عِنْدَ الزَّلَّةِ وَالتَّقْصِيرِ، وَيَرْجِعُونَ سَرِيعًا عَمَّا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ الْخَطَا: {إِنَّ
الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ}، وَكَمَا رَوَى

عن الحسن البصري في تفسير قول الله تعالى: {وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} قال: لا يُلقى المؤمن إلا يُعَاتِبُ نفسه: مَاذَا أَرَدْتُ بِكَلِمَتِي؟ مَاذَا أَرَدْتُ بِأَكْلَتِي؟ مَاذَا أَرَدْتُ بِشَرَّتِي؟ والفاجرُ يمضي قُدماً لا يُعَاتِبُ نفسه.

وقال الحسنُ البصريُّ: المؤمنُ قَوَّامٌ على نفسه يُحَاسِبُهَا لله، وَإِنَّمَا خَفَّ الحِسَابُ يَوْمَ القيَامَةِ على قَوْمٍ حَاسِبُوا أَنفُسَهُمْ في الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا شَقَّ الحِسَابُ يَوْمَ القيَامَةِ على قَوْمٍ أَخَذُوا هذا الأمرَ من غيرِ مُحَاسَبَةٍ.

وقال بعضُ الصَّالحينَ: لا يكونُ العبدُ مِنَ المتقينَ حَتَّى يُحَاسِبَ نفسه أَشَدَّ من مُحَاسَبَةِ شَرِيكِهِ.

فالمُحَاسَبَةُ: مَعْنَاهَا: أَنْ يتصَفَّحَ الإنسانُ في ليلِهِ مَا صَدَرَ من أفعَالِهِ في النهارِ، وفي نَهَارِهِ مَا صَدَرَ منه في الليلِ، فَإِن كَانَ مُحْمُوداً أَمْضَاهُ، وَأَتْبَعَهُ بِمَا شَاكَلَهُ وَضَاهَاهُ، وَإِن كَانَ مَذْمُوماً استدرَكُهُ إِنْ أَمَكَنَ، وانتهى عن مثله في المُسْتَقْبَلِ.

ومن المُحَاسَبَةِ أيضاً: التَثَبُّتُ في جميع الأحوالِ قبلَ الفعلِ والتركِ مِنَ العقدِ بالضَّميرِ، أو الفعلِ بالجَارِحَةِ؛ حتى يتبينَ لَكَ مَا تَفْعَلُ وَمَا تَتْرُكُ، فَإِن تَبَيَّنَ لَهُ مَا كَرِهَ اللهُ تَرَكَهُ وَجَانِبَهُ بِعَقْدِ ضَمِيرِ قَلْبِهِ، وَكَفَّ جَوَارِحَهُ عَمَّا كَرِهَهُ اللهُ، وَمَنَعَ نَفْسَهُ من تركِ الفرضِ، وسَارَعَ إلى أدائِهِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: إِنَّ لِحَاسِبَةِ النَّفْسِ فَوَائِدَ كَثِيرَةً، تَعُودُ على الإنسانِ بالخيرِ في دينِهِ ودُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ:

فمنها: معرفةُ الإنسانِ بقدرِ نَفْسِهِ، من حيثُ الإطْلَاعِ على عُيُوبِ النَّفْسِ ونقائِصِهَا، فمن اطلَعَ على عُيُوبِ نَفْسِهِ، نَزَلَ نَفْسُهُ المنزِلَةَ الحَقِيقِيَّةَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ معرفةَ العبدِ بقدرِ نَفْسِهِ تُورِثُهُ تَدَلُّلاً لله وَعُبُودِيَّةً عَظِيمَةً، فلا يَسْتَكثِرُ عَمَلَهُ مَهْمَا عَظُمَ، وَلَا يَحْتَقِرُ ذَنْبَهُ مَهْمَا صَغُرَ.

وَمِنْهَا: مَعْرِفَةُ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَعَظِيمِ فَضْلِهِ وَمَنْنِهِ؛ وَذَلِكَ عِنْدَمَا يَنْظُرُ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَيَنْظُرُ فِي تَفْرِيطِهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ زَادِعًا لَهُ عَنْ كُلِّ فِعْلٍ قَبِيحٍ؛ وَيَعْلَمُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ النِّجَاةَ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِعَفْوِ اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَتَيَقَّنُ أَنَّ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى: أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ.

ومنها: أَنَّ المحاسبة تزكي النفس وتطهرها من الذنوب، وتلزمها أمر الله، ومن زكى نفسه فقد نجحها، كما قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}، قال بعض الصالحين: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ لِنَفْسِهِ: أَلَسْتَ صَاحِبَةً كَذَا؟ أَلَسْتَ صَاحِبَةً كَذَا؟ ثُمَّ دَمَّهَا، ثُمَّ خَطَمَهَا، ثُمَّ أَلَزَمَهَا كِتَابَ اللَّهِ، فَكَانَ لَهَا قَائِدًا.

ومن فوائد المحاسبة: أَنَّهَا تُرَبِّي عِنْدَ الْإِنْسَانِ الضمير الحي، وتُتَمِّي فِي ذَاتِهِ الشُّعُورَ بِالمسؤولية، وَتَدْعُوهُ إِلَى ضَبْطِ الْأَعْمَالِ وَالتَّصَرُّفَاتِ بِضَابِطٍ دَقِيقٍ هُوَ الشَّرْعُ. وَأَمَّا مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ وَلَمْ يُحَاسِبْهَا فَسَيُعْرِقُهَا فِي لُجْجٍ مِنْ بَحَارِ الفَسَادِ وَالمَهْلَآكِ، وَيَنْتَهِي إِلَى خُسْرَانٍ فِي نَارٍ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالمَجَارَةُ، لِأَنَّ الفَسَادَ وَالمَهْلَآكَ فِي المَجْتَمَعَاتِ وَالأفْرَادِ لَا يَحْصُلُ إِلَّا إِذَا أَصْبَحَ الفَرْدُ أَوْ المَجْتَمَعُ لَا يَتَوَقَّعُ مَرَاقَبَةً، وَلَا يَخْشَى مِنْ أَحَدٍ سُؤَالَ، وَلَا يَخَافُ حِسَابًا مِنْ أَحَدٍ عَلَى أَيِّ تَصَرُّفٍ أَوْ عَمَلٍ، فَيَنْطَلِقُونَ فِي حَرَكَاتِهِمْ كَمَا يُجْبُونَ، وَيَمُوجُونَ كَمَا يَشْتَهُونَ، فَيَتَقَلَّبُونَ عَلَى الحَيَاةِ وَدَرُوبِهَا بِلا زَمَامٍ وَلَا خُطَامٍ، فَيَتَشَبَّهُونَ بِأَهْلِ النَّارِ كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: {إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا}.

قال بعض العلماء: أضر ما على المكلف الإهمال وترك المحاسبة، والإسترسال، وتسهيل الأمور وتمشيئتها؛ فإن هذا يؤول به إلى الهلاك، وهذا حال أهل الغرور يُعْمِضُ عَيْنِيهِ عَنِ العَوَاقِبِ، وَيُمَشِّي الحَالَ، وَيَتَكَلَّمُ عَلَى العَفْوِ، فَيُهْمِلُ محاسبة نفسه والنظر في العاقبة، وإذا فعل ذلك سهل عليه موقعة الذنوب وأنس بها وعسر عليه فطامها.

والنفس كالطفل إن تهملته شبَّ على حبِّ الرضاع وإن تفضمته ينطم

فاحذرْ هواها وحاذِرْ أنْ تولِّيَه
وراعِها وهي في الأعمالِ سائمةٌ
كم حَسَنَتِ لذةً للمرءِ قاتلةً
وخالِفِ النفسَ والشيطانَ واعصِهما
إنَّ الهوى ما تولَّى يُعِمُّ أو يُصِمُّ
وإن هي استحلت المرعى فلا تَسِمُّ
من حيث لم يدر أن السُّمَّ في الدَّسِمِ
وإن هما محضاك النصحَ فاتَّهِمِ

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: إِنَّ الْمُحَاسِبَةَ لِلنَّفْسِ لَهَا طُرُقٌ وَأَسَالِبٌ وَلَهَا أَنْوَاعٌ:

فمنها: المحاسبة قبل العمل، وهي: أن يقفَ عند عزمه وإرادته على الفعل، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانُ الفعل على الترك، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام ((إذا هممت بأمرٍ فتدبّر عاقبته، فإن يك خيراً فاتبعه، وإن يك شراً فدعه))، وقد روي أنّ بعض الصالحين كان إذا أراد أن يتصدق بصدقةٍ تثبت؛ فإن كانت لله أمضاهَا، وإن كانت لغيره توقّف.

ومنها: المحاسبة على التقصير في الطاعات، ويكون ذلك بأن يسأل نفسه على الدوام: هل أدت هذه الفريضة على الوجه الأكمل مخلصاً لله، طالباً ثواب الله، بدون رياءٍ ولا سُمعةٍ، فإن رأى الإنسان تقصيراً في جانب الطاعات - وكُنَّا مُقَصِّرُونَ جِدًّا - فعليه أن يكثر من النوافل فإنّها ترفع النقص في الفريضة، وتزيد لدى العبد جانب العبادة، ومن جاهد نفسه وأكثر اللوم لها فإنه يزول عنه التقصير في الطاعات إلى درجةٍ كبيرة.

ومنها: المحاسبة للنفس على فعل المعصية، ويكون ذلك بأن يقايس العبد بين نعمة الله عز وجل وبين جنايته ومعصيته؛ فسيظهر للعبد الفرق الكبير، والتفاوت العظيم، فيعلم عند ذلك أنه ليس إلا عفوه ورحمته أو الهلاك والعطب، ثم ينتقل إلى العمل على تكفير تلك المعصية، فيتدارك نفسه بالتوبة النصوح، وبالاستغفار والحسنات الماحية والمذمبة للسيئات، كما قال تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ}.

فَالْبِدَارَ الْبِدَارَ أَيُّهَا الْعَاصِي: قَبْلَ أَنْ يُخْتَمَ لَكَ بِخَاتِمَةِ سُوءٍ، فَتَمُوتَ وَأَنْتَ مُصِرٌّ عَلَى تِلْكَ الْمَعْصِيَةِ وَلَمْ تَتُبْ مِنْهَا، وَتَدَكَّرِ الْحَشَرَ وَالنَّشَرَ وَهَوَلَ جَهَنَّمَ، وَمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْعَصَاةِ وَالْفَسَقَةِ مِنَ الْأَغْلَالِ وَالْحَدِيدِ، وَالزُّقُومِ وَالصَّيْدِ، فِي نَارٍ وَعَذَابٍ شَدِيدٍ، قَالَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ أَهْلَ النَّارِ عَذَابًا رَجُلًا انْتَعَلَ نَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ)).

ومنها: محاسبة النفس على فعلٍ كان تركه خيراً من فعله، أو على أمرٍ مباح، ما سبب فعله له؟ فيوجه لنفسه أسئلة متكررة: لم فعلت هذا الأمر؟ ألم يكن الخير في تركه؟ وما الفائدة التي حصلت عليها منه؟ وهل هذا العمل يزيد في حسناتي؟ ونحو ذلك من الأسئلة التي فيها عتابٌ للنفس.

وأما المباح فينظر العبد: هل أراد به وجه الله والدار الآخرة فيكون ذلك رجحاً له؟ أو فعله عادةً وتقليداً بلا نيّةٍ صالحةٍ ولا قصدٍ في المثوبة؛ فيكون مضيعةً للوقت على حساب ما هو أنفع وأجح؟ ثم ينظر بعد عمله لذلك المباح، فيلاحظ تأثيره على الطاعات الأخرى من تقليدها أو إضعافه عن فعلها، وهل كان له أثرٌ في قسوة القلب وزيادة الغفلة؛ فكل هذه الأسئلة غاية في الأهمية حتى يسير العبد في طريقه إلى الله على بصيرةٍ ونور.

وما أروع ما قاله الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام في وصف المراقبة والمحاسبة، حيث يقول عليه السلام: مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ فِي الْخُلُوتِ، أَجَابَ لَهُ الدَّعَوَاتِ، الْمُرَاقَبَةُ تُورِثُ الْحَاسِبَةَ، رَاقِبٌ مَوْلَاكَ فِي اللَّيْلِ إِذَا دَجَّكَ، وَفِي النَّهَارِ إِذَا أَضَاكَ، يَعِصِمُكَ مِنْ هَوَاكَ. اذْكُرْ نَظَرَ اللَّهِ إِلَيْكَ، وَلَا تَنْسَ طَاعَتَهُ عَلَيْكَ، أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الرَّبَّ إِلَيْكَ نَاطِرٌ، وَعَلَيْكَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ قَادِرٌ، أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ مَوْلَاكَ يَرَاكَ، وَيَسْمَعُ سِرَّكَ وَجَوَاكَ؟ وَيَعْلَمُ مَنَقَلَبَكَ وَمَثْوَاكَ!!

أرخت عليك الأستار، وأخفيت ذنوبك عن الجار، وبارزت الجبار، بالمعاصي الكبار، وجمعت الذنوب والأوزار، وشهد عليك الليل والنهار، والملائكة الحُضَّار، أما تخاف عقوبة الجبار؟ والخلود في النار؟ إلى كم تتستر عن أعين الناظرين، وقد شاهدك أقدُر القادرين؟ كم تخاف من المخلوق وتستخفي؟ ولا تخاف الخالق ولا تستحيي؟ كم تنفض العهود، وتستخف بالشُّهود؟ كم تجتريء على المعبود؟ ويعود عليك ولا تعود؟ كم رآك على المعاصي وستر؟ واطلع منك على القبائح وما نشر؟ وغطى عليك وما شهر؟ أما تذكر قبائحك؟ أنسيت فضائحك؟ أما تخاف من ذنوبك؟ أما تزدجر من عُيوبك؟ أعقلت عن الداهية؟ ألم تخف الهاوية؟ أنسيت من لا تخفى عليه خافية؟.

قد اطلع عليك مراراً، وأسبل عليك أستاراً، وبارزته غير مرة فستر وعفا، ونقضت ما عاهدته عليه ووفى، ولو شاء لأمطر عليك الحجارة من الهوى، وسلب منك العطاء، وكشف عنك الغطاء، وأطلع عليك عباده، وضيق عليك بلادته، وبدل اسمك، وعير جسمك، هب أنه ستر عليك في الدنيا، فماداً تعتذر في العقبى؟ هب أنه تجاوز وعفا، أليس قد خيرت ووفى؟ ألم تستح من خالق الأرض والسماء، ألم تستح من الحفظة الكرام، ألم تخف من لا يتعاضى ولا ينام ولا يضام، فيا حياك من قلة الحياء.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، إنه على كل شيء قدير.

٢- حول بداية السنة الهجرية

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَهْلِ الْحَمْدِ وَالْتِنَاءِ، وَرَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَخَالِقِ الْخَلْقِ وَالْأَنْامِ، وَمُدَبِّرِ
الْيَلِيَّ وَالْأَيَّامِ، وَمَقْدِّرِ السَّنِينَ وَالْأَعْوَامِ، الَّذِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَتُهُ، وَأَبْدَعَتْ كُلَّ
خَلْقٍ حِكْمَتُهُ، وَقَهَرَ كُلَّ ذِي سُلْطَانٍ سُلْطَانَهُ، وَبَهَرَ كُلَّ بُرْهَانٍ بُرْهَانَهُ.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً أَوْجَبَهَا حُكْمُ الْمَلِئَةِ، وَكَلِمَةً
صَدَقَهَا وَاضِحُ الْأَدِلَّةِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمُتَّجِبُ الْمُصْطَفَى، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ مَا بَقِيَ
الْأَنْامِ، وَتَعَاقَبَتِ الْأَيَّامُ، وَتَنَاوَبَتِ الْأَعْوَامُ، وَمَا خَطَرَتِ الْأَوْهَامُ، وَتَدَبَّرَتِ الْأَفْهَامُ.
أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

هَذَا نَحْنُ نَعِيشُ فِي بَدَايَةِ سَنَةِ هِجْرِيَّةٍ جَدِيدَةٍ، نُذَكِّرُنَا بِأُمُورٍ هَامَةٍ تَتَعَلَّقُ بِتَارِيخِ الْأُمَّةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ نُهْمَلَ تِلْكَ الْأُمُورَ، فَهَنَّاكَ ثَلَاثٌ مِنَ الْقَضَايَا الْهَامَةِ الَّتِي
تَتَعَلَّقُ بِبَدَايَةِ السَّنَةِ الْهَجْرِيَّةِ، لَا بُدَّ أَنْ نَتَأَمَّلَهَا بِعَيْنِ الْإِنْصَافِ، وَأَنْ نَهْتَمَّ بِهَا جَيِّدًا:

القضية الأولى: كَيْفَ نَقْضِي عَامَنَا الْجَدِيدَ الْمُقْبِلَ؟

إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ وَكُلَّ لِحْظَةٍ وَدَقِيقَةٍ وَسَاعَةٍ وَيَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَأُسْبُوعٍ وَشَهْرٍ وَعَامٍ يَمُرُّ وَبِحَضِي
فَهُوَ جُزْءٌ مِنْ أَعْمَارِنَا وَحَيَاتِنَا، يَنْفَى وَلَا يَتَبَدَّلُ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَنْظُرَ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَفُوتُ
ذَلِكَ الْجُزْءُ وَالْوَقْتُ، هَلْ فِي طَاعَةٍ أَوْ فِي مَعْصِيَةٍ أَوْ فِي مُبَاحٍ؟ فَعَلَيْنَا أَنْ نُرتَّبَ لَنَا
وِظَائِفَ وَأَعْمَالَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنْ نُعَيِّنَ لِكُلِّ وَقْتٍ شُغْلًا لَا يَتَعَدَّاهُ، وَلَا نَشْتَغَلَ
فِيهِ بِسِوَاهُ، فَبِذَلِكَ تَظْهَرُ لَنَا الْبَرَكَةُ فِي الْأَوْقَاتِ.

فالوقتُ عبارةٌ عن العُمُرِ، والعُمُرُ هو رأسُ المالِ، وعليه مدارُ تجارتنا مع ربِّنا، وبه
وصولنا إلى نعيمِ الأبدِ، فكلُّ نفسٍ من أنفاسنا جوهرٌ لا تُقدَّرُ قيمتهُ؛ إذ لا بدَّلَ لَهُ،

وإذَا فَاتَ فَلَا عُدَّةَ وَلَا رُجُوعَ لَهُ؛ فَلَا نَكُونُ كَالْحَمَقَى الَّذِينَ يَفْرَحُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِزِيَادَةِ أَمْوَالِهِمْ وَإِنْ نَقَصَتْ أَعْمَارُهُمْ، وَأَيُّ خَيْرٍ فِي مَالٍ يَزِيدُ وَعُمْرٍ يَنْقُصُ، فَالْفَرَحُ الْحَقِيقِيُّ لَا يَكُونُ إِلَّا بِزِيَادَةِ عِلْمٍ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ، لِأَنَّهُمَا الرِّفِيقَانِ لَنَا فِي الْقُبُورِ، حَيْثُ يَتَخَلَّفُ عِنَا الْأَهْلُونَ وَالْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ وَالْأَصْدِقَاءُ.

وَلَوْ فَكَّرْنَا فِي أَنْفُسِنَا تَفَكِيرًا سَلِيمًا، لَنَجَّحْنَا نَجَاحًا عَظِيمًا، فَإِنَّ اللَّيْلَ وَالتَّهَارَ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ سَاعَةً، فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا فِي مَاذَا تَمْضِي هَذِهِ السَّاعَاتُ، فَالتَّوْمُ يَسْتَعْرِقُ مِنَّا ثَمَانِ سَاعَاتٍ عَلَى الْأَقْلَى مَثَلًا، وَهِيَ ثُلُثُ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، نَقْضِيهَا فِي مُبَاحٍ لَا نَكْسِبُ فِيهِ عِلْمًا وَلَا عَمَلًا، وَنُضَيِّعُ ثَمَانِ سَاعَاتٍ أُخْرَى عَلَى الْأَقْلَى فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَالْمَعَاشِ فَيَضِيغُ الثُّلُثُ الثَّانِي، بِإِلَّا كَسْبِ صَالِحٍ بَلْ أَقَلُّ الْحَالَاتِ أَنْ نَكُونَ فِيهَا سَالِمِينَ لَمْ نَكْسِبْ إِثْمًا، فَلَمْ يَبْقَ مَعَنَا سِوَى ثُلُثِ الْيَوْمِ فَإِذَا نَظَرْنَا كَمْ نَقْضِي مِنْهُ فِي الطَّاعَةِ، وَكَمْ نَقْضِي فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ؟ وَمَعَ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَصْحَابِ، فَإِذَا كُنْتَ مَثَلًا تَقْضِي نِصْفَ الثَّلَاثِ الْبَاقِي فِي الطَّاعَةِ وَهُوَ أَرْبَعُ سَاعَاتٍ، وَالنِّصْفَ الثَّانِي فِي الْمُبَاحَاتِ، فَإِنَّكَ لَوْ عُمِّرْتَ خَمْسًا وَسَبْعِينَ عَامًا مَثَلًا، فَإِنَّ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا تَقْرِبًا قَبْلَ الْبُلُوغِ، بَقِيَ سِتُونَ عَامًا، يَضِيغُ ثُلُثُهَا فِي النَّوْمِ وَهُوَ عِشْرُونَ عَامًا، وَيَضِيغُ الثَّلَاثُ الثَّانِي فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَالْمَعَاشِ وَهُوَ عِشْرُونَ عَامًا، وَالتَّبَقِّيَ عِشْرُونَ عَامًا، تَقْضِي نِصْفَهَا فِي الطَّاعَةِ وَهُوَ عِشْرَةُ أَعْوَامٍ، وَنِصْفَهَا فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَمَعَ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَصْحَابِ، فَقَدْ نَقَدَ الْعُمُرُ وَالْوَقْتُ هَبَاءً مَنْثُورًا.

فَتَفَكَّرْ أَخِي الْمُسْلِمُ فِي عُمُرِكَ الْقَصِيرِ كَيْفَ يَضِيغُ كُلُّهُ، وَإِنْ عِشْتَ مِائَةَ سَنَةٍ فَهِيَ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى دَارِ الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ دَارُ الْأَبَدِ، وَالْمَشْكَالَةُ الْكُبْرَى تَكْمُنُ فِي أَنَّكَ مَسْئُولٌ وَمَحَاسَبٌ عَلَى تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي تَمُرُّ مِنْ عُمُرِكَ، فَسَوْفَ تُسْأَلُ عَنْ عُمُرِكَ فِيمَ أَفْتَيْتَهُ، فَأَعِدَّ الْجَوَابَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ.

والأمر الذي يجعل الإنسان مُجِدِّدًا في الطاعة هو قِصْرُ الأملِ وَتَدَكُّرُ الموتِ، فإنَّ الموتَ لا يَهْجُمُ في وَقتِ مَخْصُوصٍ وَسِنِينَ مَخْصُوصَةٍ، وحالِ مَخْصُوصَةٍ، فَقَدَّرَ هَذَا على قَلْبِكَ، فلا بُدَّ من هُجُومِهِ، فالإِسْتِعْدَادُ لَهُ أُولَى من الاستعدادِ للدنيا، وأنت تعلمُ أَنَّكَ لا تَبْقَى فيها إلا مَدَّةً يَسِيرَةً، ولعلَّه لم يبقَ من عمركَ إلا نَفْسٌ أو ساعةٌ أو يومٌ، وَقَرَّرَ هذا في قلبك كلَّ يومٍ، وَكَلَّفَ نَفْسَكَ الصَّبْرَ فيها على طاعةِ الله تعالى يوماً فيومٍ، فَإِنَّكَ لَوْ قَدَّرْتَ البقاءَ خَمْسِينَ سَنَةً، وَأَلْزَمْتَ نَفْسَكَ الصَّبْرَ فيها على طاعةِ الله تعالى ثَقُلَ ذَلِكَ واستصعبَ، وَلَكِنْ إِذَا استحضرتَ الموتَ وَقَدَّرْتَ هُجُومَهُ في كلِّ حالٍ، فَإِنْ كُنْتَ في النهارِ قَدَّرْتَ أَنَّكَ لا تُمْسِي، وَإِنْ كُنْتَ في الليلِ قَدَّرْتَ أَنَّكَ لا تُصْبِحُ، فهذا يجعلُكَ مُجِدِّدًا في الطاعةِ، نَشِيطًا في العبادةِ، بَعِيدًا عن المعصيةِ، فَعَلَيْنَا أَنْ نُجَدِّدَ حَيَاتِنَا اليَوْمِيَّةَ، وَنُوظِّفَ أَوْقَاتِنَا وَنُنظِّمَهَا كي لا تَضِيعَ.

وأما القضيةُ الثانيةُ: فَهِيَ حَدَثٌ عَظِيمٌ من خلاله تَغَيَّرَ وَجْهُ العالَمِ، إِنَّهُ حَدَثُ الهِجْرَةِ النبويَّةِ، الذي يُعَدُّ مَعْلَمًا بَارِزًا، وَحَدَثًا هَامًّا في الإسلامِ، وَكَانَ تَحْوُلًا جَدْرِيًّا في طريقِ الدعوةِ إلى الله، وفي كَيفِيَةِ التعاملِ مع المَعَارِضِينَ لها، لَقَدْ كَانَتْ الهِجْرَةُ مُقَدِّمَةً لِنَصْرِ عَظِيمٍ للإسلامِ وأهلِهِ، بَلَغَ قَبْلَ نَهايةِ المائَةِ الأُولَى مِنْهَا إلى أَكْثَرِ من ثُلُثِ الأَرْضِ.

فحينما خَرَجَ المصطفى صلواتُ الله وسلامُهُ عليه وعلى آلِهِ من مَكَّةَ مَظْلُومًا مَقْهُورًا، مُشْرَدًّا مَطْرُودًا إلى طَيِّبَةِ الطَيِّبَةِ البَلَدَةِ المَبَارَكَةِ، أَسَّسَ فيها دَوْلَةَ الإسلامِ، وَهَيَّأَ فيها رِجالًا رَبَّاهُمْ فَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُمْ، وَأَدَّبَهُمْ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُمْ، يَدْعُونَ إلى الله، وَيَنْصُرُونَ رِسالَةَ، يَدْفَعُونَ عَنْهُ أَدَى الكُفْارِ، حَتَّى يُبَلِّغَ دِينَ اللهِ الذي أَمَرَهُ أَنْ يُبَلِّغَهُ لِلعَالَمِينَ: {لَا نُدْرِكُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ}، فَبَلَغَ رِسالَةَ رَبِّهِ حَتَّى أَتَاهُ اليَقِينُ، وَتَرَكَ النَاسَ على المِحْجَةِ البِيضَاءِ، لِيُلْها كَنها رِها، لا يَزِيعُ عَنها إلا هَالِكٌ.

وفي هذا الحَدَثِ العَظِيمِ من الدروسِ والعِبَرِ ما لو اسْتَشَعَرْتَهُ الأُمَّةُ الإِسلامِيَّةُ اليَوْمَ، وَعَمِلَتْ على ضِوئِهِ لَتَحَقَّقَ لها عِزُّها وَكَرامَتُها، وَفُوقَها وَمَكَانَتُها، وَلَعَلِمَتْ عِلْمَ

اليقين أنه لا حلّ لمشاكلها، ولا صلاح لأحوالها إلا بالتمسك بإسلامها، والتزامها
بإيمانها وعقيدها، فوالله ما قامت الدنيا إلا بقيام الدين، ولا نال المسلمون العزة
والكرامة إلا حين خضعوا لرب العالمين، وهيهات أن يحلّ أمنٌ أو رخاءٌ أو سلامٌ
دون اتباع نهج الأنبياء والمرسلين، والأئمة الهادين.

وَفَقَّنِي اللهُ وَإِيَاكُمْ لِمَا يُرْضِيهِ، وَجَنَّبَنَا مَعَاصِيهِ، وَجَعَلَنَا مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ
فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وبالإجابة جديرٌ.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ} {١} اللهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ وَلِوَالِدَيْنا وَوَالِدَيْكُمْ، وَلِكافَّةِ إِخْوَانِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ،
فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمدُهُ ونستعينُهُ، ونؤمنُ بِهِ، ونتوكلُ عليه، حَمْدًا يَكُونُ أرضى الحمدِ لَهُ،
وَأَتَمَّ الحمدِ لَدَيْهِ.

وأشهدُ أَن لا إلهَ إِلاَّ اللهُ وحدهُ لا شريكَ لَهُ، إلهًا وَاحِدًا، فَزِدًا صَمَدًا، لَيْسَ لَهُ نَدٌّ
وَلَا شَيْبَةٌ.

وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ المصطَفَى، ورَسُولُهُ المجتَبَى، صلواتُ اللهُ وسلامُهُ عَلَيْهِ وعلى
آلهِ الهداةِ لِدِينِهِ.

أما بعد: أيها المؤمنون:

القضيةُ الثالثةُ: تُعَبَّرُ عن شَخْصِيَّةِ هذهِ الأُمَّةِ واستقلالِ أتباعِهَا عن غيرهم من
سَائِرِ الأُمَمِ والمللِ، وهي قضيةُ التاريخِ الهجري، لو تساءلنا عن كيفية وضع هذا
التاريخِ ومعناه وأهميته، وَلِمَاذَا يُورِّخُ المسلمونَ بِهِ؟.

فَقَدْ كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يُورِّخُونَ بِأَيَّامِ العَرَبِ وأحداثِهَا الكِبَارِ، كَعَامِ الفِيلِ وحَرْبِ
البُسُوسِ وغيرها، وَقَدْ أَشَارَ القرآنُ الكريمُ إلى تاريخِ هذهِ الأُمَّةِ في قوله تَعَالَى
{لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ}، والمعلومُ أَنَّهُ ليسَ أَوَّلَ الأَيَّامِ كُلِّهَا، وَلَمْ
يُضَفْ يَوْمٌ إلى لَفْظِ ظَاهِرٍ، فهو مُضَافٌ إلى مُضَمَّرٍ، وهو أَوَّلُ يَوْمٍ من الهجرَةِ.

وأيضاً: فَإِنَّ الصَّحَابَةَ اجتمعوا وتشاوروا في خِلافةِ عُمَرَ في السَّنَةِ السَّابِعَةِ عَشَرَ من
الهجرَةِ في أمرِ التاريخِ الإسلاميِّ بماذا يُورخون؟.

فمنهُم مَن قَالَ: بِمَوْلِدِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ومنهم مَن قَالَ: بِبِعْتِهِ،
ومنهم مَن قَالَ: بِهَجْرَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَن قَالَ: بِمَوْتِهِ، ثُمَّ اجتمعَ رَأْيُهُمْ على أَن يكونَ
بِالهجرَةِ من مَكَّةَ إلى المدينةِ، لِأَنَّهَا السَّنَةُ التي كَانَ فيها قِيَامُ كِيَانِ مُسْتَقْبَلِ
لِلْمُسْلِمِينَ، وفيهَا تَكْوِينُ أَوَّلِ بَلَدِ إِسْلَامِيٍّ يُسَيِّطِرُ عليه المسلمونَ.

ثُمَّ تَشَاوَرُوا فِي أَيِّ الْأَشْهُرِ يَبْدَأُ التَّارِيخُ؟

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مِنْ رَمَضَانَ، وَقَالَ آخَرُونَ: مِنْ رَيْعِ الْأَوَّلِ، لِأَنَّهُ الشَّهْرُ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ الْهَجْرَةُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مِنَ الْمُحَرَّمِ، فَاتَّفَقُوا عَلَى الْمُحَرَّمِ؛ لِأَنَّهُ شَهْرٌ حَرَامٌ، وَلِأَنَّهُ يَلِي ذَا الْحِجَّةِ الَّذِي فِيهِ أَدَاءُ النَّاسِ لِحُجَّتِهِمْ، الَّذِي بِهِ تَمَامُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ الْحِجَّ آخِرُ مَا فُرِضَ مِنَ الْأَرْكَانِ الْخَمْسَةِ، وَلِأَنَّهُ الشَّهْرُ الَّذِي بَايَعَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْأَنْصَارَ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ عَلَى الْهَجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ، وَتِلْكَ الْمُبَايَعَةُ مِنْ مَقَدَّمَاتِ الْهَجْرَةِ، فَكَانَ أَوْلَى الشُّهُورِ بِالْأَوْلِيَةِ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ.

فَالتَّارِيخُ الْهَجْرِيُّ تَارِيخٌ مُرْتَبِطٌ بِالدِّينِ وَوُضِعَ مِنْ أَجْلِهِ، فِيهِ تُرْبِطُ أَحْوَالُ الزَّكَاةِ، وَآجَالُ الدُّيُونِ، وَالرَّهَانِ، وَعَدَةُ الْمَرْأَةِ، وَمُدَّةُ الْإِحْدَادِ وَالْإِيْلَاءِ وَغَيْرُ ذَلِكَ؛ وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ}، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمُنَاسَبَاتٍ دِينِيَّةٍ عَظِيمَةٍ تَتَكَرَّرُ كُلَّ عَامٍ، مِنْ صِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ وَغَيْرِهَا، وَهُوَ مُرْتَبِطٌ بِالشَّهْرِ الْقَمَرِيِّ الَّذِي هُوَ ظَاهِرٌ لِلنَّاسِ كَافَّةً، مَعْلُومٌ وَقْتُ دُخُولِهِ وَوَقْتُ خُرُوجِهِ، يَعْرِفُهُ الْمُتَعَلِّمُ وَالْعَامِيُّ وَالْأُمِّيُّ، وَالَّذِي فِي الْقَمَرِ بَيْنَ النَّاسِ وَالَّذِي فِي الْبَادِيَةِ لَوْحِدِهِ، وَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَتَيْسِيرِهِ لِعِبَادِهِ.

فَالتَّارِيخُ الْمَعْمُولُ بِهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ هُوَ التَّارِيخُ الْهَجْرِيُّ، فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَلْتَفِتَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ التَّوَارِيخِ الْأُخْرَى، لِأَنَّنا أُمَّةٌ مُتَمَيِّزَةٌ، لَكِنْ لَمَّا دَبَّ الْوَهْشُ وَالضَّعْفُ فِي الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَصَابَهَا الْعَجْزُ وَالْكَسَلُ، وَتَسَلَّطَ عَلَيْهَا أَعْدَاؤُهَا وَأَذْنَابُهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ سَلَكُوا طَرِيقَ اسْتِبْدَالِ التَّارِيخِ الْهَجْرِيِّ بِالتَّارِيخِ الْمِيلَادِيِّ؛ مُدَّعِينَ بِأَنَّ التَّارِيخَ الْمِيلَادِيَّ مُنْظَمٌ وَمَعْرُوفٌ لِسِنِينَ قَادِمَةٍ، وَالْعَالَمُ كُلُّهُ يُورِثُ بِهِ، بَيْنَمَا الْهَجْرِيُّ مُرْتَبِطٌ بِالْقَمَرِ وَيَصْعُبُ الْإِعْتِمَادُ عَلَيْهِ، وَهَذَا كَذِبٌ وَبُهْتَانٌ؛ فَإِنَّ التَّارِيخَ الْمِيلَادِيَّ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحِلَّ مَحَلَّ التَّارِيخِ الْهَجْرِيِّ؛ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ تَبَايُنٍ وَاخْتِلَافٍ يَمَسُّ جَانِبَ الدِّينِ وَالْهُوِيَّةِ.

أَمَّا جَانِبُ الدِّينِ: فَإِنَّ الْمِيلَادِيَّ مُرْتَبِطٌ بِدِينَيْنِ بَاطِلَيْنِ:

أُولَئِهَا: الوثنية الرومانية، فإنَّ الأشهرَ الغربيةَ كينَايرَ وفبرَايرَ معناها تمجيدُ الآلهةِ الأسطوريةِ للرومانِ، وهي تمجيدُ لاثنينِ من القادةِ المحبُوبينِ الرومانيينِ، فينايرُ مأخوذٌ من (يانوس) الذي هو إلهُ الشمسِ عندهم، ومارسُ اسمُ إلهِ الحربِ، ومايو اسمُ آلهةِ الخصبِ، ويونيو اسمُ آلهةِ القمرِ، أمَّا يوليُو فهو اسمٌ للقيصرِ كاليوس يوليوس، وكذا أغسطسُ اسمُ أحدِ القياصرةِ، والأشهُرُ التي تحمِلُ أسماءَ الآلهةِ المزعومةِ والقادةِ المحبوبينِ جعلوا أيامها تكتملُ إلى واحدٍ وثلاثينِ يوماً من بابِ التفاؤلِ، والأخرى تحمِلُ ثلاثينِ يوماً لأنهم يتشاءمون من الأعدادِ الزوجيةِ، أمَّا أغسطس فإنه الشهرُ الثامنُ وكان ثلاثين يوماً، ولكنهم جعلوه واحداً وثلاثين يوماً لكي لا يشعَرَ أغسطس أنه أقلُّ منزلةً من يوليوس.

أما الدينُ الثاني الباطلُ: الذي ارتبط به التاريخُ الميلاديُّ فهو دينُ النصرانيةِ، فقد اعتمدوا التقويمَ الرومانيَّ بعد اجتماعِ لمَجَمَعِ الكنيسةِ النصرانيةِ أقرَّ فيه الاعتمادَ عليه، ثم رُبط بعد ذلك بميلادِ المسيح عليه السلام، وذلك في القرنِ السادس أو الثامن من ميلادِ المسيح، ومن هنا نعلمُ أنَّ نسبةَ هذا التاريخِ إلى ميلادِ المسيح نسبةٌ غيرُ صحيحةٍ، لأنها جاءت متأخرةً جداً عن ميلادهِ، وقد حصلتُ تغييراتٌ أخرى على هذا التاريخِ، فهو وضعيٌّ، ومبنيٌّ على غيرِ أساسٍ، فإنَّ القياصرةَ والباباواتِ تُغيِّرُ فيه على حسب ما ترى.

وأما جانبُ الهويةِ: فالتاريخُ الهجريُّ تاريخٌ يرتبطُ بقضايا إسلاميةٍ خاصةٍ بالمسلمين، بخلافِ غيره من التواريخ.

أيُّها المؤمنون: التاريخُ الهجريُّ هو تاريخُ المسلمينِ المعتمدُ الذي عمِلَ به المسلمون قديماً وحديثاً، وهو من شعائرِ أهلِ الإسلامِ، فالرغبةُ عنه إلى غيره من تواريخِ الشرقِ أو الغربِ خطأٌ كبيرٌ، وإهمالٌ فادحٌ.

إننا وإن ابتلينا بهذا التاريخِ النصراني، وارتبطت به الكثيرُ من المصالح، فعلى الأقلِّ
لَا بدَّ أن نلتزمَ بذكرِ تاريخنا في حياتنا اليومية، وأن نبدأً به مراسلاتنا ومواعيدنا، وأن
نعلمهُ أبناءنا وبناتنا، ونتذاكر به جميعاً.

فَلَا بُدَّ أن يلتزمَ المسلمون بتاريخهم، فإنَّ كُلَّ أمةٍ تعتزُّ بتاريخها وتُحافظُ عليه، إلا أمةَ
الإسلام، فقد تهاوَّنت في تاريخها، وما ذلكَ إلا مظهرٌ من مظاهرِ تركها لمبادئها، وهو
من نتائجِ الهزيمةِ النفسيةِ التي سيطرت على المسلمين أفراداً وجماعات، فنسيانُ هذا
التاريخِ يعني ذوبانَ جزءٍ من هويَّةِ هذه الأمةِ، وطغيانَ الهويَّةِ الغربيَّةِ عليها.

وَقَفْنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَا يَرْضِيهِ، وَجَنَّبْنَا مَعَاصِيهِ، وجعلنا ممن يستمعون القولَ فيتَّبِعُونَ
أَحْسَنَهُ.

٣- حول شخصية الإمام الحسين عليه السلام

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بأهل بيت النبوة، وجعلهم الأدلة على الحق والقدوة، ورفع بهم منار الدين وأعلاه، وأشاد بهم بنيان الهدى وقواه، وأزال بهم ظلمات الجهل وعشاوته، ومحي بهم ضلالات الباطل وغشاوته، وقمع بهم أهل الزيغ والكفر والنفاق، وزلزل بهم عروش أهل الكبرياء والشقاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا عديل، ولا خلف لقوله ولا تبديل. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين المأمون، بلغ الرسالة كما أمره الملك الجليل، وأدى الأمانة بكل ما يمكنه من التبليغ، صلى الله وسلم عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: نعيش وإياكم في هذه الأيام، أيام شهر محرم الحرام، الذي يتجدد فيه ذكرى الأحزان والآلام على أهل البيت عليهم السلام، نتذكر فيها ما سجله التاريخ من المآسي والمصائب التي نالها أهل البيت من قبل أعدائهم الذين يدعون الإسلام، ويتسمون باسمه.

فأعظمُ فاجعة، وأبشعُ حادثة وقعت فيه هي فاجعة مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، حيث لم يسبق لها مثيل، ولن يأتي لها نظير، في تاريخ البشر، فضحيتها ابنُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخيارُ أهل بيته وأصحابه، تسيل دماؤهم وتسفك وتهدر، لأجل إرضاء أرباب الخنا والفساد والفجور، وأهل اللهو والفسق والخمور، تصطف عشرات الآلاف صفوفاً شاهرين لسيوفهم، مشرعين لأرماحهم، مادين لأقواسهم ونبالهم في وجوه طائفة لا يصل عددهم المائة فيهم النساء والصبيان والضعفة والمرضى، بل سجل لنا التاريخ فيها منتهى الوقاحة والغلظة.

الإمام الحسين عليه السلام لا يحتاج إلى زيادة توضيح ولا بيان، فجدده محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وجدته خديجة الكبرى، وأبوه علي المرتضى، وأمه فاطمة الزهراء، وأخوه الحسن المجتبي، فهل بعد هذا من إيضاح أو بيان.

ولد عليه السلام: في الخامس من شهر شعبان سنة خمس من الهجرة النبوية، ولما ولد جيء به إلى جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وفرح به واستبشر، وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، وسماه حسيناً، فلما كان يوم السابع عَقَّ عنه بكبش، وأمر أمّه أن تحلق رأسه وتتصدق بوزن شعره فضة، كما فعل بأخيه الحسن، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحبه ويحمله على كتفيه، ويقبل فمه وثناياه. وتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله، وتوفيت أمه الزهراء وهو في السنة السادسة من عمره.

وكان يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سرته إلى قدميه، وكان أبيض اللون، وروي أنه كان إذا قعد في موضع في ظلمة يهتدى إليه، لبياض جبينه ونحوه، شهد مع أبيه الوصي معركة الجمل وصفين والنهروان.

وللحسنين عليهما السلام فضائل جمّة، ومناقب كثيرة ومعلومة، وقد رواها المؤلف والمخالف، ولا يختلف ولا ينازع في فضل الحسنين عليهما السلام أحد من المسلمين، فهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسبطاه وريحانتاه وعصبته ولحمته وأهل بيته.

فقد قال فيهما الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ((الحسن والحسين ابناي، فمن أحبهما أحببته، ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله جنات النعيم، ومن أبغضهما أو بغى عليهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله نار جهنم وله عذاب مقيم))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم مبيناً مكانتهما: ((أتاني جبريل فبشرني أن حسناً وحسيناً سيذا شباب أهل الجنة وأبوهما

خير منهما))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: ((كل بني أنثى ينتمون إلى أبيهم إلا ابني فاطمة فأنا أبوهما وعصبتهم))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم موضحاً وجوب اتباعهما: ((الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم مبيناً منزلتهما منه ومكانتهما عنده: ((الحسن والحسين ريحانتي من الدنيا))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط)) وغيرها كثير، فإن من يعلم بهذه الفضائل يتحتم عليه المحبة والاتباع لهم، والتسليم والطاعة لأمرهم، ولكن كأنَّ الأمر بالعكس فقد جعلت الأمة في مقابل هذه الفضائل والمناقب والمزايا القتل والظلم لأهل البيت.

ولقد أعلم الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما سيقع على الإمام الحسين عليه السلام، وهو لا يزال في بطن أمه، وبعد ولادته، زيادة في الإبتلاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، ولكي يُحذَّر الأمة من الإقدام على هذا العمل الإجرامي الخطير:

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن قاتل الحسين في تابوت من نار، عليه نصف عذاب أهل النار، وتشد يده ورجلاه بسلاسل من نار، فينكس في النار حتى يقع في قعر جهنم، وله ريح يتعوذ أهل النار إلى ربحهم من شدة ننته، وهو فيها خالد ذائق العذاب الأليم، كلما نضجت جلودهم بدل الله الجلود ليدوقوا العذاب الأليم، لا يفتر عنهم ساعة، ويسقون من حميم جهنم، فالويل لهم من عذاب الله عز وجل)).

وعن أم سلمة قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يسمح رأس الحسين ويكي فقلت: ما بكاؤك؟ فقال: ((إن جبريل أخبرني أن ابني هذا يقتل بأرض يقال لها كربلاء))، قالت: ثم ناولني كفاً من تراب أحمر، وقال: ((إن هذا من

تربة الأرض التي يقتل بها، فمتى صار دماً فاعلمي أنه قد قتل))، قالت أم سلمة: فوضعت التراب في قارورة عندي وكنت أقول: إن يوماً يتحول فيه دماً ليوم عظيم. وعن أنس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((إن ابني هذا - يعني الحسين - يقتل بأرض يقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره)). وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يقتل ابني حسين بظهر الكوفة، الويل لقاتله وخاذله ومن ترك نصرته)). وروي أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام أتى كربلاء فوقف بها، فقيل: يا أمير المؤمنين، هذه كربلاء قال: ذات كرب وبلاء، ثم أوماً بيده إلى مكان منها، فقال: ها هنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم، وأوماً بيده إلى موضع آخر فقال: ها هنا مهراق دمائهم.

جعلني وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ اللّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا عديل، ولا خلف لقوله ولا تبديل.
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، صلى الله
وسلم عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

نريد أن نأخذ من حياة الإمام الحسين عليه السلام دروساً تضيء لنا درب الحياة،
ونتعلم منها ما ينفعنا في شتى المجالات، فهو عليه السلام قدوة وأسوة حسنة في معالم
الخير وسبل الهدى والتقوى، فلا بد أن نأخذ من الإمام الحسين كل شيء لا بعض
الأشياء التي توافق هوانا، ونترك البقية من مكارم الأخلاق، وعظام الصفات، فشمايل
الإمام الحسين وصفاته كريمة، ومميزاته الخلقية عظيمة، كيف لا وقد رتبته كف محمد
المصطفى، ونشأ في بيت النبوة والوصاية، واكتنفه حجر فاطمة الزهراء، ورضع من ثدي
الإيمان، وتعلم من الأخلاق النبوية والشمايل العلوية، فبلغ في العبادة والزهادة والورع
والشجاعة والجود والكرم والسخاء والعفة والإحسان في منتهى الغايات:

فقد كان الإمام الحسين طويلاً الركوع والسجود، زاهداً في الدنيا زهداً الراحل عنها،
ناظراً إليها بعين المستوحشين عنها.

وقيل للحسين عليه السلام: ما أعظم خوفك من ربك؟ قال: لا يأمن يوم القيامة
إلا من خاف الله في الدنيا.

وروي أنه كان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة، وسئل علي بن الحسين زين
العابدين فقيل له: ما كان أقل ولد أبيك؟ قال: العجب كيف وُلِدْتُ له، كان يصلي
في اليوم واللييلة ألف ركعة فمتى كان يتفرغ للنساء، فقد كان عليه السلام فاضلاً ديناً
كثير الصيام والصلاة والحج.

فقد روي أنه عليه السلام حج خمساً وعشرين حجة ماشياً ونجائبه تقاد معه.
 عن علي بن الحسين «أنه لما كانت الليلة التي قتل أبوه في غدها، أن أباه قام الليل كله يصلي ويستغفر ويدعو وقام أصحابه كذلك يدعون ويصلون ويستغفرون».

وروي أن الحسين بن علي عليه السلام دخل على أسامة بن زيد وهو مريض وهو يقول: واغماه، فقال الحسين: وما غمك يا أخي؟ قال: ديني وهو ستون ألف درهم، فقال الحسين عليه السلام: هو عليّ، فقال أسامة: إني أخشى أن أموت، فقال الحسين عليه السلام: لن تموت حتى أقضيها عنك، فقضاها قبل الموت.

وروي أن أعرابياً جاء إلى الحسين بن علي فقال له: يا ابن رسول الله إني قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائها، فقلت في نفسي: أسأل أكرم الناس، وما رأيت أكرم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال الحسين: يا أخا العرب أسألك عن ثلاث مسائل، فإن أجبت عن واحدة أعطيتك ثلث المال، وإن أجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال، وإن أجبت عن الكل أعطيتك المال كله.

فقال الأعرابي: يا ابن رسول الله أمثلك يسأل مثلي، وأنت من أهل العلم والشرف؟ فقال الحسين: بلى سمعت جدي رسول الله يقول: ((المعروف بقدر المعرفة)).

فقال الأعرابي: سل عما بدا لك، فإن أجبت وإلا تعلمت الجواب منك، ولا قوة إلا بالله.

فقال الحسين: أي الأعمال أفضل؟ فقال: الإيمان بالله.

قال: فما النجاة من الهلكة؟ قال: الثقة بالله.

قال: فما يزين الرجل؟ قال: علم معه حلم.

قال: فإن أخطأه ذلك؟ قال فمال معه مروءة.

قال: فإن أخطأه ذلك؟ قال: فقفر معه صبر.

قال: فإن أخطأه ذلك؟ قال: فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه.

فضحك الحسين ورمى بِصُرَّةٍ إليه فيها ألف دينار، وأعطاه خاتمه وفيه فصّ قيمته مائتا درهم وقال له: يا أعرابي أعط الذهب لغرمائك، واصرف الخاتم في نفقتك، فأخذ الأعرابي ذلك منه ومضى وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

قال عليه السلام في خطبة له: أيها الناس نافسوا في المكارم، وسارعوا في المغامم، ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوه، واكسبوا الحمد بالنجاح ولا تكسبوا بالمطل ذمماً، فمهما يكن لأحد عند أحد صنعة له رأى أنه لا يقوم بشكرها فالله له بمكافأته، فإنه أجزل عطاء وأعظم أجرأ، واعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتحور نقماً، واعلموا أن المعروف مُكسبٌ حمداً ومعقبٌ أجرأ، فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين، ولو رأيتم اللؤم رأيتموه سمجاً مشوهاً تنفر منه القلوب وتغض دونه الأبصار.

أيها الناس: من جاد ساد، ومن بخل رذل، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وإن أعفى الناس من عفا عن قدرة، وإن أوصل الناس من وصل من قطعه، والأصول على مغارسها بفروعها تسمو، فمن تعجل لأخيه خيراً وجدته إذا قدم عليه غداً، ومن أراد الله تعالى بالصنعة إلى أخيه كافاه بها في وقت حاجته وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو أكثر منه، ومن نفس كربة مؤمن فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة، ومن أحسن أحسن الله إليه، والله يحب المحسنين.

وقال عليه السلام: إن الحلم زينة، والوفاء مروءة، والصلة نعمة، والإستكبار صلف، والعجلة سفه، والسفه ضعف، والغلو ورطة، ومجالسة أهل الدناءة شر، ومجالسة أهل الفسق ريبة.

ومن كلامه عليه السلام: شر خصال الملوك: الجبن عن الأعداء، والقسوة على الضعفاء، والبخل عن الإعطاء.

وفقنا الله وإياكم لرضاه، وأعاننا على تقواه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

٤- حول مقتل الحسين

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بأهل بيت النبوة، وجعلهم الأدلة على الحق والقدوة، ورفع بهم منار الدين وأعلاه، وأشاد بهم بنيان الهدى وقواه، وأزال بهم ظلمات الجهل وعشاوته، ومحى بهم ضلالات الباطل وغشاوته، وقمع بهم أهل الزيغ والكفر والنفاق، وزلزل بهم عروش أهل الكبرياء والشقاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا عديل، ولا خلف لقوله ولا تبديل. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين المأمون، بلغ الرسالة كما أمره الملك الجليل، وأدى الأمانة بكل ما يمكنه من التبليغ، صلى الله وسلم عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: لقد كانت فاجعة الحسين أفظع وأبشع فاجعة في تاريخ البشرية، فلم يسبق لها مثيل، ولن يأتي لها نظير، ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه تسيل دماؤهم وتسفك وتهدر، لأجل إرضاء أرباب الخنا والفساد والفسق والخمور، تصطف عشرات الآلاف صفوفاً شاهرين لسيوفهم، مشرعين لأرماحهم، مادين لأقواسهم ونبالهم في وجوه طائفة لا يصل عددهم المائة فيهم النساء والصبيان والضعفة والمرضى، بل سجل لنا التاريخ فيها منتهى الوقاحة والغلظة.

وهنا كلام من خطبة للحسين عليه السلام تبين بعضاً من أسباب خروجه قال فيه: أيها الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يعمل في العباد بالإثم والعدوان، فلم يغير بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتولوا عن طاعة الرحمن،

وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وإني أحق بهذا الأمر لقرايتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أتتني كتبكم، وقدمت علي رسلكم ببيعتكم: أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن وفيتم لي ببيعتكم فقد أصبتم حظكم ورشدكم، وأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله، نفسي مع أنفسكم، وأهلي وولدي مع أهاليكم وأولادكم، ولكم بي أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي فلعمري ما هي منكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبيكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم، والسلام، ومن هنا نستطيع معرفة أسباب خروج الحسين عليه السلام.

ومما يبين هدفه الأسمى في الخروج قوله عليه السلام فيما كتبه من وصيته إلى أخيه محمد بن الحنفية: (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت أطلب الاصلاح في أمة جدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أريد أن أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد علي هذا صبرت حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق ويحكم بيني وبينهم وهو خير الحاكمين. جعلني وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} {١} {اللَّهُ الصَّمَدُ} {٢} {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} {٣} {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} {٤}

بارك الله العظيم لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعنا بما فيه من المواعظ والذكر الحكيم، إنه تعالى كريمٌ جوادٌ برُّ رؤوفٌ رحيم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بأهل بيت النبوة، وجعلهم أدلة على الحق وقدوة، ورفع بهم منار الدين وأعلامه، وأشاد بهم ببيان الهدى وقواه، وأزال بهم ظلمات الجهل وعشاوته، ومحى بهم ضلالات الباطل وغشاوته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا عديل، ولا خلف لقوله ولا تبديل. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين المأمون، بلغ الرسالة كما أمره الملك الجليل، وأدى الأمانة بكل ما يمكنه من التبليغ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: وقعة الحسين عليه السلام يستفيد منها المسلم دروساً وعبراً ومواقف تضيء له الدرب، وتنور له الطريق، فمنها يتعلم الإنسان دروساً في الصبر والتضحية والفداء، ودروساً في الوفاء والولاء، ودروساً في الحذر من المنافقين، ودروساً في تمييز الصادق من الكاذب والمخلص من غيره، ولنأخذ على ذلك أمثلة:

أما الصبر والتضحية والفداء فكثيرة: منها: موقف هانيء بن عروة المرادي الذي استخفى في بيته مسلم بن عقيل فلما علم عبيد الله بن زياد بوجوده عنده طلبه إليه، وسأله عن مسلم فرفض أن يخبره بمكانه أو يسلمه إليه، فضربه بالقضيب في وجهه وأنفه وجبينه حتى أدماه وهشم لحمه وكسر عظم أنفه، وقال مقالته المشهورة التي لا يزال صداها يتردد، وصراخها يدوي من ذلك اليوم وإلى أن تقوم الساعة: والله لو كان بين ثوبي وجلدي ما كشفتته عنه، ثم أمر به إلى السجن، إلى أن جاء اليوم الذي أخرج فيه إلى السوق وضربت عنقه بين الناس.

وأما في الوفاء والولاء: فقد ضرب أصحاب الحسين عليه السلام أروع الأمثلة التي سجلها التاريخ، في الوفاء والولاء المطلق لأهل بيت النبوة، فعلى سبيل المثال قيس بن مسهر الصيدائي أو عبد الله بن يقطر أخو الحسين من الرضاع، فإن الحسين عليه

السلام لما خرج من مكة إلى الكوفة كتب كتاباً إلى وجوه الشيعة بالكوفة بأسمائهم يخبرهم فيه بمسيره ويأمرهم بالتهيؤ والإستعداد، وأرسله مع قيس، وكان ابن زياد قد جعل أرساداً وحراساً على مداخل الكوفة وجوانبها يمنعون من الدخول إليها، فلما وصل قيس إلى القادسية قبض عليه الحصين بن نمير فأخذ قيس الكتاب ومزقه حتى لا يعلموا بأسماء من فيه، فبعث به الحصين إلى ابن زياد، فسأله من أنت؟ فقال: رجل من شيعة علي وأبناءه، فأمره أن يخبره بأسماء من في الكتاب فأبى قيس فأمر به أن يسجن فبقي قيس محتاراً في الطريقة التي من خلالها يخبر الناس بقدم الحسين، فأمره ابن زياد أن يصعد المنبر ويسب الحسين وأهل بيته، فلاحق لديه فرصة التبليغ للرسالة، فوافق على صعود المنبر، فلما صعد المنبر حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله وآله، ومدح علياً وفاطمة والحسن والحسين، وسب بني أمية ومعاوية ويزيد وابن زياد وأباه، ثم قال أيها الناس: هذا الحسين قادم عليكم تركته بالحاجر فأستعدوا له، فما هو إلا أن نزل من المنبر حتى رماه ابن زياد من على القصر فما وصل إلى الأرض إلى قطعاً ومات إلى رضوان الله، ونفس القضية وقعت لعبد الله بن يقطر فإن الحسين لما استبطأ خبر قيس ولم يعلم أمره، أرسل أخاه من الرضاع تعزيراً للتبليغ فحصل له كما حصل للأول سواء سواء.

وفي مقابل الوفاء والفداء والتضحية: علمتنا واقعة الحسين معرفة الجبناء والحذر من الركون إليهم، وكذلك علمتنا كيف يصنع الأموال في تقلب أحوال الرجال، فكم من رجل كان من رؤساء الشيعة وممن بايع وأرسل ببيعته ووعد النصر، ملأ ابن زياد يديه مالاً، فتحول بسبب الدينار والدرهم إلى عدو قاتل للحسين وأهل بيته، كشبث بن ربعي وحجار بن أبجر وعمرو بن الحجاج وغيرهم، وكم من عدد وفير وجمع كثير فرقه الخوف على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم، وصاروا خاذلين معاونين على قتل الحسين وأصحابه، فإننا لله وإننا إليه راجعون، بينا مسلم بن عقيل يحاصر قصر ابن زياد بجيش وفير لأجل استنقاذ هانيء بن عروة، حتى استطاع ابن زياد استمالة رؤساء

القبائل وأشرفهم بالمال والترغيب أو التهديد والترهيب حتى فرقوا قبائلهم وأصحابهم، ولم يبق مع ابن عقيل عين تطرف، حتى بقي وحيداً يمشي في شوارع الكوفة وأزقتها، فالويل للجناء والويل لعبدة الدينار والدرهم، وما أكثرهم في هذه الأزمنة.

ولقد كان لوقعة الحسين عليه السلام صدى في جانب التوفيق والهداية لمن اهتدى واستبصر، فقد وفق الله جماعة ممن لقيهم الحسين في الطريق، والتحقوا بركب الحسين عليه السلام، فكان ختام حياتهم الشهادة والفداء لابن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، كما حصل لزهير بن القين:

فإن الإمام الحسين لما وصل إلى منطقة زرود، لقي زهير ابن القين البجلي، فلم يكن شيء أبغض إلى زهير من مساورة الحسين في منزل، فكان زهير إذا سار الحسين تخلف عنه، وإذا نزل الحسين تقدم زهير، حتى نزل في منزل لم يجد زهير بداً من أن ينازله فيه، فنزل الحسين في جانب ونزل زهير في جانب، فبينما زهير ومن معه جلوس على طعام لهم، إذ أقبل رسول الحسين حتى سلم ثم دخل فقال: يا زهير بن القين، إن أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه قال: فطرح كل إنسان ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير، فقالت امرأة زهير بن القين: أبيعك اليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه؟ سبحان الله لو أتيتته فسمعت من كلامه، ثم انصرفت، قالت: فأتاه زهير بن القين فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم، وحمل إلى الحسين، ثم قال لامرأته: أنت طالق، الحقي بأهلك، فاني لا أحب أن يصيبك من سبيي إلا خير، ثم أعطها مالها وسلمها إلى بعض بني عمها ليوصلها إلى أهلها، فقامت إليه وبكت وودعته وقالت: كان الله عوناً ومعيناً، خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين ثم قال لأصحابه: قد عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي وأقيه بروحي فمن أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد، إني سأحدثكم حديثاً: غزونا بلنجر، ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان

الباهلي: أفرحتهم بما فتح الله عليكم وأصبتهم من الغنائم؟ فقلنا: نعم، فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم منكم بما أصبتهم من الغنائم، فأما أنا فاني استودعكم الله، قال: ثم والله ما زال في أول القوم حتى قتل.

أيها المؤمنون: كان استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في يوم عاشوراء العاشر من المحرم، في ذلك اليوم المشهور في فضله، فلم يرعوا فيه حرمة جده صلى الله عليه وآله وسلم، ولا حرمة الشهر الحرام، ولا حرمة اليوم الحرام، ولا حرمة الإسلام.

ومقتل الإمام الحسين عليه السلام في ذلك اليوم، لا ينافي ما ورد من الروايات الكثيرة على سنية واستحباب صيام يوم عاشوراء، بل إن الصيام يكون فيه المواساة أكثر وأعظم، وقد ورد الكثير من الأحاديث في فضل صيام عاشوراء، نذكر منها: ما روي عن ابن عباس، قال: ما صام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يوماً لتحري فضله على سائر الأيام إلا يوم عاشوراء.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ليس ليوم فضل على يوم في الصيام إلا شهر رمضان ويوم عاشوراء)).

وعن أبي قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من صام يوم عاشوراء كان كفارة سنة)).

وعن جعفر عن أبيه قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: صوموا يوم عاشوراء التاسع والعاشر احتياطاً فإنه كفارة السنة التي قبله، فإن لم يعلم به أحدكم حتى يأكل فليتم صومه.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: صيام يوم عاشوراء يعادل صيام سنة، وهو صيام يوم الصبر.

وقفنا الله وإياكم لرضاه، وأعاننا على تقواه، وجعلنا من الذين يستمعون القول

فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

٥- حول مقتل الحسين وأهل بيته وأصحابه**الخطبة الأولى**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، نحمده على كل نعمة، ونشكره على كل حسنة، ونستغفره من كل ذنب، ونتوب إليه من كل خطيئة. وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، سيد أنبياء الله ورسله. أما بعد أيها المؤمنون:

لقد كانت وقعة كربلاء أعظم وقعة عرفها التاريخ في كافة مقوماتها وأحوالها، وفي جميع أشكالها، فهي في فظاعتها لم يسبق لها مثل، وفي مظلوميتها ليس لها نظير، وليس فيها تكافئ من أي ناحية من النواحي، فالجانب المظلوم منها ابنُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخيارُ أهل بيته وأصحابه، الذين لا يوجد على ظهر الأرض في وقتهم أبر ولا أطهر ولا أوفى ولا أتقى منهم، وفي الجانب الظالم المتعدي يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد ومن معهم من عبيد الدنيا الذين لا يوجد على ظهر الأرض أشقى ولا أضل ولا ظلم ولا أقسى منهم، فقد نزعت الرحمة والرأفة والشفقة من قلوبهم، وتجردوا عن الدين والإسلام، وتعروا عن الأخلاق والشيم، تصطف عشرات الآلاف صفوفاً شاهرين لسيوفهم، مشرعين لأرماحهم، مادين لأقواسهم ونبالهم في وجوه طائفة لا يصل عددهم المائة فيهم النساء والصبيان والضعفة والمرضى.

فلما علم عبيد الله بن زياد بتوجه الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة بعد أن أرسل أهلها إليه ببيعاتهم، وعلم باقترابه منها أرسل الحرَّ بن يزيد الرياحي في ألف فارس كي يمنع الحسين من وصول الكوفة أو الرجوع إلى مكة أو المدينة أو أي جهة أخرى،

بل أمره أن يجتمع بالحسين حتى يأتيه الأمر من قبله، ثم إن ابن زياد أرسل عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ شَمْرَةَ بْنَ ذِي الْجَوْشَنِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، ثُمَّ يَزِيدَ الْكَلْبِيِّ فِي أَلْفَيْنِ، وَالْحَصِينَ بْنِ نَمِيرٍ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، وَالْمَازِنِيَّ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ، وَنَصْرًا فِي أَلْفَيْنِ، فَكَانَ الْجَمُوعُ خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ أَلْفًا، كَانَ تَمَامَ هَذَا الْعَدَدِ فِي السَّادِسِ مِنْ مَحْرَمٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ ابْنُ زِيَادٍ كَعْبَ بْنَ طَلْحَةَ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ، وَشَبْثَ بْنَ رَبِيعِي فِي أَلْفٍ، وَحَجَّازَ بْنَ أَبِجْرٍ فِي أَلْفٍ، وَمَا زَالَ ابْنُ زِيَادٍ يُرْسِلُ الْعَسَاكِرَ تَلُوَ الْعَسَاكِرَ، وَالْكَتَائِبَ تَلُوَ الْكَتَائِبَ، الْيَوْمَ بَعْدَ الْيَوْمِ، حَتَّى بَلَغُوا خَمْسَةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَاشَرُوا الْحَرْبَ، وَحَضَرُوا الْوَقْعَةَ، دُونَ مَنْ أَبْقَاهُمْ ابْنُ زِيَادٍ فِي الْمِصْرِ، وَغَيْرَ الْجِيُوشِ الَّتِي قَدْ أَعَدَّهَا يَزِيدٌ فِي الشَّامِ لِلْمَدَدِ، وَالْحَسِينِ فِي أَقْلٍ مِنَ الْمِائَةِ مَا بَيْنَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ، وَرَجُلٍ وَامْرَأَةٍ وَصَبِيٍّ، فَقَدْ كَانَ فِي مَقَابِلِ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسِينِ أَرْبَعِمِائَةٍ وَعِشْرُونَ مِنْ جِيُوشِ الطَّغَاةِ، فَلَوْ لَمْ يَرْمِ أَوْلَئِكَ الطَّغَاةُ الْحَسِينَ وَأَصْحَابَهُ إِلَّا بِالْحِجَارَةِ لِأَفْنُوهِمْ، فَكَيْفَ وَهُمْ فِي الْعُدَّةِ وَالسَّلَاحِ الْكَامِلِ.

وَلَمْ يَكْتَفُوا بِهَذَا حَتَّى أَتَتْهُمُ الْأَوَامِرُ الزِّيَادِيَّةُ بِمَنْعِ الْحَسِينِ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْمَاءِ كَيْ يَمُوتُوا عَطْشًا، وَلَمْ يَرَاعُوا طِفْلًا وَلَا امْرَأَةً وَلَا مَرِيضًا، فَقَدْ خَلَعُوا مَعَ الدِّينِ الْإِنْسَانِيَّةَ وَالشِّيمَ، وَصَارُوا مُتَجَرِّدِينَ مِنْهَا، مَنَعُوا الْحَسِينِ وَأَصْحَابَهُ أَنْ يَشْرَبُوا مِنْ نَهْرِ الْفِرَاتِ الَّذِي تَشْرَبُ مِنْهُ الْوَحُوشُ وَالسَّبَاعُ، وَالْهُوَامُ وَالِدَوَابُّ، فإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ثُمَّ إِنْ الْحَسِينِ طَلَبَ مِنَ الْقَوْمِ أَنْ يَتْرَكُوهُ كَيْ يَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ أَوْ أَيِّ مِصْرٍ مِنْ بِلْدَانِ الْإِسْلَامِ، فَأَبَوْا حَتَّى يَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِ ابْنِ زِيَادٍ وَيَزِيدَ لِلْبَيْعَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَضَ الْحَسِينُ عَلَيْهِ السَّلَامَ أَنْ يَسْلَمَ لِلذَّلَّةِ فِي مَقَابِلِ أَنْ يَعِيشَ، وَاخْتَارَ الْعِزَّةَ وَالْكَرَامَةَ، وَلَوْ كَانَتْ النَتِيجَةُ أَنْ يَمُوتَ وَمِنْ مَعَهُ.

وَأَخَذَ الْإِمَامُ الْحَسِينُ عَلَيْهِ السَّلَامَ يَحَاجِجُ الْقَوْمَ وَيَخَاطِبُهُمْ وَيَذَكِّرُهُمْ، فَمَّا قَالَ لَهُمْ:

(أيها القوم: ارجعوا إلى أنفسكم، فانظروا من أنا، فأنا الحسين بن فاطمة، جدي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبي علي بن أبي طالب فارح الكرب عن رسول الله وأول من قال لا إله إلا الله معه، وأمي فاطمة بنت رسول الله سيدة النساء، والله ما بين جابلص - وهي آخر بلد في المشرق - وجابلق - آخر بلد في المغرب - ابن بنت نبي غيري، أما في هذا مانع لكم عن قتلي وسفك دمي)، فلم يجيبوا عليه.

ثم إنه عليه السلام أراد تأكيد الحجّة عليهم فقال لهم: (يا قوم: بماذا تستحلون قتلي وسفك دمي، أبقيتل قتلته منكم؟! أم بما أخذته عليكم؟!)، فلم يردوا عليه جواباً، ولم يلقوا إليه خطاباً، وكأن على رؤوسهم الطير.

وبعد هذه الخطابات من الحسين قام بعض أصحابه بخطاب تلك الجموع الغاشمة، يعظونهم ويخوفونهم ويزجرونهم عن الإقدام على هذه الجريمة البشعة، إلا أنها عبارات تحملها الرياح دون أن تؤثر في القلوب التي قد طبع عليها حب المال، فأصبحت لا ترى شيئاً سواه.

ثم إن الإمام الحسين عليه السلام طلب لقاء عمر بن سعد شخصياً، فوجه الإمام الحسين وبيّن له شناعة موقفه، وسوء عاقبته، وقال له: (أتيت لقتلي، تريد أن يولييك الدعي ابن الدعي بلاد الري وجرجان، أما والله لا تتهنأ بذلك أبداً، ولا تتهنأ بعدي بدنيا ولا آخرة، عهداً عهدته إليّ أبي)، فلم ينفع ذلك ولم يؤثر، لأن أمر الأمير عندهم أصبح فوق أمر الله.

فلما فشلت كل المحاولات من الحسين وأصحابه في ثنيهم عن رأيهم، وردهم عن قبيح فعلهم، قام الحسين عليه السلام فجهز أصحابه، وكلّ عبّاً أصحابه ورتب جيشه، إلا أن جيش الحسين يزيد على جيش العدو بأضعاف مضاعفة في الدين والإيمان والتقوى، وجيش العدو عار عن الدين والإيمان زائد في العدة والعدد، وتوالت الكتب والرسل من ابن زياد إلى ابن سعد في تعجيل قطع النزاع، وسرعة

حسم الموقف، إما أن ينزل الحسين على حكم ابن مرجانة أو يقتل، ولا يقبل منه أن ينزل على حكم يزيد لو طلب على الفرض والتقدير، فكان بداية المعركة أن أمرهم ابن سعد برمي الحسين ومن معه بالسهم، فأخذ ابن سعد سهماً ورمى به في عسكر الحسين، وقال: اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى، ثم رمى ببقية الجيش حتى لم يبق أحد من أصحاب الحسين إلا أصيب منها، فقد كانت كوابل المطر.

ثم خرج يسار مولى زياد بن أبيه، وسالم مولى عبید الله بن زياد، فبرز إليهما عبد الله بن عمير الكلبي فقتلها، وقاتل حتى قتل رحمة الله عليه.

ثم تتابع أصحاب الحسين واحداً تلو الآخر يحتسبون أنفسهم عند الله تعالى، مقدمين أنفسهم فداءً للحسين وآل الحسين.

ثم جاء دور أهل البيت فكان علي بن الحسين الأكبر أولهم قتلاً في سبيل الله، وتتابع آل عقيل وآل جعفر وإخوة الحسين وأولاد أخيه الحسن حتى قتلوا عن آخرهم.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر لنا ولكم سالف ذنوبنا فيما

خلا من أعمارنا، وعصمنا من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إنه على كل شيء

قدير، بسم الله الرحمن الرحيم {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا

يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ

وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً * وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى

أَجَلٍ قَرِيبٍ نُنَجِّبُ نَجْبٍ دَعْوَتِكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُلَ أَوْلَمَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّن

زَوَالٍ}، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبير الظالمين، وقاصم الجبارين، والمنتقم للمظلومين.
وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم
النبیین، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: بقي الإمام الحسين وحيداً في أرض المعركة يلتفت يميناً
وشمالاً فلا يرى مغيثاً ولا ناصرًا، وهو يرى جثث أصحابه وأهل بيته عن يمينه ويساره
ومن أمامه وخلفه، قد مزقتهم السيوف والرماح، وينظر إلى النساء ليس معهن من
يحميهن أو يدافع عنهن، ويعلم مصيرهن بعده، وفي تلك الأثناء العطش يفتت
كبده، ويضعف جهده، وينهك جسده، وجيش العدو قد ارتفعت معنوياتهم،
واستبشروا بخسراهم، وجاء دور الأسد فقد قتل الأشبال، وحان وقت الوفاء لأولئك
الأبطال، فتقدم الحسين عارفاً بمصيره، محتسباً لنفسه، ناسياً كل تلك الأمور التي كل
واحد منها كافٍ في ضعفه ووهنه وفشل موقفه، فصال عليهم وجال فيهم، حتى
فرقهم وطردهم كما يطرد الأسد قطيع الفريسة، وهم يفرون منه كما تفر الغنم من
الذئب، وهو يقتل فيهم ويجرح، ويطعن ويضرب ولا يبالي، وهم بين راشق له
بالنبال، ورامٍ له بالحجارة والسهم، وطاعن له بالرمح، وضارب له بالسيف، من
أمامه وخلفه وعن يمينه ويساره، وهو يناجزهم وينتهز فرصة الخلل فيهم، مستعيناً
بالله عليهم، متيقناً بما يؤول إليه أمره من الفوز بالشهادة، وهو يعرف عاقبة أمرهم
من الحزي والوبال، فصارت الدماء تسيل من كل عرق ومفصل ومنبت شعرة في
جسمه، فكأنه قربة ماء مخرقة من جميع الجوانب والأنحاء، ولا يكاد يوجد موضع
أصبع في جسمه إلا وقد رمي بسهم أو طعن بسيف أو رمح، فأضعفته الجراح،
وأثكته الدماء، وهو يأخذ الدماء، ويلطخ بها جسده ويقول: (هكذا حتى ألقى

جدي، مضرجاً بدمي، فيسألکم عن سبب قتلي) وتارة يملئ كفه دماً ويرمي به نحو السماء ويقول: (يهون ما ألقى أنه بعين الله، اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً)، فغطى الدم وجهه وعينه.

ثم ضربه رجلٌ بسهم في نحره، وآخر في صدره حتى مزق قلبه، فلم يستطع حراكاً، ولم يقدر على الدفاع عن نفسه، ثم ضربه آخرٌ بالسيف على كتفه حتى سقط على الأرض طريحاً صريعاً، وقد تغطى جسده بالدماء كأنه قد لبس ثوباً أحمر.

فلما أيسوا من دفاعه، وتيقنوا أنه عاجز عنهم تقدم شمر بن ذي الجوشن وسانان النخعي فلما رأهما الحسن عليه السلام رفع بصره إليهما، ورمقهما بنظرة شديدة، فرجعا إلى الوري ظناً منهما أنه سيقوم للمقاومة، فقال الحسين للشمر: من أنت؟ فقال: أنا شمر، فرأى الحسين في وجهه ويده برصاً، فقال الحسين: صدق جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أخبرني أن كلباً أبرصاً يلحق من دمائنا.

ثم تقدما فاحتزا رأسه من القفا، خوفاً من أن يرمقهما ببصره، ثم تسابق الظالمون إلى سلبه ونزع لباسه حتى عروه وجردوه عن كل شيء، ولم يكتفوا بهذا حتى أوطأوا الخيول ظهره وصدره، ولم يراعوا فيه حرمة نبوية، ولا حقوقاً دينية ولا إنسانية، ثم مالوا على النساء يسلبون ما معهن، ثم ساقوهن كما تساق السبايا إلى الكوفة، ثم منها إلى دمشق الشام، وحصل في ذلك ما هو معلوم في التواريخ والسير، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

ولما قتل الإمام الحسين عليه السلام حصلت أمور عظيمة، وتغيرات كونية مهيلة، فقد اسودت السماء، وكسفت الشمس، وظهرت الكواكب نهاراً عند العصر، وسقط التراب الأحمر من السماء.

وبقي الناس زماناً بعد مقتل الحسين والشمس تطلع حمرة على الحيطان والجدران بالغداة والعشي، وكانوا لا يرفعون حجراً إلا وجدوا تحته دماً.

وعن الأسود بن قيس قال: (احمّرت آفاق السماء بعد قتل الحسين ستة أشهر، يُرى ذلك في آفاق السماء كأنها الدم).

وعن نَصْرَةَ الأزدية، قالت: (لما أن قتل الحسين بن علي مطرت السماء دماً، فأصبحت وكل شيء لنا ملاًن دماً).

وروى عن أبي قبيل قال: (لما قُتل الحسين بن علي كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي)، أي ظنوا أنها القيامة.

وعن محمد بن سيرين قال: (لم تكن تُرى هذه الحمرة في السماء حتى قتل الحسين بن علي).

وعن أم سالم قالت: (لما قتل الحسين بن علي مطرنا مطراً كالدم على البيوت والجدران).

وعن أم سلمة قالت: (لما قتل الحسين رضي الله تعالى عنه مطرنا دماً).

وروى عن ابن سعد قال: (ما رفع حجرٌ في الدنيا لما قتل الحسين إلا وتحتته دم عبيط، ولقد مَطَرَتِ السماء دماً بقي أثره على الثياب مُدَّةً حتى تقطعت).

وقال السُّدِّي: أتيت كربلاء أبيع بها البزّ، فعمل لنا شيخ من طيء طعاماً فتعشينا عنده فذكرنا قتل الحسين فقلت: ما شَرِك في قتله أحدٌ إلا مات بأسوأ مِيتة.

فقال: ما أكذبكم يا أهل العراق، فأنا في من شرك في ذلك، فلم يبرح حتى دنا من المصباح وهو يتقد بنفط، فذهب يخرج الفتيلة بإصبعه، فأخذت النار فيها فذهب يطفئها بريقه فأخذت النار في لحيته فألقى نفسه في الماء فرأيته كأنه حممة.

وعن حاجب عبيد الله بن زياد، قال: (دخلت القصر خلف عبيد الله بن زياد، حين قتل الحسين، فاضطرم في وجهه ناز، فقال هكذا بكّمه على وجهه، فقال: هل رأيت؟ قلت: نعم، وأمرني أن أكتّم ذلك).

وعن مولى لبني سلامة قال: (كنا في ضيعتنا بالنهرين ونحن نتحدث بالليل، فقلنا: ما أحد ممن أعان على قتل الحسين خرج من الدنيا حتى أصابته بلية، قال: وكان معنا رجل من طيء، فقال الطائي: أنا ممن أعان على قتل الحسين، فما أصابني إلا خير، قال: وغشي السراج، فقام الطائي يصلحه، فعلقت النار في سبابته فمرَّ يعدو نحو الفرات فرمى بنفسه في الماء، فاتبعناه فجعل إذا انغمس في الماء رفرفت النار على الماء، فإذا ظهر أخذته حتى قتلته).

وقد انتقم الله تعالى من قتلة الإمام الحسين شر انتقام ولهم في الآخرة عذاب عظيم. فسلام الله وبركاته وتحياته ومرضاته على الإمام الحسين، وعلى آل الحسين، وعلى أصحاب الحسين، وعلى الشهداء الذين استشهدوا معه، ولعنة الله وغضبه على من قتل أو أمر أو رض أو فرح أو شارك أو خذل عن الإمام الحسين عليه السلام.

أيها المؤمنون: إذا أردنا أن نلحق بركب الإمام الحسين عليه السلام وأن نكون شركاء له في جهاده وأن نحشر معه فعلينا بالمحبة الصادقة، التي تعني الإتيان والإقتداء والتأسي، كما روي عن عطية العوفي، قال: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري زائرين قبر الحسين عليه السلام، فلما وردنا كربلاء، دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل، ثم اتزر بإزار، ثم ارتدى بآخر، ثم فتح صرة فيها سعد فشره على بدنه، ثم لم يخطو خطوة إلا ذكر الله تعالى حتى دنا من القبر، قال: يا عطية، ألمسنيه، فألمسته، فخرّ على القبر مغشياً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء، فلما أفاق قال: يا حسين، يا حسين، يا حسين - ثلاثاً، ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه، ثم قال: وأنتي لك الجواب، وقد سُخبت أوداجك على أشباحك، وفرق بين بدنك ورأسك، فأشهد أنك ابن خير النبيين، وابن سيد الوصيين، وابن حَلِيفِ التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيد النقباء، وابن فاطمة سيدة النساء، وما بالك ألا تكون هكذا، وقد غدّتك كف محمد سيد المرسلين، ورُيت في حجور

المتقين، وأرضعت من ثدي الإيمان، وفُطمت بالإسلام وطبت حياً فطبت ميتاً، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك، ولا شاكاة في الخيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه، فاشهد أنك مضيت على ما مضى عليه يحيى بن زكريا.

قال عطية: ثم جال ببصره حول القبر. فقال: السلام عليك أيتها الأرواح الطيبة التي حلت بفناء الحسين عليه السلام وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمت الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين، والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحق، لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطية: فقلت لجابر بن عبد الله: وكيف؟ ولم نهبط وادياً، ولم نعل جبلاً، ولم نضرب بسيف والقوم فرقت بين رؤوسهم وأبدانهم، فأيتمت الأولاد، وأرملت الأزواج؟! فقال لي: يا عطية، سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: ((من أحب قوماً حُشِر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم)) احذرني نحو أبيات كوفان، قال: فلما صرنا في بعض الطريق، قال لي يا عطية: هل أوصيك، وما أظني بعد هذه السفرة الأليق: أحبب محب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما أحبهم وأبغض مبعض آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما أبغضهم، وإن كان صواماً قواماً. وفقني الله وإياكم لطاعته، وجنبنا معصيته، ورزقنا حب محمد وآل محمد واتباعهم، إنه على كل شيء قدير

٦- همجية الطغاة وأحداثهم بعد كربلاء**الخطبة الأولى**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أمدنا بالنعم السوابغ، واحتج علينا بالحجج البوالغ، وأكرمنا بالآيات والبيئات والبراهين القاطعة، وعرفنا بأهل البيت شموس الدنيا الساطعة، ونجوم الحق الطالعة، حمداً دائماً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا عديل، ولا خلف لقوله ولا تبديل. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد البشر، وقامع كل من وأشرك وكفر، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الغرر، مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، وأطواد التقى. أما بعد: أيها المؤمنون:

لم يكتف جلاوزة الجيش الغاشم، والعدو المتعدي الظالم، بقتل الإمام الحسين عليه السلام، سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بعد قتل أصحابه وأهل بيته، وبعد قتل النساء والصبيان، بل ارتكبوا أبشع الجرائم، وأشنع الفظائع، فقاموا بأعمال إجرامية، لم يسبق لها في تاريخ البشر مثيل، حيث قاموا بعدة إجراءات تدل على خبث السرائر، وتكشف عن خفايا لم تكن في الحسبان، واستخدموا أنواع التهديد والترهيب والإفزاع والترويع، ونذكر بعض الأعمال الإجرامية:

الأول: تسابق الطغاة المجرمون، وتسارع اللصوص السلابون، إلى عملية إجرامية عالية المستوى في اللؤم والوقاحة، إلى سلب ما كان على الإمام الحسين من لباس، فمنهم من سلب عمامته، ومنهم من أخذ قميصه، ومن أخذ خاتمه وقطع إصبعه، وقد وصلت بهم الدناءة والحقارة إلى أن منهم من انتزع سراويل الحسين عليه السلام، ومنهم من نهب نعليه، ولكن الله تعالى عاقبهم جميعاً.

الثاني: انتدب عمر بن سعد عشرة من الفرسان ليقوموا بوطئ جسد الإمام الحسين وأصحابه بحوافر الخيول، فداسوا البطون والظهور حتى كسروا الأضلاع، وأعطاهم على ذلك جائزة يسيرة، وهذه المثلة بأجساد القتلى لم يسبقهم إليها غيرهم من جبابرة التاريخ.

الثالث: لم يكتف جلاوزة بني أمية، أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله، بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام بسلبه ورضّ جسده الطاهر بحوافر الخيل، بل جاوزوا ذلك فعدوا على المخيم لنهب ما فيه، فقد هجموا وهم على خيولهم بكل وحشية على خيام الإمام الحسين، حتى سحقوا سبعة من الأطفال تحت حوافر الخيل أثناء الهجوم، ولقد كان ذلك الهجوم على العائلة المفجوعة بعيداً عن الرحمة والإنسانية، وتسابق القوم إلى نهب بيوت آل الرسول، وهتك ستر حُرّم رسول الله صلى الله عليه وآله بسلب ما عليهن من حلي بصورة مفجعة يندي لها جبين كلّ غيور، حتى جعلوا ينزعون ملحفة المرأة عن ظهرها، وكانت المرأة تجاذب على إزارها وحجابها حتى تغلب على ذلك، والطغاة يسوقون النساء برماحهم، ويتزعون خروصهن من آذانهن حتى يسيل الدم، وهن يلذن بعضهن ببعض، وقد أخذ ما عليهن من أخمرة وأسورة، وهن يصحن ((وا جداه! وا أبتاه! وا عليها! وا قلة ناصره! واحسيناه! أما من مجير يجيرنا؟ أما من ذائد يزود عنا؟)).

ولم يكن هذا كافياً فلما فرغ القوم من النهب والسلب، أمر عمر بن سعد بإحراق الخيام، فأضرموا الخيم ناراً، ففررن بنات رسول الله من خيمة إلى خيمة، ومن خباء إلى خباء، وهن صائحات باكيات، وبعد ذلك الهجوم والإحراق أخذت السيدة زينب تتفقد النساء والأطفال، وتنادي كل واحدة منهن باسمها، وتعددهم واحداً واحداً، وتبحث عنمن لا تجده مع النساء والأطفال، بل إنها قامت بعملية فدائية منقطعة النظير، ومغامرة خطيرة، حيث تقحمت النيران ودخلت الخيمة التي كان

يتواجد فيها الإمام زين العابدين، وهو عليل لا يستطيع القيام، فأخذته وأخرجته من بين النيران، يا لها من تضحية كبيرة.

الرابع: لم يكتف الطغاة المستأجرون بتلك الأفعال الشنيعة، فقد ارتكبوا جريمة أخرى من الجرائم الفظيعة التي شهدتها كربلاء، وهذه الجريمة كشفت نقاباً آخر عن خبث سريرة النظام الأموي، فبعد انتهاء معركة الطف صدر أمر عمر بن سعد بقطع الرؤوس فقطعت وأقتسمتها القبائل للتقرب من ابن زياد ويزيد، الذي سبق وأن أصدر أوامره بقطع رأس الحسين إلى والي المدينة بأخذ البيعة وإلا قطع رأسه، وقد نفذ هذه الأوامر عمر بن سعد على أرض كربلاء، وفرح وهلل له ابن زياد، فكانت القبائل والعشائر تتنافس في قطع تلك الرؤوس الطاهرة.

وقد سرح عمر بن سعد من يومه ذلك وهو يوم عاشوراء برأس الإمام الحسين عليه السلام مع خولي بن يزيد الأصبحي، إلى عبید الله بن زياد، ثم أمر برؤوس الشهداء الباقين، ما عدا رأس الحر الرياحي الذي منعت عشيرته من قطع رأسه، وسرح بها مع شمر بن ذي الجوشن، وقيس بن الأشعث، وعمرو بن الحجاج، فأقبلوا حتى قدّموا على ابن زياد.

الخامس: ليست هذه نهاية الجرائم، ولم تنته الأحداث بعد، والظلم لا زال في بداياته، فبدلاً من مواساة العائلة المفجوعة، التي قد صرع رجالها، وهم مزملون بدمائهم، وأطفالها مذبحون، والأموال قد نُهبت، والأزر والأردية والمقانع قد سلبت، والظهور والملتون قد سودتها السياط وكعاب الرماح ضرباً، العائلة التي ليس لهم طعام حتى يقدموه لأنفسهم ولمن تبقى من الأطفال معهم، وقد جف اللبن في صدور المراضع جوعاً وعطشاً خوفاً وهلعاً.

العائلة الكريمة التي هي أشرف عائلة على وجه الأرض وأطهرها وأتقها التي باتت وهي لا تملك شيئاً، لا غطاءً ولا فراشاً، ولا ضياءً، ولا أثاثاً، ولا طعاماً.

فبدلاً من مواساتهم في تلك الحال الموحجة جاءت المواساة من نوع آخر، فقد أمر عمر بن سعد بأن تحمل النساء على أقتاب الإبل بلا وطاء ولا حجاب، فقدمت النياق لترحيل حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لقد كانت هذه المواساة في منتهى القساوة والفظاظة، وكأنها حالة انتقام منهن أيضاً، إنها وصمة خزري وعار لا تمحى ولا تزول بمرور القرون، لقد وصموا جبهة التاريخ الإسلامي بهذا العار.

وتم سوق بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا من كربلاء إلى الكوفة، حيث مروا بهن على القتلى، وهم جثث مزملة بالدماء، مطروحة على الثرى، وقد فرق بين رؤوسهم وأجسادهم، والريح تسفي عليهم، فلما نظرت النسوة إلى تلك الجثث صحن وبكين ولطمن خدودهن، وهن يندبن القتلى، ووصلن إلى الكوفة حاسراتٍ، لغباتٍ جائعاتٍ، مفجوعاتٍ مرعوباتٍ، وقد انتحبت حلوقهن، وتقرحت من البكاء عيونهن، وشحبت من التعب وجوههن، والرؤوس في مقدمتهن، وحصل في الكوفة ما حصل.

ثم جاء الأمر من يزيد بإرسال الرؤوس والسبايا إلى الشام، فاستدعى ابن زياد مفخر بن ثعلبة العائذي، وشمير ابن ذي الجوشن، للإشراف على القافلة ومن معها من الحرس، وسلم إليهم الرؤوس والأسرى، وأمر بعلي بن الحسين عليه السلام أن تُغل يده إلى عنقه بسلسلة من حديد، فساروا بهن إلى الشام كما يسار بسبايا الكفار، يتصفح وجوههن أهل الأقطار، ولقد كانت رحلة مليئة بالإزعاج والإرهاق، وأنواع الصعوبات، فقد كان الحراس المرافقون قد تلقوا الأوامر بأن يعاملوا النساء والأطفال بمنتهى القساوة والفظاظة والغلظة، فلا يسمحوا لهم بالإستراحة اللازمة من أتعاب الطريق ومشاقه وصعوباته، وأن يواصلوا بهم السير الحثيث، للوصول إلى الشام وتقديم الرؤوس الطاهرة إلى الطاغية يزيد.

وبعد مشقة السير، ووعورة الطريق، وتعب السفر، وطول المسافة، والجوع الشديد، والسهر والعناء، وصل موكب الحزن والأسى إلى دمشق من بلاد الشام: عاصمة الأمويين، ومركز قيادتهم، وبؤرة الحقد والعداء، ومسكن الأعداء الألداء، فأمروا بتزيين المدينة بأنواع الزينة، والإعلان في الناس عن وصول قافلة أسارى وسبايا خرج رجالهم من الدين وتمردوا من طاعة الخليفة، فحكم عليهم يزيد بالقتل فقتلهم وسي نساءهم ليعتبر الناس بهم، ويعرفوا مصير كل من يتمرّد على حكم يزيد.

ولما أدخلوهن دمشق طافوا بهن في شوارع المدينة المؤدية إلى قصر الطاغية يزيد، ومعهن الرؤوس على الرماح، ثم جاؤوا بهن حتى أوقفوهن على دكة كبيرة كانت أمام باب المسجد الجامع بدمشق، حيث كانوا يوقفون سبايا الكفار على تلك الدكة، ويعرضونهم للبيع، ليتفرج عليهم المصلون عند دخولهم إلى المسجد وخروجهم منه، وبذلك يختارون من يريدونه للإستخدام ويشترونه.

ثم وفدوا بهم إلى قصر يزيد، فلما أدخلوهم إليه ربطوهم بالحبال في أعناقهم وأكتافهم، وأدخلوهم عليه، فجعل يتفحصهم ويتأمل في وجوههم. ثم حصلت المصيبة الأليمة حيث وضع رأس الحسين بين يدي يزيد، وأمر بالنساء أن يجلسن خلفه لثلاثين يوماً ينظرن إلى الرأس، ثم دعى يزيد بقضيب، فجعل ينكت به ثنايا الإمام الحسين.

فأقبل عليه أبو برزة الأسلمي وقال: ويحك يا يزيد! أتنتكت بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة؟! أشهد لقد رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن ويقول: ((أنتما سيدا شباب أهل الجنة، قتل الله قاتلكما ولعنه وأعد له جهنم وساءت مصيراً))، فغضب يزيد وشجهه بالقضيب على وجهه، وأمر بإخراجه، فأخرج سحياً، وجعل يزيد يقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
 لأهلوا واستهلوا فرحاً
 قد قتلنا القرم من ساداتهم
 لعبت هاشم بالملك فلا
 لست من خندف إن لم أنتقم
 من بني أحمد ما كان فعل

ودار في مجلس يزيد ما دار من الخطب والكلام، وحصلت قضايا كثيرة فهِم الكثير من الناس من خلالها مظلومية الحسين وأهل البيت، فحشي يزيد من التوتر والإضطراب الموجب لضعفت الوضع في الشام، فاتخذ التدابير اللازمة للسلامة من الخطر المتوقع.

فأمر بإرجاع الأسرى إلى المدينة المنورة، وخلال الطريق ألحوا على الحراس أن يتجهوا بهم إلى المدينة عن طريق العراق للعودة إلى كربلاء وزيارة الشهداء، فلم يجد الحراس بُدّاً من الإستجابة.

فلما وصلوا إلى كربلاء تجدد العزاء، واجتمع أهل السواد والنواحي لزيارة الحسين والشهداء معه، فحصل ما حصل من سكب العبرات، وتجدد الزفرات، إلى غير ذلك.

ثم من كربلاء إلى المدينة المنورة التي بها قبر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فوصلوا إلى المدينة ناعين ونادين للحسين إلى جده المصطفى، وشاكين عليه ما حصل لهم من الظلم والإضطهاد، والتعذيب والإهانة، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر لنا ولكم سالف ذنوبنا فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إنه على كل شيء قدير، بسم الله الرحمن الرحيم {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْبِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ * وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُنَجِّبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ}، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

انتقام الله من قتلة الحسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي المؤمنين، وناصر المظلومين، ومؤيد المستضعفين، والمنتقم من الظالمين والجبارين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين. أما بعد: أيها المؤمنون:

كادت الدنيا أن تكون دار جزاء، في الوقت الذي يكون الظالم فرحاً مسروراً بظلامته، وقد شفى غليله من المظلوم، تكون فعلته تحت المراقبة الربانية، وفي ميزان العدل الإلهي، فما هو إلا أن يباشر الظلم حتى تبدأ عدالة الانتقام، فالظالم والمظلوم تحت ظل القانون الإلهي، الذي لا يتغير وإن طال الزمن، فالمظلوم له حق لا يضيع، ودعوة مستجابة لا ترد، والظالم له سيف العدل يرغم أنفه، ويتعس خده، ويقتص منه ولو بعد حين.

والتاريخ له عين بصيرة، وذاكرة لا تضيع ولا تنسى، فقد سجل في ذاكرته أسماءً عديدة من الصنفين، من المظلومين والظالمين، ومن أشد القضايا وضوحاً، وأكبرها دلالة واقعة كربلاء، التي حدث فيها من الظلم ما لم يكن له مثيل في التاريخ، فمن أكثر ظلماً، وأشد قسوة من قتلة الحسين بن علي عليهما السلام؟ الذين قتلوه تلك القتلة البشعة، ومثلوا بجسده الشريف، وسلبوه، ونهبوا رحله، ونكّلوا بأهله وعياله وأصحابه، ولكن ذلك كله بعين الله، كما قال الإمام الحسين عليه السلام (يهون عليّ ما ألقى أنه بعين الله)، فهو على يقين من أن الله تعالى لن يترك هذه الجريمة تذهب سدى.

فقتلة الإمام الحسين لم يمهلهم الله تعالى بعد الإمام الحسين عليه السلام إلا برهة من الزمن حتى اقتص منهم، وانتقم منهم، وذلك القصاص والانتقام ليس هو الجزاء

الأوفى لهم، فلهم في الآخرة عذاب شديد، وإنما جعله الله تعالى في الدنيا عبرة وعظة لمن يتعظ ويعتبر.

وقد تنوع الإنتقام منهم كما تنوع ظلمهم، فلندكر بعض الإنتقامات الإلهية لأولئك المجرمين:

أما عبيد الله بن زياد الدعي الذي أرسل الجيوش لقتل الحسين: فقد قتله إبراهيم بن مالك الأشتر في وقعة نهر الخازر بالموصل شمال العراق، فاحتز رأسه، واستوقدوا عاثة الليل بجسده، وبعث إبراهيم بن الأشتر برأس ابن زياد ورؤوس أعيان من كان معه إلى المختار، فقدم بالرؤوس والمختار يتغدى، فألقيت بين يديه، فقال: الحمد لله رب العالمين! وُضع رأس الحسين بن علي عليه السلام بين يدي ابن زياد لعنه الله وهو يتغدى، وأتيت برأس ابن زياد وأنا أتغدى! فلما فرغ المختار من الغداء قام فوطئ وجه ابن زياد بنعله، ثم رمى بالنعل إلى مولى له وقال له: إغسلها؛ فإني وضعتها على وجه نجس كافر، ثم بعث برأس ابن زياد إلى محمد بن الحنفية وإلى علي بن الحسين عليه السلام، فأدخل عليه وهو يتغدى، فقال عليه السلام: أُدخلت على ابن زياد (يعني حين أُسر وجيء به إلى الكوفة) وهو يتغدى ورأس أبي بين يديه، فقلت: اللهم لا تُمتني حتى تُريني رأس ابن زياد وأنا أتغدى، فالحمد لله الذي أجاب دعوتي.

وأما أبجر بن كعب الذي سلب الإمام وأخذ قناع زينب:

فكانت يدها بعد ذلك تتيسان في الصيف كأنهما عودان، وتترطبان في الشتاء فتنضحان دماً وقيحاً، ثم أسره إبراهيم بن الأشتر، فلما وقف بين يديه، قال له: يا ويلك ما فعلت يوم الطف؟

قال: أخذت قناع زينب من رأسها وقرطبيها من أذنيها، فجذبتها حتى حرمت أذنيها.

فقال له إبراهيم - وهو يبكي - : يا ويلك ما قالت لك؟

قال: قالت: قطع الله يديك ورجليك، وأحرقك الله تعالى بنار الدنيا قبل نار الآخرة.

فقال إبراهيم له: يا ويلك ما حجلت من الله تعالى؟! ولا راقبت فيها جدها رسول الله صلى الله عليه وآله؟! ولا أدركتكَ الرأفة عليها؟
ثم قال له: اطلع يديك فأطلعهما وإذا هما مقطوعتان، ثم قطع إبراهيم رجله ثم أحرقه بالنار.

وأما أخنس بن يزيد: الذي أُمّر على الخيل الذين أمرهم عمر بن سعد بوطء جسد الحسين عليه السلام بسنابك الخيل، وهو الذي سحب نطعاً من تحت علي بن الحسين عليه السلام وهو عليل حتى كبّه على وجهه، وخرم أذني صفية بنت الحسين حين سلبها قرطين في أذنيها.

فإنه انطفأ السراج ليلة فقام لإصلاحه، فاشتعلت يده، ففركها في التراب فلم تنطف، فصاح، فصبوا عليها ماء فلم ينفج، بل لما شمت النار رائحة الماء ازدادت قوة، فرمى بنفسه في النهر، فكلما ركس جسمه في الماء اشتعلت في جميع بدنه، كالخشبة البالية في الريح، فلم تنطفئ النار حتى صار فحمًا، وسار على وجه الماء.
وأما أخنس بن مرثد: الذي سلب عمامة الحسين عليه السلام، فلما اعتم بها، صار معتوهاً مجذوماً.

وأما إسحاق بن حويّة: وهو الذي سلب قميص الحسين عليه السلام، فصار أبرص، ثم أخذه المختار وقتله ثم أحرقه بالنار.

وأما أسود الأوسي: الذي أخذ نعلي الحسين عليه السلام فقتله المختار ثم أحرقه بالنار.
وأما أسود بن حنظلة: الذي أخذ سيف الحسين، فقتله المختار ثم أحرقه بالنار.
وأما بجدل بن سليم الكلبي: الذي أخذ خاتم الحسين ولما لم يتمكن من إخراج الخاتم قطع إصبعه الشريف مع الخاتم، فأخذه المختار، فقطع يديه ورجليه وتركه يتشطح في دمه حتى هلك.

وأما بحير بن عمرو الجرمي: الذي أخذ سراويل الحسين عليه السلام، فصار زَمناً مقعداً من رجله، فقتله المختار ثم أحرقه بالنار.

وأما بشير بن مالك: الذي جاء برأس الحسين عليه السلام إلى الكوفة، فلما وضعه بين يدي ابن زياد لعنه الله قال:

أوقر ركابي فضة وذهبا فقد قتلت الملك المحجبا
ومن يصلي القبلتين في الصبي وخيرهم إذ يذكرون النسبا
قتلت خير الناس أمأ وأبا

فقال له ابن زياد: قد علمت أنه خير الناس أمأ وأبأ فلم تقتله، ثم أمر به فقتل.

وأما تميم بن حصين: الذي خرج من عسكر عمر بن سعد فنادى: يا حسين، ويا أصحاب الحسين! أما ترون إلى ماء الفرات يلوح كأنه بطون الحيات؟! والله لا ذقت منه قطرة حتى تذوقوا الموت عطشاً، فقال الحسين عليه السلام: من الرجل؟ فقيل: تميم بن حصين.

فقال الحسين عليه السلام: هذا وأبوه من أهل النار، اللهم اقتل هذا عطشاً في هذا اليوم، فخنقه العطش حتى سقط عن فرسه فوطأته الخيل بسنابكها، فمات عطشاناً. ولم يبق أحد ممن شارك في قتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه إلا انتقمه الله تعالى في الدنيا شر انتقام وهم في الآخرة عذاب النار.

وفقنا الله وإياكم لصالح الطاعة والعمل، وعصمنا من الزبغ والزلل، إنه على كل شيء قدير، وهو عليه يسير.

٧- حول انتساب الزيدية إلى الإمام زيد

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بأهل بيت النبوة، وجعلهم أدلة على الحق وقدوة، ورفع بهم منار الدين وأعلاه، وأشاد بهم بنيان الهدى وقواه، وأزال بهم ظلمات الجهل وعشاوته، ومحى بهم ضلالات الباطل وغشاوته، وقمع بهم أهل الزيغ والكفر والنفاق، وزلزل بهم عروش أهل الكبرياء والشقاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا عديل، ولا خلف لقوله ولا تبديل. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين المأمون، بلغ الرسالة كما أمره الملك الجليل، وأدى الأمانة بكل ما يمكنه من التبليغ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: نريد أن نتكلم في هذه الخطبة عن موضوع هام للغاية، وهو الكلام عن الزيدية ومبادئها، فلا ينبغي لأبناء الزيدية ورجالها، أن يجهلوا أمر مذهبهم، لا سيما في هذا العصر، الذي هو عصر (غريلة الأفكار)، وزمان (تقلبات العقائد)، ووقت (انتشار الفرق)، ودهر (مضلات الفتن)، والناس في هذه الأزمنة يعيشون في ظل ظروف تخضع (للأمور المادية)، وفي طقوس صالحة (لتغيير المبادئ)، فلا بد أن يعرف الإنسان عقائده ومبادئه، حتى لا يقع في الضلالات، وحتى لا يستنزه أهل الأهواء بأقوالهم، ويخدعوه ويغرروه بأن ما زيفوه عليه هو قول أهل مذهبه، بل لا بد أن يكون على معرفة تامة حتى يميز بين الحق والباطل، وحتى يأمن من الضلالات أن تصل إليه.

لقد رسم الإمام زيد عليه السلام طريقاً واضحاً، ومنهجاً مستقيماً، أحيا به ما أماته الظالمون من شرائع الدين، وأشاد به ما هدمه أهل الضلال من أركان اليقين، وجمع به ما فرقه المبطلون من أحوال المسلمين، ففتح للأمة أبواب الجهاد التي كان قد أوصدها الظالمون برهة من الزمان، وأعاد روح الحق والعدل إلى جسد الإسلام الذي كان قد فارقته، وصحح مفاهيم كانت مغلوطة، وخطأ أعمالاً قد كانت

مألوفة، فنعش وعي الأمة، وأيقظ غفلتها، ولكن لم تحصل هذه النتائج المباركة بدون عناء ولا كلفة، بل دفع الإمام عليه السلام في سبيلها أعلى الأثمان، وأرخص من أجلها أغلى وأنفس ما يملكه الإنسان، فقد كان الثمن هو دمه الزكي، ونفسه التقية، ودماء أصحابه الأبرار الأتقياء، في مقابل التلافي لإصلاح المبادئ الدينية قبل تلفها، فقد ضحى الإمام زيد عليه السلام بنفسه ودمه وأصحابه وأهل بيته من أجل دين جده صلى الله عليه وآله وسلم، فنعم الوفاء ونعم الموفي، فلم تكن حركة الإمام زيد ومبادؤه عرضة للخمود والإنتهاء بمقتله، بل كان بمقتله عليه السلام بداية خلودها، ومن دمه الزاكي ذكاء وقودها، فقد سار على دربه أئمة الهدى إمام يتلو إماماً، وثائر بعد ثائر، ولكي يبقى خالداً دائماً، وذكره مستمراً فقد أسس ورسم أصولاً ومبادئ انتسبت إليه بسببها الفرقة المحقة الزيدية، واتخذت من اسمه الشريف لقباً تتميز به عن سائر الفرق والطوائف، فانتسبت إليه لفظاً ومعنى، وسار على تلك المبادئ والأصول وانتهجها من بعده أئمة أهل البيت عليهم السلام، بعد أن كانت قد عفى الزمان أثرها، ومحى ظلم وتغلب الأمويين والظالمين رسمها.

أيها المؤمنون: إنَّ انتماء الزيدية إلى الإمام زيد عليه السلام ليس انتماء تقليد، كنسبة الحنفية إلى أبي حنيفة، والشافعية إلى الشافعي، والمالكية إلى المالكي، والحنبلية إلى الحنبلي، بل تلك النسبة اتباع للدليل والحجة، فإن أئمة الزيدية وعلمائها لما رأوا أن الإمام زيد أخذ أصوله ومبادئه من القرآن والسنة الصحيحة وحجة العقل، وقفوا عندها ووافقوا الإمام زيد في القول بها، وجعلوا نسبتهم إليه لكونه أول من سلك تلك المبادئ وسار عليها، فالنسبة نسبة افتخار واعتزاز، لا نسبة تقليد واتباع بغير دليل.

وتلك الأصول والمبادئ هي التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمته، وانتهجها الإمام علي عليه السلام بعده، وصرح بها في خطبه ومكاتباته، ثم تغلب الظلمة على الإسلام وأهله فأدخلوا فيه ما ليس منه، وأزالوا منه ما هو فيه، مراعاة لتثبيت قوائم عروش ملكهم.

ثم فتح ذلك الباب الإمام الحسين السبط الشهيد بن علي عليه السلام، ثم تغلب الظالمون مرة أخرى، ثم نفخ فيها روح الحياة ونعشها نعشة الدوام الإمام زيد بن علي عليه السلام، ثم سار عليها أهل البيت عليهم السلام إمام يتلو إماماً، وعالم يتلو عالماً. وتلك الأصول والمبادئ كانت قد عبثت بها أيدي العابثين، ودنستها أقلام الكاتبتين من أعوان الظالمين، وحاولوا أن يجعلوا بدلاً عنها مبادئ وأصولاً يَضْمَنُ الملوك والسلاطين معها بقائهم متربعين على كراسي الملك وخلافة المسلمين، لأن تلك الأصول والمبادئ تشكل عليهم خطراً كبيراً، وهم بسببها يتوقعون في يوم من الأيام زوال ذلك على أيدي رجال يمشون عليها كما حصل ذلك.

لأن تلك الأصول والمبادئ تنكر على الظالمين أفعالهم وتصرفاتهم وتوعدهم وتهدهدهم، فحاولوا إبدالها بما يُحَسِّنُ لهم قبيح أفعالهم، ويزين لهم شَيْنَ سَيْرِهِمْ. فمن تلك الأصول الهامة التي ابنتى عليها مذهب الزيدية: التوحيد لله وتنزيهه وتقديسه عن مشابحة خلقه ومماثلتهم في ذواتهم وأعضائهم وصفاتهم وما يطرؤ عليهم من التغير والتبدل والزوال والانتقال والهبوط والصعود والحلول في الأماكن والكون في الجهات، وتنزيهه أيضاً عن إحاطة خلقه به في ذات أو صفة فلا تقع عليه أبصارهم، ولا تحيط به أفكارهم، ولا تتخيله أوهامهم إلى غير ذلك.

ومن تلك الأصول: القول بعدل الله وحكمته، بتنزيهه وتقديسه تعالى عن الظلم والعبث والفساد، والتعالي عن خلق أفعال العباد، أو إجبارهم عليها أو الرضا والمحبة والإرادة للمعاصي والفساد، وأنه تعالى كلف عباده دون ما يطيقون، ووضع عنهم ما لا يستطيعون، وجعل لهم قوة واستطاعة على ما به تكليفهم، فلا يشيب ولا يعاقب أحداً إلا بعمله وفعله، ولا يساوي بين من أطاعه ومن عصاه من خلقه، ويتلي عباده ويمتحنهم بقدر ما تتضمنه المصلحة والحكمة التي يعلمها تعالى لهم وغير ذلك.

ومن تلك الأصول: القول بصدق الوعد والوعد، فالله لا يخلف الميعاد، فمن مات مؤمناً دخل الجنة خالداً فيها أبداً، ومن مات كافراً أو عاصياً مرتكباً للكبائر

غير تائب منها فهو من أهل النار خالداً فيها أبداً، ولا شفاعة لفاسق مرتكب للكبيرة، ومن دخل النار فلن يخرج منها بل يبقى مخلداً.

ومن تلك الأصول: الإيمان بنبوّة الأنبياء عليهم السلام، وأن الله تعالى أرسلهم لبيان أداء شكره بما شاء من الشرائع على ما منّ به من النعم، ويميز بذلك من يشكره ممن لا يشكره، وهم يتميزون بالصفات التي تكون أمهم أقرب إلى القبول من الكمال الخلقى والخلقي والصدق والأمانة والتواضع والفظانة وقوّة التدبير، منزهين عمّا يقدر في الأداء والتبليغ كالكذب وكثرة الشهوة والغفلة، والكتمان والزيادة والنقصان، ومواقعة الكبائر والصغائر المسخفة، والمباحات المنفرة نحو كثرة المزاح والمخالطة والهذر والحرف الوضيعة وأشباه ذلك، والطريق إلى معرفة الرسول هو ظهور المعجز على يديه عقيب دعواه النبوة، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم سيدهم وخاتمهم وأفضلهم، أيدته الله بالمعجزات الخارقة التي منها القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو كلام الله ووحيه وتنزيله، أحدثه الله وخلقه، وليس بقدم.

ومن تلك الأصول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي يعبر عنه بالخروج على الظالمين، وهو من الأصول المهمة، التي اشتهرت بها الزيدية واختصت به من بين طوائف الأمة، وبسببه تزلزلت عروش الظلمة.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لا غاية له ولا انتهاء.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء،
والقائم بلا عناء، والدائم بلا فناء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين والأنبياء، صلوات الله عليه وعلى آله
الأصفياء الأتقياء.

أما بعد أيها المؤمنون: نكمل الكلام حول الزيدية:

ومن تلك الأصول: القول بالإمامة وهي من أهم وأكبر وأعظم أصول الزيدية،
وامتازت به الزيدية عن كثير من الفرق، فهو يعد حلقة وصل، أو آلة فصل بينها وبين
غيرها من الفرق، فإن الزيدية تتوافق كثير من الفرق معها في كثير مما قدمنا من
الأصول، فإذا وصل الكلام إلى باب الإمامة أقدم وأحجم، وناظر وبرطم، ولوى عنقه
وتجهم، بل صار كثير من الناس في هذه الأزمنة يقول بالعدل والتوحيد والوعد والوعيد
وإذا وصل إلى الإمامة قال بغير أقوال الزيدية فيها، وعد أمرها هيناً بسيطاً بالنسبة إلى
غيرها، ويدعي مع ذلك أنه من الزيدية وإليها، ولكنه بعيد منها ولا ينتسب إليها.

فإمامة علي عليه السلام وخلافته على الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم
أمر لا تتنازل فيه الزيدية، ولا تقبل فيه المزايدة، بل أمره ودليله قوي واضح، ثم من
بعده ولداه السيدان الشهيدان الإمامان قاما أو قعدا الحسن المسموم، ثم أخوه
الحسين المظلوم، ثم هي في أولادهما محصورة فمن قام ودعا إلى الله، مجاهداً في سبيل
الله، من ذريتهما، جامعاً لخصال الإمامة، فهو الإمام المفترض الطاعة، وليس لأحد
من البشر غير ذريتهما حق فيها، ولا لغيرهم سبيل ولا طريق إليها.

ومن تلك الأصول والمبادئ: القول بتفضيل علي عليه السلام على كافة المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبعده في الفضل ولداه الحسنان وفاطمة الزهراء عليهم السلام، ثم تفضيل أهل البيت عليهم السلام على غيرهم من الأمة.

وقد حد من انتشار المذهب الزيدي وقلل من شهرته تظاهر ملوك الجور وسلاطين الظلم على أهل البيت وأتباعهم، فأصول الزيدية ومبادئها تشكل خطراً كبيراً عليهم، وعلى دوام ملكهم وظلمهم، فالزيدية توجب الخروج على الظلمة، وتقول بحصر الإمامة في أولاد البطين، مع ميل كثير من الناس إليهم، حتى خافهم الظالمون، وحرصوا على محاربتهم بشتى الوسائل، من التخويف الشديد، والطرده والتشريد، والحبس والتضييق، والقتل والصلب، فكم من رجل من أهل البيت عليهم السلام شردوه وطرده وأخافوه وقتلوه، مع ما يتمتع به أئمة الزيدية من دين رصين، وورع متين، وعلم غزير، وشجاعة وفضل، وصفات تؤهلهم لأمر لا يستحقها غيرهم، ولكونهم ممن لا تغرهم الدنيا، ولا يبيعون آخرتهم بدنيا غيرهم، فلم يخدعهم ما كان يبذله لهم أعداؤهم من الأموال الطائلة، والمناصب السامية، على أن يتركوا ما هم فيه، بل يرفضون ذلك كل الرفض، ويأبونه أشد الإباء.

ولم يكن الأذى والقتل والتخويف مقتصرًا على أهل البيت عليهم السلام بل تعدى ذلك إلى كل أتباعهم ومحبيهم، ومن مال إليهم، أو اشتهر بالحببة لهم، أو الإختلاف إليهم، أو الأخذ عنهم، مما سبب في أن يكتنم الكثير من الأشياع والأتباع مذهبهم خوفاً على النفس، أو حفاظاً على المذهب، فلم يتمكن أهل البيت وأشياعهم من نشره، والدول إنما قامت على محاربتة ومحوه وطمس آثاره.

أما بقية المذاهب فلا تشكل أي خطورة عليهم، بل كان أكثرها يخدمهم، ويوطد لهم أركان ملكهم، ويثبت قواعد سلطانتهم، بل كان قادة وأتباع بعض المذاهب غير الزيدية دعاة ومجمعين ومحرضين للناس على السكوت والرضا بذلك الحاكم، وذلك

السلطان، وإن أخذ أموالهم، وجلد ظهورهم، وفعل بهم ما فعل، بل إن البعض من السلاطين والملوك استطاعوا أن يؤسسوا مذاهب افتعلها لهم علماء السوء، وبنوها على تثبيت قواعد ملك الجبابرة، والمخالفة لمذهب الزيدية.

ومع كل ذلك فلا زالت أعلامه لائحة، وأدلته وبراهينه واضحة، ونجومه طالعة، وأنواره ساطعة، والله الحمد {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}، {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}.

وليست الزيدية بالفرقة التي تهولها كثرة أعدائها، ولا تستوحش من قلة أتباعها، فالقلة والكثرة ليست دليلاً على حق ولا باطل، فالمعتبر معرفة الحق وتمييز الباطل قل الأتباع أم كثروا، فقد تعلمت من إمامها زيد الذي ألف كتاباً في الآيات التي ذكر فيها مدح القلة وذم الكثرة.

ولقد حازت الزيدية أعلى أوسمة الشرف، وأخذت أشرف الألقاب وأنفس الصفات، كما قال كامل أهل البيت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: (والله لو أن أبا القاسم صلى الله عليه وآله وسلم نفض التراب عن رأسه، ما وضع رحله إلا فيكم أيتها الزيدية، وإن الملائكة رابطة الله في السماء، وأنتم أيتها الزيدية رابطة الله في الأرض، ما يخاف أهل الجور إلا منكم، ولا ترجوا الأمة الفرج إلا بكم)، وقال ولده الإمام إبراهيم بن عبد الله: (لو نزلت راية من السماء لم تنصب إلا في الزيدية)، وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (كل راية في غير الزيدية فهي راية ضلالة)، وعنه أيضاً: في قوله تعالى {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، قال: جنود السماء الملائكة، وجنود الأرض الزيدية).

٨- حول مولد الإمام زيد ونشأته

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بأهل بيت النبوة، وجعلهم أدلة على الحق وقدوة، ورفع بهم منار الدين وأعلامه، وأشاد بهم بنيان الهدى وقواه، وأزال بهم ظلمات الجهل وعشاوته، ومحى بهم ضلالات الباطل وغشاوته، وقمع بهم أهل الزيغ والكفر والنفاق، وزلزل بهم عروش أهل الكبرياء والشقاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا عديل، ولا خلف لقوله ولا تبديل. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين المأمون، بلغ الرسالة كما أمره الملك الجليل، وأدى الأمانة بكل ما يمكنه من التبليغ، صلى الله وسلم عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: الإمام زيد عليه السلام شخصية عظيمة من ألمع وأروع الشخصيات الإسلامية، التي عرفها التاريخ، كيف لا يكون كذلك وهو غصن شجرة أصلها النبي المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء والحسين سيد الشهداء وعلي زين العابدين والأتقياء.

فهو الإمام الشهيد السعيد، الغاضب لله في الأرض، والقائم بأحكام السنة والفرس، فاتح أبواب الجهاد والإجتهد، المنزه عن كل شين، أبو الحسين، الولي بن الولي زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمه: أم ولد اسمها جيداً اشتراها المختار الثقفي بثلاثين ألف درهم ثم أهداها إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين، فأنجبت له زيداً.

ولد عليه السلام في المدينة المنورة سنة (٧٥) هـ، كان علي بن الحسين إذا صلى الفجر لم يلتفت إلى أصحابه، ويسبح تسيحاً مواضباً عليه، ويركع ركعات، ثم

يلتفت إليهم، فيوم ولد زيد بن علي عليهما السلام، أتاه البشير عند طلوع الشمس، فاتجه إلى أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: (ما تقولون في هذا المولود، ما نسميه) فقال بعض: حسن، وقال بعض: حسين، وقال بعض: جعفر، قال: فقال علي بن الحسين عليهما السلام: (يا غلام عليّ بالمصحف) ففتحه وقال: (بسم الله) ثم قام فصلى ركعتين، ثم أخذه ففتحه فخرج في أول سطر {وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا}، فحمد الله وأثنى عليه، ووضع المصحف، وقام فرجع، ثم أخذه فوضعه في حجره، ثم فتحه، وقال: (بسم الله) فخرج في أول سطر {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ}، فضرب بيدٍ على يدٍ، وقال: (إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون) وقطرت عيناه في المصحف، وقال (هو والله صاحب الكناسة) مرتين، ثم قال: (أما والله ما أجد من ولد الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة، أعظم منه وسيلة، ولا أصحابه آثر عند الله من أصحابه).

نشأ في بيت زاك رفيع، إنه بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي والتنزيل، في هذا البيت الرفيع، الذي هو مدرسة تقوى وصلاح، نشأ الإمام زيد، ولكنه لم يفتح عينه إلا على نفوس قد أذابها الحزن، وأظناها الألم، ولا يسمع إلا بالبكاء والعيويل، والنادبات من عماته، يندبن سيد الشهداء، ويذكرن ما حل به من فادح الخطب، وفاجع الرزء، ويشاهد أباه، وقد نخر الحزن قلبه، وهو يواصل أوقاته بالبكاء والحزن على أبيه، وقد أنهكت العبادة جسمه، وأنحلت بدنه.

فأما صفته الخَلْقِيَّة: فكان أبيض اللون، أعين، مقرون الحاجبين، تام الخلق، طويل القامة، كث اللحية، عريض الصدر، أقى الأنف، أسود الرأس واللحية، إلا أنه

خالطه الشيب في عارضيه، جميلاً وسيماً أديباً، يشبه بأمر المؤمنين علي في الفصاحة والبلاغة والبراعة والشجاعة.

وأما صفاته الخُلُقِيَّة: فكان صاحب العلم الغزير، والفضل الشهير، والعبادة الكثيرة صلاة وصوماً وذكرًا، وكان كثير الخوف والخشية من الله حتى كان يغمى عليه، كثير البكاء حتى تختلط دموعه بدمه، والكرم الواسع، وغيرها من المحاسن والشمائل. وكان نور التقوى يبدو في وجهه على لسانه وفي أفعاله، وقد قال فيه بعض معاصريه: كنت إذا رأيت زيدا، رأيت أسارير النور في وجهه.

وكان في العبادة كآبائه فقد حكى ولده الإمام يحيى بن زيد عن عبادته فقال: (كان يصلي الفريضة، ثم يصلي ما شاء الله، ثم يقوم على قدميه يدعو الله إلى الفجر، يتضرع إليه، ويكي بدموع جارية حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر قام وصلى الفريضة، ثم جلس للتعقيب إلى أن يتعالى النهار، ثم يقوم في حاجته ساعة، فإذا كان قرب الزوال قعد في مصلاه، وسبح الله ومجده إلى وقت الصلاة، وقام فصلى الأولى، وجلس هنيهة وصلى العصر، وقعد في تعقيبه ساعة ثم سجد سجدة، فإذا غابت الشمس صلى المغرب والعتمة، وكان يصوم في السنة ثلاثة أشهر، وفي الشهر ثلاثة أيام).

وكان يكي من خشية الله حتى تختلط دموعه بدمه طول ليله.

وقال عاصم بن عبيد الله متحدثاً عن عبادة الإمام زيد فقال: لقد رأيت وهو غلام حَدَث، وإنه ليسمع الشيء من ذكر الله، فيغشى عليه، حتى يقول القائل: ما هو بعائد إلى الدنيا.

فقد روي أن زيد بن علي عليهما السلام قرأ ﴿أَهْلَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ حتى بلغ ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، فبكى بكاء شديداً، حتى ظننت أنه سيموت.

قال عبد الله بن الحسن عليهما السلام: (كان زيد بن علي عليهما السلام إذا قرأ آية الخوف، ماد والله كما تميد الشجرة من الريح في اليوم العاصف).

وكان كثير الملازمة لكتاب الله، حتى عرف بحليف القرآن، قال عليه السلام:
(خلوت بكتاب الله عز وجل، أقرأه وأتدبره ثلاث عشرة سنة).

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا،
فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا
من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا
المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أمدنا بالنعم السوابغ، واحتج علينا بالحجج البوالغ، وأكرمنا بالآيات القاطعة، وعرفنا بأهل البيت شمس الدنيا الساطعة، ونجوم الحق الطالعة، حمداً دائماً. والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على سيد البشر، وقامع كل من عاند وأشرك وكفر، محمد المختار المصطفى وعلى آله الغرر، مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، وأطواد التقى.

أما بعد: أيها المؤمنون: يقول الله تعالى {وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}، ويقول تعالى {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}، فالإمام زيد فاز بدرجة الشهادة، ونال من الله الحسنى وزيادة، وقد ورد فيه أخبار كثيرة نبوية وعلوية تبشر به، وتبين فضله، وتتحدث عن بعض ما يناله، فلنأخذ بعضاً منها:

عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نظر يوماً إلى زيد بن حارثة، فبكى وقال: (المظلوم من أهل بيتي سمي هذا، والمقتول في الله والمصلوب من أمتي سمي هذا) وأشار إلى زيد بن حارثة، ثم قال: (أدن مني يا زيد زادك الله، حباً عندي فإنك سمي الحبيب من ولدي زيد).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (الشهيد من ذريتي القائم بالحق من ولدي المصلوب بكناسة كوفان، إمام المجاهدين، وقائد الغر المحجلين، يأتي يوم القيامة وأصحابه تتلقاهم الملائكة المقربون، ينادونهم ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (يُقْتَلُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَيَصْلُبُ لَا تَرَى الْجَنَّةَ عَيْنَ رَأَتْ عَوْرَتَهُ).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (يُقْتَلُ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِي يَدْعَى زَيْدَ بِمَوْضِعٍ يَعْرِفُ بِالْكَنَاسَةِ يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ، يَتَّبِعُهُ عَلَيْهِ كُلُّ مُؤْمِنٍ).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: (يخرج مني بظهر الكوفة رجل يقال له زيد، في أبهة سلطان لم يسبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون إلا من عمل بمثل ما عمله، يخرج يوم القيامة هو وأصحابه معهم الطوامير، ثم يتخطون أعناق الخلائق، قال: فتتلقاهم الملائكة فيقولون: هؤلاء خلف الخلف، ودعاة الحق، ويستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيقول: قد عملتم بما أمرتم، أدخلوا الجنة بغير حساب). الإمام زيد عليه السلام فاق أقرانه وأهل زمانه في جميع الصفات والخصال علماً وعملاً واجتهاداً وشجاعة وفصاحة وبلاغة وبياناً، وصرامة في قول الحق، حتى حظي بمكانة سامية، في أوساط علماء الإسلام، وبالخصوص بين أهل البيت عليهم السلام، فقد أجمع عليه الموالف والمخالف من جميع الفرق والطوائف:

قال أخوه الباقر محمد بن علي: (إن أخي زيد بن علي خارج، ومقتول على الحق، فالويل لمن خذله، والويل لمن حاربه، والويل لمن يقتله)، وقال فيه أيضاً (هذا والله سيد بني هاشم، إن دعاكم فأجيبوه، وإن استنصركم فانصروه).

وقال أخوه الحسين بن علي بن الحسين: (كان أخي زيد بن علي قائلاً بالحق داعياً إلى الحق، ناصراً للحق، جاهد والله أعداء الله، وأعداء رسوله، واستشهد على ذلك). وقال جعفر الصادق: (الشاك في فضل عمي زيد منافق، قام والله زيد بن علي داعياً إلى الله عز وجل، وأمر بالعدل في عباد الله، وجاهد أهل الكفر، فمضى والله هو ومن معه شهداء).

وقال: (برئ الله ممن برء من عمي زيد، كان والله أقرئنا لكتاب الله، و أفقها في دين الله، وأوصلنا للرحم، والله ما ترك فينا لدينا ولا لآخرة مثله).

وقال عبد الله بن الحسن الكامل للحسين بن زيد بن علي: (والله لقد توالى لك آباء ما رأيت فينا ولا في غيرنا مثلهم، إن أدنى آباءك الذي لم يكن فينا مثله أبوك زيد بن علي، لا والله ما كان فينا مثله).

وقال عبد الله بن الحسن الكامل أيضاً: (علامة ما بيننا وبين الناس علي بن أبي طالب عليه السلام، وعلامة ما بيننا وبين شيعتنا زيد بن علي عليه السلام، من تولى زيدا على صفته توليناه؛ ومن برئ من زيد على صفته برئنا منه).

وقال الإمام النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام: (أما والله لقد أحيا زيد بن علي ما دثر من سنن المرسلين، وأقام عمود الدين إذ اعوجج، ولن ننحو إلا أثره، ولن نقتبس إلا من نوره، وزيد إمام الأئمة، وأول من دعى إلى الله بعد الحسين بن علي عليهما السلام).

وقال الإمام الشهيد الحسين بن علي الفخري: (من قام منا أهل البيت داعياً إلى الله عز وجل وإلى كتابه وإلى جهاد أئمة الجور، فهو من حسنات زيد بن علي، فتح والله لنا زيد بن علي باب الجنة، وقال: ادخلوها بسلام آمنين).

وقال أبو إسحاق السبيعي: رأيت زيد بن علي فلم أر في أهله مثله، ولا أعلم منه ولا أفضل، وكان أفصحهم لساناً، وأكثرهم زهداً وبياناً.

وقال عامر الشعبي: والله ما ولد النساء أفضل من زيد بن علي، ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد.

وقال أبو حنيفة: شاهدت زيد بن علي، كما شاهدت أهله، فما رأيت في زمانه أفقه منه، ولا أعلم ولا أسرع جواباً، ولا أبين قولاً، لقد كان منقطع القرين. وقال سفيان الثوري: قام زيد مقام الحسين بن علي، وكان أعلم خلق الله بكتاب الله، ما ولدت النساء مثله أبداً، وغيرهم كثير وهذه الأقوال تدل على ما سواه، فالإمام زيد محل اتفاق بين علماء المسلمين جميعاً، حتى أصبحت كل فرقة وطائفة تفتخر به وتضيفه إليها، وتصفنه في رجالها، ولكنه عليه السلام سلك طريقاً، ورسم نهجاً عبر عنه بلسانه وقلمه، وضمنه في رسائله وكتبه، وأبانه بخروجه وجهاده، فليس يحتاج إلى أحد أن يعبر عنه فكتبه ناطقة، والحمد لله الذي جعلنا ممن انضوى تحت لوائه.

٩- شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي فتح لنا أبواب الهداية، بمفاتيح العلم والدراية، وأوصد عنا أبواب الغواية، بأقفال التوفيق والتسديد والحماية، حمداً كثيراً طيباً ليس له نهاية. ونشهد أن لا إله إلا الله ليس له شبيه ولا شريك ولا أوليته بداية، وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسوله المبعوث لتبليغ الهداية، صلى الله عليه وعلى آله أئمة الرواية والدراية.

أما بعد: أيها المؤمنون:

التاريخ الإسلامي مليء بالشخصيات العظيمة، فهناك شخصيات مشرقة على صفحات التاريخ يضيء نورها، ويسطع هداها في جميع المجالات الدينية، جهاداً وشجاعة، وعبادة وزهادة، وكرماً وجوداً، وبذلاً وعطاءً، وعلماً وعملاً، فإذا أراد المسلم أن ينهج في سبيل الصالحين فسيجد من يقتدي بهم في أي سبيل أراد واتجه، ولاسيما شخصيات أهل البيت عليهم السلام، فإنهم القادة والقدوة في جميع صفات الخير والهدى.

ففي هذه الجمعة المباركة نود أن نأخذ مثلاً نقتدي به، وعلماً من أعلام الهدى نأتم به، لنأخذ من حياته وسيرته دروساً وعبراً تضيء لنا دروب الحياة المظلمة، وتفتح لنا أقفال حياتنا المبهمة، تلك الشخصية الفذة، هي شخصية الإمام زين العابدين، وسيد الساجدين، وكعبة المسترشدين، علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. تلك الشخصية التي ترعرعت ونشأت في أحضان النبوة والوصاية، وتربى في بيت العفة والطهارة، ورضع من لبان التقوى والعلم حتى ارتوى، ولد في أيام جده الوصي المرتضى، واستشهد جده الوصي وله سنتان، واستشهد عمه الحسن وله اثنتا عشرة

سنة، وأقام مع أبيه الحسين عليه السلام في كنف التربية النبوية، والأخلاق العلوية، والشجاعة الهاشمية.

تلك الشخصية التي هي قدوة في شتى مجالات الحياة، قدوة في الصبر، فهو الجبل الراسي الذي لا تحركه العواصف، قدوة في العبادة، فهو أعبد رجل بعد نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعد جده أمير المؤمنين علي عليه السلام، قدوة في الخضوع والتذلل لله، يتعلم منه المسلم كيف يخضع لله، ويتذلل بين يدي الله، من خلال الدعاء والإبتهاال والتوسل، قدوة في الرحمة والعطف بالضعفاء والمساكين، قدوة في الصراحة وقول الحق، قدوة في شتى مجالات الحياة.

كيف لا يكون قدوة في الصبر وهو الذي رافق والدّه الحسين عليه السلام حين خرج من المدينة إلى مكة ثم منها إلى كربلاء، وشاهد مأساة الطف، ولم يتمكن من المشاركة في الحرب لمرض ألمّ به أقعده عن القتال، ولما في بقائه من حفظ نسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان عمره ٢٣ عاماً، ورأى بأمر عينيه ما فعله الطغاة بأبيه وإخوته وأبناء عمه وأهل بيته وأصحاب أبيه، فخيم الحزن في قلبه، وسيطر على جميع أحاسيسه ووجدانه، فهو يتذكر ذلك الموقف وتلك المأساة في الليل والنهار، فتقض عليه مضجعه، وتحرمه منامه، ولا يستسيغ معها طعاماً ولا شراباً، فلم ترقأ له دمعة، ولم ير عليه السلام ضاحكاً إلى أن مات، إلا يوم جيء إليه برأس ابن زياد.

ولما سبيت بنات رسول الله يوم كربلاء كان عليه السلام مع الأسرى والمقيدين، فقيد في يديه ورجليه وعنقه، وسُيّر مع النساء إلى الكوفة، فلما وصل إلى قصر ابن زياد لم يمنعه صعوبة الموقف، وثقل الحديد، وتسلبت الظالمين وقسوتهم، وحرارات الحزن على الشهداء من الشجاعة والصراحة وقول الحق، ثم سُيّر مع النساء مكبلاً بالحديد إلى الشام إلى يزيد بن معاوية لعنه الله، حيث ألقى الخطاب المشهور الذي أبكى فيه الناس، وبهرت فصاحته وبلاغته وقوة بيانه وعارضته أهل الشام، ثم ردهم يزيد إلى المدينة، وفيها

أقام الإمام عليه السلام متردداً بينها وبين مكة للعمرة والحج، فقد حج عشرين سنة ماشياً على قدميه، ومتردداً بينها وبين كربلاء لزيارة أبيه وإخوته والشهداء.

كيف لا يكون قدوة في العبادة: وهو الذي كان إذا قام إلى الصلاة اغتسل وتطيب، وكان ربما صلى في اليوم واللييلة ألف ركعة، وكان يقوم الليل ويصوم النهار، ويقطع ليله ونهاراً متعبداً متبتلاً إلى الله تعالى، ولكثرة عبادته وصلاته فقد أثر السجود في جبهته وبين عينيه أثراً بيّناً، حتى كان في مواضع سجوده ثغفات كثفنت البعير، وكان يلقب ذا الثغفات.

كيف لا يكون قدوة في الرحمة بالضعفاء والمساكين، وهو الذي كان يعول مائة بيت من بيوت المسلمين ولم يعرفوه إلا بعد وفاته حين انقطع عنهم، كان يحمل فوق ظهره الجران في الليل وهو مليء بالطعام والقوت ليعول فقراء المسلمين، حتى أثر في ظهره، وبان في جسده، ورأوه عند موته، وكان يلبس أفخر الثياب، فإذا انقضى الشتاء تصدق بكسوته على الفقراء، وإذا انقضى الصيف تصدق بملابس الصيف.

كيف لا يكون قدوة في الدعاء والتبتل: وقد كان كثير البكاء من خشية الله تعالى، وهو صاحب الأدعية المشهورة بالصحيفة السجادية، التي تدل على معرفته الكاملة بربه، وإخلاصه في المعاملة مع سيده ومولاه.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} {١} {اللَّهُ الصَّمَدُ} {٢} {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} {٣} {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} {٤}، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،
صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: روي عن الزهري أنه قال: دخلت مع علي بن الحسين عليه السلام على عبد الملك بن مروان، فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين، فقال: يا أبا محمد لقد بيّن عليك الاجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قريب النسب، وكيد السبب، وإنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحدٌ مثلك ولا قبلك، إلا من مضى من سلفك، وأقبل يثني عليه ويطريه، فقال علي بن الحسين عليه السلام: كلما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه فأين شكره علي ما أنعم؟ كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقف في الصلاة حتى تورم قدماه، ويظماً في الصيام حتى يعصب فوه، فقيل له: يا رسول الله ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول صلى الله عليه وآله وسلم ((أفلا أكون عبداً شكوراً))، الحمد لله على ما أولى وأبلى، وله الحمد في الآخرة والأولى، والله لو تقطعت أعضائي، وسالت مقلتي علي صدري، لن أقوم لله جل جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون، ولا يبلغ حدّ نعمةٍ منها على جميع حمديّ الحامدين، لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيءٌ عن شكره وذكره، في ليل ولا نهار، ولا سر ولا علانية، ولولا أن لأهلي علي حقاً، ولسائر الناس من خاصهم وعامهم علي حقوقاً لا يسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها إليهم لرميت بطرفي إلى السماء، وبقلبي إلى الله، ثم لم أرددهما حتى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين، وبكى عليه السلام،

وبكى عبد الملك بن مروان، وقال: شتان بين عبد طلب الآخرة وسعى لها سعيها، وبين من طلب الدنيا من أين جاءته، ما له في الآخرة من خلاق.

وروي أن عمته ذهبت إلى جابر بن عبد الله الأنصاري، فقالت له: يا صاحب رسول الله إن لنا عليكم حقاً، ومن حقنا عليكم إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً أن تذكره الله، وتدعوه إلى البُتيا على نفسه، وهذا علي بن الحسين عليهم السلام بقية أبيه الحسين، قد انخرم أنفه، ونقبت جبهته وركبته وراحته، من دأب نفسه بالعبادة، فانطلق جابر إلى علي بن الحسين، فطلب الإذن منه بالدخول، فأذن له فوجده في محرابه قائماً يصلي، قد أنهكته العبادة، فلما انفلت الإمام من صلاته نهض إلى جابر، ورحب به، وسأله سؤالاً حفيماً عن حاله، وأقبل جابر يقول: يا ابن رسول الله، أما علمت أن الله إنما خلق الجنة لكم ولمن أحبكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك، فقال له علي: (يا صاحب رسول الله، أما علمت أن جدي رسول الله صلى الله عليه ونبه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلم يدع الإجتهد، وتعبد حتى انتفخ ساقه، وورمت قدماه، فقيل له: أتفعل هذا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر)، فلما نظر إليه جابر، وليس يغني فيه قول يميل به من الجهد والتعب إلى القصد، فقال له: يا ابن رسول الله البتيا على نفسك فإنك من أسرة بهم يستدفع البلاء، وبهم تستمطر السماء.

فقال عليه السلام: (يا جابر لا أزال على منهاج أبوي متأسياً بهما حتى ألقاهما)، فبهر جابر، وأقبل على من حضر، فقال لهم: ما رُئي من أولاد الأنبياء، مثل علي بن الحسين عليه السلام إلا يوسف بن يعقوب، والله لذرية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب، إن منهم لمن يملئ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وبقي زين العابدين على طريقة آبائه في العبادة والتبتل، إلى أن توفي عليه السلام شهيداً بالسم في الخامس والعشرين من محرم سنة خمس وتسعين للهجرة، وعمره سبعة وخمسون عاماً، ودفن بالبقيع بجوار جدته الزهراء وعمه الحسن، فصلوات الله ورحمته وبركاته وسلامه عليهم.

١٠ - حول منهجية الإمام زيد في قيامه وجهاده

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بأهل بيت النبوة، وجعلهم أدلة على الحق وقدوة، ورفع بهم منار الدين وأعلامه، وأشاد بهم بنيان الهدى وقواه، وأزال بهم ظلمات الجهل وعشاوته، ومحى بهم ضلالات الباطل وغشاوته، وقمع بهم أهل الزيغ والكفر والنفاق، وزلزل بهم عروش أهل الكبرياء والشقاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا عديل، ولا خلف لقوله ولا تبديل. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين المأمون، بلغ الرسالة كما أمره الملك الجليل، وأدى الأمانة بكل ما يمكنه من التبليغ، صلى الله وسلم عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

لقد كان للإمام زيد عليه السلام في قيامه وجهاده منهجيةً وطريقةً عظيمة، يستشف المسلم من خلالها، ويتبين للمطلع منها، أن الإمام زيد كان بعيداً كل البعد عن أي دعوى سياسية، أو أطماع رئاسية، أو منافسة دنيوية، وإنما كان همه الأول والأخير هم الأمة، وتحسين وضعها الديني، والرفع من مستواها المتدني في جميع حالاتها، الدينية والدنيوية والأخروية، ولم يفكر في نفسه أو ذاته حتى لو هلك وباد، كما قال عليه السلام في رسالته إلى علماء الأمة:

(وقد كتبت إليكم كتاباً بالذي أريد من القيام به فيكم، وهو العمل بكتاب الله تعالى، وإحياء سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فبالكتاب قوام الإيمان، وبالسنة يثبت الدين، وإنما البدع أكاذيب تخترع، وأهواء تتبع، يتولى فيها

وعليها رجال رجالاً، صدّوهم عن دين الله، وذادوهم عن صراطه، فإذا غيّرنا المؤمن، ونهى عنها، قال المفسدون: جاءنا هذا يدعونا إلى بدعة. وأيم الله ما البدعة إلا التي أحدث الجائرون، ولا الفساد إلا الذي حكم به الظالمون، وقد دعوتكم إلى الكتاب فأجيبوا داعي الله وانصروه. فوالذي بإذنه دعوتكم، وبأمره نصحت لكم، ما ألتمس أثرة على مؤمن، ولا ظلماً لمعاهد، ولوددت أني قد حميتكم مراتع الهلكة، وهديتكم من الضلالة، ولو كان أوقد ناراً فأقذق بنفسي فيها - لا يقربني ذلك من سخط الله - زهداً في هذه الحياة الدنيا، ورغبة مني في نجاتكم وخلاصكم، فإن أجبتمونا إلى دعوتنا كنتم السعداء والموفرين حظاً ونصيياً.

عباد الله: انصحوا داعي الحق وانصروه، إذ قد دعاكم لما يحييكم، ذلك بأن الكتاب يدعوا إلى الله، وإلى العدل والمعروف، ويزجر عن المنكر، فقد نظرنا لكم، وأردنا صلاحكم، ونحن أولى الناس بكم، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جدنا، والسابق إليه المؤمن به أبونا، وابنته سيدة النسوان أمنا، فمن نزل منكم منزلتنا؟ فسارعوا عباد الله إلى دعوة الله، ولا تنكلوا عن الحق، فبالحق يُكُتبت عدوكم، وتمنع حريمكم، وتأمّن ساحتكم.

وذلك أنا ننزع الجائرين عن الجنود، والخزائن والمدائن، والفيء والغنائم، ونُثبت الأيمن المؤمن، غير الراشي المرتشي الناقض للعهد، فإن نظهر فهذا عهدنا، وإن نستشهد فقد نصحننا لربنا، وأديننا الحق إليه من أنفسنا، فالجنة مثوانا ومنقلبنا، فأبي هذا يكره المؤمن؟ وفي أي هذا يهرب المسلم؟ وقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَتِيماً﴾.

وإذا بدت الخيانة وخربت الأمانة، وعمل بالجور فقد أفتضح الوالي، فكيف يكون إماماً على المؤمنين من هذا نعته وهذه صفته؟.

وقال عليه السلام في كلام له أثناء الرسالة: (لا نريد بذلك سلطاناً في الدنيا إلا سلطانك، ولا نلتمس بذلك أثره على مؤمن ولا مؤمنة ولا حرّ ولا عبد).

ولنأخذ بعض الأمثلة التي نعرف من خلالها منهجيته وطريقته في الدعوة والجهاد:
الأول: كان يريد عليه السلام من الأمة أن تعرف الأخطاء والضلالات التي ارتكبتها الظالمون، وأن يعلمها المخالفات التي أوقعها المتسلطون في دين الإسلام، حتى يستيقظوا من رقدتهم، وينتبهوا من غفلتهم، ويعرفوا ماذا يحاك لهم ويعمل بهم ضدهم، كما قال عليه السلام في بعض رسائله إلى الناس:

(وقد عرفتم حالكم الذي أنتم عليه من الفتنة في دينكم، والبلاء في معاشكم، من سفك الدماء، والاستئثار عليكم بفيئكم، فهذا ما أنتم عليه اليوم مقيمون، وبه آخذون، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والدفع عن المستضعفين، ومجاهدة الظالمين الذين ابتزوا أهل بيت نبي رب العالمين).

وقال في رسالة أخرى: (ونقمنا الجور المعمول به في أهل ملتنا، فوضعنا كل من توارث الخلافة، وحكم بالهوى، ونقض العهد، وصلى الصلاة لغير وقتها، وأخذ الزكاة من غير وجهها، ودفعها إلى غير أهلها، ونسك المناسك بغير هديها، وجعل الفيء والأخماس والغنائم دولة بين الأغنياء، ومنعها المساكين وابن السبيل والفقراء، وعطل الحدود، وحكم بالرشا والشفاعات، وقرب الفاسقين، فمثل بالصلحين، واستعمل الخونة وخون أهل الأمانات، وسلط المجوس، وجهاز الجيوش، وقتل الولدان، وأمر بالمنكر، ونهى عن المعروف، يحكم بخلاف حكم الله، ويصد عن سبيله، وينتهك محارم الله، فمن أشر عند الله منزلة ممن افترى على الله كذباً، أو صدّ عن سبيل الله وبغى في الأرض).

الثاني: كان يعيب على الأمة إغضائها على الجور، وسكوتها على المنكر، وهي الأمة الوسط التي جاء الثناء عليها، والإختيار لها، فلا ينبغي لها أن تقصر فيما

عليها، وعليها أن تعرف حملها وتحمل مسؤوليتها، كل بحسب مكانته وموقعه، ومقدار استطاعته ونفعه، ويبين لها فضل الجهاد في سبيل الله، وأن ترك الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي جعلها تعيش حالة تعيسة من الذل والهوان، كما قال عليه السلام: (أيها الناس عليكم بالجهاد، فإنه قوام الدين، وعمود الإسلام، ومنار الإيمان، واعلموا أنه ما ترك قوم الجهاد قط إلا حقروا وذلوا).

الثالث: كان الإمام عليه السلام يعلم أن من أعظم الأسباب التي أضعفت المسلمين، ومكنت المتجبرين، هو ضعف علماء الدين عن القيام بواجبهم، ومداهنتهم للمبطلين توصلاً إلى السلامة من طغيانهم، وإغضائهم عن كثير من أفعال الظالمين كأنهم لا يعرفونها ليسلموا من ظلمهم، وميلهم إلى الراحة والدعة والرفاهة دون التألم لما ينال المستضعفون من أعدائهم، ويبين الإمام عليه السلام أن واجبهم الديني يحتم عليهم أشياء كثيرة قد رأوا لأنفسهم الترخيص فيها والتسهيل، ومحاولة التخلص منها بأوهى شبهة وأدنى أمانة بدون دليل، فوضع رسالة أرسلها إلى علماء الأمة يبين فيها المسؤولية الكبرى، والأمانة العظمى التي طوقت بها أعناقهم، ولا نجاة لهم إلا ببيانها وسلوكها، فقال عليه السلام:

(إني أوصيكم معشر العلماء بحظكم من الله في تقواه وطاعته، وأن لا تبعوه بالملكس من الثمن، والحقير من البذل، واليسير من العوض، فإن كل شيء آثرتموه، وعملتم له من الدنيا، ليس بخلفٍ ما زين الله به العلماء من عباده الحافظين؛ لرعاية ما استرعاهم، واستحفظهم من أمره ونهيهِ، وذلك بأن العاقبة للمتقين، والحسرة والندامة والويل الدائم للخاسرين الفاجرين.

فتفكروا عباد الله، واعتبروا وانظروا وتدبروا وازدجروا بما وعظ الله به هذه الأمة، من سوء ثنائه على الأبحار والرهبان إذ يقول {لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [المائدة: ٦٣]، وإنما عاب ذلك

عليهم، بأنهم كانوا يشاهدون الظلمة الذين كانوا بين ظهرانيهم يأمرن بالمنكر، ويعملون الفساد، فلا ينهاهم عن ذلك، ويرون حق الله مضيعاً، ومال الله دولة يؤكل بينهم ظلماً، ودولة بين الأغنياء، فلا يمنعون من ذلك رغبة [أي زهداً] في ما عند الله، ورغبة [أي طلباً] فيما عندهم من العرض الآفل، والمنزل الزائل، ومداهنة منهم على أنفسهم، وقد قال عز وجل لكم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [التوبة: ٣٤]، كيما تحذروا، وإذا رأيتن العالم بهذه الحالة والمنزلة، منزلة من عاث في أموال الناس بالمصانعة والمداهنة، والمضارعة لظلمة أهل زمانهم، وأكابر قومهم، فلم ينهاهم عن منكر فعلوه؛ رغبة فيما كانوا ينالون من السحت بالسكوت عنهم، وكان صدودهم عن سبيل الله رغبة في الإتياع لهم، والاغترار بإدهانهم، ومعاونتهم الجائرين الظالمين المفسدين في البلاد؛ وذلك بأن أتباع العلماء يجتارون لأنفسهم ما اختار علمائهم.

إلى قوله عليه السلام: (فإنما تصلح الأمور على أيدي العلماء وتفسد بهم إذا باعوا أمر الله ونهيه بمعاونة الظالمين الجائرين، فكذلك الجهال والسفهاء إذا كانت الأمور بأيديهم لم يستطيعوا إلا بالجهل والسفه إقامتها، فحينئذ تصرخ المواريث، وتضح الأحكام، ويفتضح المسلمون، وأنتم أيها العلماء عصابة مشهورة، وبالورع مذكورة، وإلى عبادة الله منسوبة، وبدراسة القرآن معروفة، ولكم في أعين الناس مهابة، وفي المدائن والأسواق مكرمة، يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويرهبكم من لا فضل لكم عليه، يُبدأ بكم عند الدعوة والتحفة، ويشار إليكم في المجالس، وتشفعون في الحاجات إذا امتنعت على الطالبين، وآثاركم مُتَّبَعَةٌ، وطرقكم تُسَلِّكُ، كل ذلك لما يرجوه عندكم من هو دونكم من النجاة في عرفان حق الله تعالى، فلا تكونوا عند إثارة حق الله تعالى غافلين، ولأمره مضيعين، فتكونوا كالأطباء الذين

أخذوا ثمن الدواء وأعطبوا المرضى، وكرعاة استوفوا الأجر وظلوا عن المرعى، وكحراس مدينة أسلموها إلى الأعداء، هذا مثل علماء السوء).

إلى قوله عليه السلام: (والذي نفس زيد بن علي بيده لو بينتم للناس ما تعلمون، ودعوتهم إلى الحق الذي تعرفون، لتضعع بنيان الجبارين، ولتهدم أساس الظالمين، ولكنكم اشتريتم بآيات الله ثمناً قليلاً، وداهنتم في دينه، وفارقتم كتابه، هذا ما أخذ الله تعالى عليكم من العهود والمواثيق، كي تتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فأمكنتم الظلمة من الظلم، وزينتم لهم الجور، وشددتهم لهم ملكهم بالمعاونة والمقاربة، فهذا حالكم).

غفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} {١} {اللَّهُ الصَّمَدُ} {٢} {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} {٣} {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} {٤}

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: نواصل معكم منهجية الإمام زيد عليه السلام:

الرابع: في مواجهة الحق والباطل لا بد من بيان الموقف الذي تتخذه، إما ناصرًا للحق خاذلاً للباطل، أو العكس والعياذ بالله، فإذا طلب الإنسان لنفسه طريقاً أخرى يطلب فيها النجاة والسلامة فلن يجدها، فإذا سولت له نفسه بأن السكوت والإعراض عن ذلك طريق نجاة فقد تورط، ولهذا لما علم الإمام عليه السلام بخطر السكوت عن الحق، وميل أكثر الناس إليه، نبه على ذلك فقال:

(عباد الله: إن الظالمين قد استحلوا دماءنا، وأخافونا في ديارنا، وقد اتخذوا خُدًى لأنكم حجة علينا في ما كرهوه من دعوتنا، وفيما سفهوه من حقنا، وفي ما أنكروه من فضلنا.

عباد الله: فأنتم شركاؤهم في دماءنا، وأعوانهم في ظلمنا، فكل مال لله أنفقوه، وكل جمع جمعوه، وكل سيف شحذوه، وكل عدل تركوه، وكل جور ركبوه، وكل ذمة لله أخفروها، وكل مسلم أذلوه، وكل كتاب نبذوه، وكل حكم لله تعالى عطلوه، وكل عهد لله نقضوه، فأنتم المعاونون لهم على ذلك، بالسكوت عن نهيهم عن السوء).

الخامس: لم يكن همّ الإمام عليه السلام أن يحشد لنفسه الأنصار، وأن يجمع الجموع على غير معرفة منهم بما يدعوهم إليه، ولا وعي فيما هم فيه داخلون من الأمر، بل يريد منهم المعرفة واليقين والبصيرة التي من خلالها يعرفون أنه على الحق وأن خصمه على الباطل، كما قال عليه السلام في خطبة خطب أصحابه قبل بدء

المعركة: (عباد الله: لا تقاتلوا عدوكم على الشك فتضلوا عن سبيل الله، ولكن البصيرة البصيرة، ثم القتال، فإن الله يجازي على اليقين أفضل جزاء يجزي به على حق، إنه من قتل نفساً بشك في ضلالتها كمن قتل نفساً بغير حق، عباد الله: البصيرة البصيرة).

قال أبو الجارود: فقلت له: يا ابن رسول الله: يبذل الرجل نفسه على غير بصيرة؟ قال: (نعم، إن أكثر من ترى عشقت نفوسهم الدنيا، فالطمع أرداهم إلا القليل الذين لا تخطر على قلوبهم الدنيا، ولا لها يسعون فأولئك مني وأنا منهم).

فانظروا إلى هذه المنهجية العالية المستوى، التي تدل على ثقة الإمام بمبدئه وأحقيته، وباطل خصمه وضلالتة، يالها من منهجية تخالف همجية أرباب الدنيا.

السادس: كان يتمتع الإمام زيد عليه السلام بنفس قيادية عالية، وروح جهادية سامية، وصرامة في الحق وصراحة، فالجندي الذي يخالف القائد لا خير فيه، والقائد الذي يخون جنوده لا خير فيه أيضاً، فالإمام زيد لم ينس أصحابه الأوفياء من التعليمات الجهادية، والخطوات القتالية، التي من خلالها يعرفون من الذي ينبغي لهم أن يقتلوه، والذي يتركوه، والمال الذي يأخذوه، فهذا هو يقف خطيباً مبيناً قائلاً لجيشه وأصحابه: (إذا لقيتم القوم فادعوهم إلى أمركم، فلأن يستجيب لكم رجل واحد خير لكم مما طلعت عليه الشمس من ذهب وفضة، وعليكم بسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالبصرة والشام، لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تفتحوا باباً مغلقاً، والله على ما أقول وكيل).

فإذا تغيرت عند القائد بعض الوجهات والأوامر فلا بد من إبلاغ الجيش، كي لا يبقوا على غرة من أمرهم، كما فعل الإمام عليه السلام فإنه بعد أن ألقى تلك التعليمات الأولى وبدأت المعركة، سمع الظالمين والطغاة يسبون أمير المؤمنين علياً عليه السلام، فسرعان ما بلغهم بقوله: (والله لو علمت عملاً هو أرضى الله عز وجل من هذا الذي وضعت يدي فيه لفعلت ولأيتته، ولكن والله لا أعلم عملاً هو أرضى الله من قتال أهل

الشام لأفعله، وقد كنت نهيتمكم أن لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تفتحوا باباً مغلقاً، وإني سمعتهم يسبون علي بن أبي طالب عليه السلام فاقتلوهم من كل وجهة).

السابع: السلبيات والإيجابيات في المعركة محسوبة على القائد ومضافة إليه، وهو الذي يتحمل عاقبة حسنها وقبحها، ولو صدرت من بعض أفراد الجيش لا سيما مع علمه بها، ولما كان في الجنود من قد يظن بأنه يحل له كذا وكذا، أو يريد أن يتوصل بالقتال ليشفي شيئاً في نفسه، أو لينتقم من عدو له، وقد يبلغ ذلك إلى القائم بالأمر فإن كان مما لا يحل ولا يجوز فلا بد من أن ينبه على ذلك، حتى لا يضاف إليه شيئاً من سيئاتها، ولينجو عند الله غداً من تبعاتها، فمن قبل وانقاد فقد فاز، ومن رفض وخالف فقد خسر، كما فعل الإمام زيد عليه السلام:

فإنه لما قام الإمام زيد عليه السلام، بلغه أن قوماً من غلاة الشيعة يقولون: نحن نحكم في دماء بني أمية وأموالهم برأينا، وكذلك نفعل برعيتهم.

فلما بلغه ذلك صعد المنبر في الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: (بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: أيها الناس إنه لا يزال يبلغني منكم، أن قائلًا يقول: إن بني أمية فينا، لنا، نخوض في دمائهم، ونرتع في أموالهم، ويقبل قولنا فيهم، وتصدق دعوانا عليهم، حكم بلا علم، وعزم بلا روية، جزاء السيئة سيئة مثلها، عجباً لمن نطق بذلك لسانه، وحدثه به نفسه، أبكتاب الله تعالى حكم؟! أم بسنة نبيته صلى الله عليه وآله وسلم اتبع؟! أم طمع في ميلي معه، وبسطي يدي في الجور له؟! هيهات هيهات، فاز ذو الحق بما يهوى، وأخطئ الظالم بما تمنى، حق كل ذي حق في يده، وكل ذي دعوى على حجته، وبهذا بعث الله أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، ولم يخط المنصف حظه، ولم يُبقي الظالم على نفسه، أفلح من رضي بحكم الله، وخاب من أرغم الحق أنفه، العدل أولى بالآخرة ولو كره الجاهلون.

حق لمن أمر بالمعروف أن يجتنب المنكر، ولمن سلك سبيل العدل أن يصبر على مرارة الحق، كل نفس تسموا إلى مناها، ونعم الصاحب القنوع، ويل لمن غصب حقاً، أو ادعى باطلاً.

أيها الناس: أفضل العبادة الورع، وأكرم الزاد التقوى، فتورعوا في دنياكم، وتزودوا لآخرتكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وإياكم والعصبية، وحمية الجاهلية، فإنهما يمحقان الدين، ويورثان النفاق).

فانظر إلى المعاملة الدينية حتى إلى أعدائه، فإنه لم يحمل ما قد فعله بنو أمية وأشياعهم بأهل البيت وأتباعهم، على أن يغضب ويتعصب حتى يخرج إلى أن يقول أو يفعل ما ليس له ولا يجل، لأخذ الثار والانتقام، بل قيد الفتك الإيمان، ومنع من الحمية والعصبية خوف الرحمن، فهذه هي منهجية الإمام زيد وطريقته، التي سلكها الأئمة في قيامهم وجهادهم، ومنها لا بد أن يتعلم ويستفيد ويعرف كيف يتعامل مع أوليائه ومع أعدائه، فهذه أخلاق أهل البيت النبوي الطاهر، همهم وهدفهم إصلاح الناس، ورفع راية الحق والعدل.

١١ - حول غزوة خيبر والدروس منها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الآلاء الغامرة، والنعم المتواترة، والمنن الباطنة والظاهرة، حمداً يرضى به عنا في الدنيا والآخرة، اللهم لك إنا نحمدك على كل نعمة، ونشكرك على كل حسنة، ونستغفرك من كل ذنب، ونتوب إليك من كل خطيئة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنفع قائلها يوم القيامة، وتنجيه من شدائد أهوال يوم الطامة.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ونبيُّه ونجِيُّه وصفِيُّه وخليئُهُ، بلغ الرسالة، وأوضح الدلالة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، صلى الله عليه وعلى آله مصايح الظلمة، وينابيع الحكمة.

أما بعد أيها المؤمنون:

فإن من أهم ما يحتاج إليه المسلم في حياته الإيمانية، أن يكون عارفاً وعالمًا بأهم الأحداث التي جرت في الدين الإسلامي، مطلعاً على ما لاقاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المتاعب والصعاب من أجل هذا الدين، ليزداد تمسكاً بالدين، وحفاظاً على مبادئه، وحرصاً على تطبيقه والعمل بما جاء به، فإن هذا الدين لم يصل إلينا على أسهل الطرق، بل إنما وصل إلينا على جثث وهامات الأبطال، تحمله دماء الشهداء حتى وصل إلينا.

فلقد كان أعداء الإسلام يكيدون للإسلام وهو لا زال في أوائل نشوئه، وفي أوان انتشاره، وفي بداية نعومة أظفارها، بل كان أعداء الإسلام من المشركين واليهود وغيرهم تجمعهم إرادة القضاء على الإسلام رغم عداوتهم فيما بينهم، ولكن يتناسون ذلك في سبيل القضاء على الإسلام.

ومن أعظم من كان يكد للإسلام ورسول الإسلام وأهل الإسلام هم اليهود، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجر إلى المدينة لاقى من اليهود ما لاقاه، من المشاقّة والأذى، والتحريض والتحرّيش، والتفريق والإفساد، ولكنه صلوات الله عليه وآله وسلم واجه مكرهم بحسن الرأي والفكر، ورد تديبرهم عليهم حتى وقعوا في التدمير، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ضرر مؤامراتهم، يقظاً حذراً مما يمحرون، فبادر بالصلح مع جميع القبائل اليهودية المجاورة للمدينة، كي يأمن مكرهم، ولكنه كان يتربح الفرصة، وينتظر الوقت المناسب للقضاء عليهم، فأمكن الله منهم، وأجهز عليهم في وقعات معلومة، لأنهم تسبوا في نقض الصلح والموادعة، إما من جهة الإستفزاز للمسلمين في حرمهم وأعراضهم، حيث أثاروا حمية الدين، أو من جهة المظاهرة والمعاونة للمشركين ضد المؤمنين، فأبادهم الله وأجلاهم عن المدينة، وطهرها منهم.

إلا أن هناك منطقة من مناطق تجمع اليهود تمثّل بؤرة خطرٍ عظيمٍ على المسلمين، لوفرة أهلها وقوتهم، واتساع مناطقهم، وهم يهود خيبر وما والاها، ولم يكن بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين يهود خيبر عهد أو صلح، كبقية اليهود. وعلى الرغم من أن المسلمين لم يتعرضوا ليهود خيبر بأي سوء، إلا أنهم كانوا على عداء تامٍّ للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وللمسلمين.

كانت خيبر آخر معاقل اليهود في الحجاز، وكانت مصدراً للشور والفتن، ووكراً لتدبير المكائد والتآمر ضد المسلمين، ومركزاً للاستفزازات والإستنفارات العسكرية، ومأوى للهاربين من اليهود، كبنّي النضير الذين أجلاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن المدينة فنزحوا إلى خيبر وقلوبهم تغلي حقدًا على المسلمين، فاحتضنهم يهود خيبر.

وكان ليهود خيبر مواقف سلبية ضد الإسلام، فهم الذين قاموا بتأليب العرب على المسلمين، وتحزيب الأحزاب في غزوة الخندق، وكانوا قد أوقدوا نار الحرب يوم الأحزاب؛ لاستئصال الإسلام من الأرض، وهم الذين جرّوا بني قريظة على الغدر

بالمسلمين ونقض العهود التي كانت بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يهود خيبر أيضاً مضاهرين لليهود غطفان على رسول الله صلى الله عليه وآله، بل كانوا هم الداعم الحقيقي لغطفان.

هذه الأمور والقضايا جعلت هناك ضرورة مُلِحَّة للقضاء عليهم وتأديبهم، ومحاسبتهم على ما اقترفوا من جرائم في حق الإسلام.

وقد هيبئ الله تعالى الوقت المناسب، حيث عُقد صلح الحديبية بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين قريش، فأمن النبي صلوات الله عليه وآله من جانب قريش، من أي هجوم على المسلمين في ذلك الوقت، أو مساندة لليهود أو تحالف معهم، واغتنم تلك الفرصة الثمينة، فعزم على التوجه والسير إلى اليهود القابعيين في خيبر، لإنهاء وجودهم، فلما رجع من صلح الحديبية أقام بالمدينة شهر ذي الحجة وبعض محرم ثم تجهز للمسير إلى خيبر في بقية شهر محرم.

ما أعظم أن نستشعر هذه الحادثة المبشرة والمفرحة في هذا الشهر المليء بالمآسي والأحزان، ففي شهر محرم الحرام في العام السابع من الهجرة، كانت أول بركات صلح الحديبية.

فلم يمض سوى أشهر قليلة حتى سقطت حصون خيبر، لتكون مكافأة من الله تعالى لأولئك المؤمنين الذين بايعوا على الموت تحت الشجرة، وهم في عقر دار الكفر، وليس معهم إلا السيوف في قرايها، وقد كانت خيبر أول الغنائم التي بشرهم الله تعالى بها في سورة الفتح، ووعدهم بأن يأخذوا من بعدها كنوز كسرى وقيصر؛ فقال تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

فقد اتجه الجيش الإسلامي بقيادة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في شهر محرم في السنة السابعة إلى خيبر، إلى تلك المدينة الكبيرة ذات الحصون والمزارع والنخل الكثير، وهي تبعد مسيرة يومين عن المدينة المنورة، كان المسلمون في هذه الغزوة ألفاً وأربعمائة (١٤٠٠) مقاتل، معهم مائتا (٢٠٠) فرس.

فحين سار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى خيبر سلك طريقاً تحول بين مساندة غطفان لليهود حتى بلغ واد الرجيع، فلم تستطع غطفان المساعدة لليهود خيبر خوفاً على أنفسهم من هجوم المسلمين.

وكان وصول المسلمين إلى خيبر ليلاً دون علم اليهود، فلما أصبح اليهود وفتحوا باب الحصن للخروج فوجئوا بالجيش، فصرخ صارخ اليهود في قومه منذراً، وأخذ يردد بأعلى صوته مرعوباً مفزوعاً، محمدٌ والله، محمد والخميس، حيث نزل هذا الخبر المخيف على اليهود كالصاعقة المحرقة، فقد شعروا بخطورة الموقف، وأنهم قاب قوسين أو أدنى من الهلكة، فهم يدركون حقيقة ذلك الجيش الواقف قريباً من حصونهم، فهربوا وأغلقوا باب الحصن، وركبهم وأسناهم تصطك من الرعب والهلع.

فبدأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حصار حصون اليهود، حصناً حصناً، وهي تتهاوى الواحد تلو الآخر، وكانت مناطقهم التي تتواجد بها حصونهم ثلاث مناطق: النظاة، وفيها: حصن ناعم، وقد جمعوا فيه المقاتلة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر برايته في اليوم الأول. وكانت بيضاء. لفتح خيبر، ولكن رجع أبو بكر ولم يك فتح وقد جهد.

ثم بعث صلى الله عليه وآله في الغد عمر بن الخطاب برايته ومعه الناس، فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه، فجاؤوا يجبنونه ويجبنهم كسابقه.

وخرجت كتائب اليهود يتقدمهم ياسر أخو مرحب، فكشفت الأنصار حتى انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فاشتد ذلك على رسول الله، فقال صلى الله

عليه وآله وسلم ((لأعطين الراية غداً رجلاً يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ ويحبُّه اللهُ ورسولَهُ، كرار غير فرار، لا يُوَيِّ الدبر، لا يرجع حتى يفتح اللهُ عليه))، فتناولت الأعناق لترى لمن يعطي الراية غداً، وتمنى كل واحد أن يكون صاحب الراية غداً.

وكان الإمام علي عليه السلام أرمَد العين، فدعاه صلى اللهُ عليه وآله، فقيل له: إنَّه يشتكي عينيه، فلمَّا جاء الإمام علي عليه السلام أخذ صلى اللهُ عليه وآله وسلم من ريق فمه، وذلك عينيه، فبرئتا حتى كأن لم يكن بهما وجع، ثم قال صلى اللهُ عليه وآله وسلم ((اللَّهُمَّ أكفه الحزَّ والبرد))، فما اشتكى من عينيه، ولا من الحزَّ والبرد بعد ذلك أبداً، فدفع صلى اللهُ عليه وآله الراية إلى الإمام عليه السلام وقال له ((امض على اسم الله وقاتل ولا تلتفت حتى يفتح اللهُ عليك)).

فقال الإمام علي عليه السلام: يا رسول الله، علام أُقاتلهم؟

فقال صلى اللهُ عليه وآله وسلم ((على أن يشهدوا أن لا إله إلا اللهُ، وأني رسول اللهُ، فإذا فعلوا ذلك حقنوا مئتي دماءهم وأمواهم إلا بحقها، وحسابهم على اللهُ عزَّ وجلَّ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقِّ اللهُ، فوالله لأن يهدي اللهُ بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم تصدَّق بها في سبيل اللهُ))، فسار علي عليه السلام بالجيش، وخرج إليه أهل الحصن، وكان أول من خرج إليه ياسر أخو مرحب وكان فارساً شجاعاً، فانكشف المسلمون وثبت الإمام علي عليه السلام، فتضاربا فقتله الإمام علي عليه السلام، وانهمز اليهود إلى الحصن.

فلمَّا علم مرحب بمقتل أخيه نزل مسرعاً، وقد لبس درعين، وتقلد بسيفين، واعتمَّ بعمامتين، ولبس فوقهما مغفراً وحجراً، قد أثقبه قدر البيضة لعينيه، ومعه رمح سنانه قدر ثلاثة أشبار، وهو يرتجز ويقول:

قَدْ عَلِمْتَ خَيْرُ أَنِّي مَرْحَبُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجْرَبُ

أَطَعْتُ أحياناً وَحيناً أَضْرَبُ إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تَلْتَهَبُ

فردّ علي (عليه السلام) عليه، وقال:

أنا الذي سمّنتني أمّي حَيْدَرَة كَلَيْثَ غَابَاتٍ شَدِيدِ قَسْوَرَة
أَكِيلُكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلِ السَّنْدَرَة

فاختلفا ضربتين، فبدره الإمام علي عليه السلام فضربه فقدّ الحجر والمغفر ورأسه، حتى وقع السيف في أضراسه فقتله.

فكبر الإمام علي عليه السلام وكبر معه المسلمون، وبمقتل هذه اليهودي انهارت معنويات اليهود، وسقط خيار المقاومة، ففضلوا الإنهزم إلى داخل الحصن وأغلقتوا الباب عليهم، وكان الحصن مُخندقاً حوله، فتمكّن الإمام علي (عليه السلام) من الوصول إلى باب الحصن، فعالجه وقلعه، وأخذ باب الحصن الكبيرة العظيمة التي طولها أربعون ذراعاً، فجعلها جسراً فعبر المسلمون الخندق، وظفروا بالحصن ونالوا الغنائم، وقد حاول حمل الباب أربعون رجلاً فلم يتمكنوا.

ثم توجه المسلمون إلى حصن الصعب بن معاذ بعد فتح حصن ناعم، حتى افتتحوه بعد حصار استمر ثلاثة أيام، ومعركة شديدة، ووجدوا فيه الكثير من الطعام والمتاع، ثم توجهوا بعده إلى حصن قلعة الزبير الذي اجتمع فيه الفارون من حصن ناعم والصعب، فتحصنوا فيه، فحاصروه وقطعوا عنه مجرى الماء الذي يغذيه، حيث جاء الخبرُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم أن لليهود منفذاً تحت الأرض إلى عينٍ من الماء يشربون منها، مما يطيلُ أمدَ الحصار، فأرسل صلى الله عليه وآله من يقطعُ إمداداتِ الماءِ عنهم، حتى إذا يبست عروقُهم، واحترقت أكبادُهم، اضطروهم إلى النزول للقتال فخرجوا من جحورهم في محاولة أخيرة لصدّ الجيشِ المحمدي، فقاتلوا قتالاً شرساً، ليس شجاعةً ولا بطولة، ولكن حسرةً على أموالهم وكنوزهم التي كانوا يقدسونها أشدّ التقديس، ويعبدونها أعظمّ العبادة ويفضلونها على الأهل والولد، ومع ذلك لم يصبر اليهود سوى ساعات قليلة، انهارت بعدها قواهم، وخارت عزائمهم،

وأعلنوا الاستسلام التام تحت وقع ضربات السيوف، وطعنات الرماح، التي لا قبل لهم بها، فانهمزوا بعد حصار دام ثلاثة أيام، من حصن القلعة وأبي والنزار، وبذلك تمت السيطرة على آخر حصون منطقة النطاة التي كان فيها أشد اليهود.

ثم تحول رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم منطقة أخرى بها حصون لليهود، هي القموص والكتيبة والوطيح والسلام فتحصنوا أشد التحصن، وجاءهم كل من هرب وانهمز من الحصون الأولى، فتحصنوا معهم في القموص والكتيبة، وكانت حصوناً منيعة، وبعد حصار دام عشرين (٢٠) يوماً، انهزم اليهود، هارين إلى حصن الوطيح والسلام، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم (١٤) أربعة عشر يوماً، فهَمَّ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم أن ينصب المنجنيق عليهم لما رأى من تغليقهم وأنه لا يبرز منهم بارز، فلما أيقنوا بالهلكة وأجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب، حيث طلب اليهود أن ينزلوا على الصلح، وأن يتفاوضوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقَبِلَ صلى الله عليه وآله وسلم ذلك، وكانت خلاصة الأمر أن تمَّ التصالح على حَقْنِ دمائهم، ودماء كلِّ مَنْ فِي الحصون من المقاتلة والذرية والنساء، على أن يتركوا ما خلفهم من الديار والسلاح والأموال والذهب والفضة ويخرجوا دون شيء، إلا ثوباً يحمله على ظهره، واشترط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هذه المعاهدة عليهم شرطاً هاماً وهو: «أَنْ لَا يَكْتُمُوا، وَلَا يُعَيَّبُوا شَيْئاً، فَإِنْ فَعَلُوا فَلَا ذِمَّةَ لَهُمْ، وَلَا عَهْدَ»، فلو أن أحداً من اليهود أخفى شيئاً من الأموال أو من الذهب أو الفضة، فللرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يقتله بهذا الإخفاء، وقَبِلَ اليهود هذا الصلح، وبدؤوا في الخروج من خيبر، وقد حقن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دمائهم جميعاً بهذا الصلح، وذلك رغم ما قدَّمت أيديهم من سوء، ولم يقتل إلا مَنْ برزت خيانتته لهذا العهد، كما وقع لكنانة بن أبي الحقيق.

ولما تم فتح خيبر وانتصر المسلمون بفضل الله، ودان اليهود لسلطان المسلمين، انتهت قوة اليهود ونفوذهم بشكل نهائي، وبقوا في خيبر منزوعي السلاح، أُجْرَاء عند المسلمين يعملون في أراضيهم، وقد أمن المسلمون بذلك الجهة الشمالية للمدينة، حيث لم يبق لليهود قائمة بعد ذلك في جزيرة العرب.

كان هذا الفتح المبين عقاباً من الله تعالى لليهود على مكْرهم وشُرورهم وعدوانهم، وإذلاً لهم، وثواباً منه تعالى للمؤمنين الصادقين المجاهدين في سبيله بأموالهم وأنفسهم، ونصراً لهم على عدوهم الذي ما فتئ يدس لهم ويكيد عليهم، وتصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، وللمؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب الأرباب، هازم الأحزاب، منزل الكتاب، جامع الناس ليوم الحساب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: كان فتح خيبر فتحاً عظيماً على المسلمين، فقد قذف الله تعالى بفتحه في قلوب بقية اليهود رعباً وخوفاً شديداً، فقد ترتب عليه فتوحات أخرى، فما إن علم بقية اليهود في فذك ووادي القرى وتيماء بما فتح الله على نبيه من خيبر حتى سقط في أيديهم، وحصل من أمرهم ما يلي:.

أما يهود فذك (التي تبعد عن خيبر ١٢٠ كم شرقاً) فقد أجلوا عنها وهربوا منها، بلا خيل ولا ركاب خوفاً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرجع لهم نصف الأرض على نفس الإتفاق بينه وبين أهل خيبر. وحاول يهود وادي القرى (١٠٠ كم غرب خيبر) قتال المسلمين عند عودتهم إلى المدينة، ونشبت معركة استمرت إلى المساء، وفي اليوم التالي نشب القتال حتى استسلم اليهود بنفس شروط خيبر.

وصالح يهود تيماء (تبعد عن خيبر ٢٠٠ كم تقريباً شمال خيبر) بنفس صلح أهل خيبر. لقد كانت غزوة خيبر وما ترتب عليها من الوقائع التي حطم المسلمون من خلالها النفسية اليهودية، وأذاقوهم فيها مرارة الهزيمة، وصيروا طعم الحياة عندهم كالعقم، يوم كان المسلمون أمةً واحدة، يطبقون القرآن ويعملون بالسنة، يمثلون قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، فتلتهب صدورهم حماساً، وتمتلئ قلوبهم يقيناً بوعده الله، فلا يخافون اليهود، ولا من وراء اليهود، ويقرؤون قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فيتمسكون بعروة الله، ويمدّون أعناقهم إلى فاطر السماوات والأرض، يستمطرون النصر منه وحده دون غيره، ويقطعون ثقتهم في غير

الله، فلا يمدون أيديهم إلى أحد من البشر والدول، أو الشعوب والأمم، ويعملون بقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ}، فيصنعون من شباب المسلمين أسوداً، لا يحبون من الألوان إلا الأحمر الذي ينبعث من رقاب الأعداء وأجسادهم، هنالك كان النصر حليفهم، والصدق قرينهم.

أما اليوم فقد استأسد اليهود، وانتكست أوضاع المسلمين رأساً على عقب، لأنهم تنحوا عن الإسلام، وصار الدين منهم بعيداً بعيداً، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فاحتل اليهود بلدان المسلمين، وقتلوا رجالهم وأصدطفاهم ونسائهم، وهدموا بيوتهم، وأخذوا أموالهم، واستغلوا خيراتهم، ويوسعون مملكتهم رويداً رويداً، حين وثق اليهود بما لديهم من قوة، واطمأنوا إلى ما يتميزون به من تفوق، ولم يعد يخيفهم شيء من ناحية المسلمين، فما الذي يخشونه؟ بعد أن أعلن المسلمون عجزهم عن مواصلة التحدي، ووقعوا على معاهدات الإستسلام والإذعان، وأعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

كيف تخشى إسرائيل واليهود من أناسٍ يتشاغلون ببعضهم، ويتناسون عدوهم الأكبر، بل يستمدون المعونة من عدوهم على بعضهم، فهم لن يحققوا نصراً ولن يبنوا مجداً. إن من يظن أن خلافنا مع اليهود هو حول قطعة من الأرض أو نهر من الماء فهو غيبي ومغفل من الدرجة الأولى، لا يفقه شيئاً من كتاب الله، ويعاني من جمود فكري وأمية فاضحة في قراءة التاريخ وتتبع السير والأحداث.

إن خلافنا مع اليهود خلاف عقائدي في الدرجة الأولى، ولن يلتقي الخلافان في وسط الطريق، ولن تكون هناك إيجاد أو مقارنة حلول، أو نقاط التقاء، أو عوامل مشتركة، فالحل الوحيد إما أن يسلم اليهود، أو أن يتهود المسلمون، {وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}.

إن اليهود يريدون كل شيء في مقابل لا شيء، يريدون مزيداً من الهيمنة، ومزيداً من السيطرة، ومزيداً من الأراضي، ومزيداً من الانفتاح الاقتصادي، وفتح الأسواق

لمتجاتهم مقابل مزيدٍ من الإهانات، ومزيدٍ من الإذلالات، ومزيدٍ من الصنعات! لمن؟ كلها للمسلمين.

إن ما أخذ بالقوة لا يمكن أن يُستعادَ إلا بالقوة، أما التباكي والتشاكي إلى أعدائنا، أو الإلتجاء إليهم في قضايانا فهو حيلة البائس الضعيف، وليس طريقاً إلى إيجاد أي حلٍّ، لأن في ذلك إيجاد شرعية لهم، وقداسة فيما يصدرونه من قرارات.

إن الطريق إلى القدس، واستعادة الأقصى الشريف، وإعادة مسرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حياض الإيمان، لا يكونُ بعقدٍ مزيدٍ من المؤتمرات العاجلة ولا الآجلة، ولا عباراتِ الشجب والاستنكار، ولا بإرسال الوفود إلى العواصم الكبرى، لكسب عطفهم وتأييدهم، إن الطريق إلى القدس لا يكونُ إلا بالعودة الجادة إلى الإسلام، عقيدةً وشرعيةً ومنهج حياة، الطريق إلى القدس حين تعاد إلى القرآن هيئته ومكائنه، الطريق إلى القدس حين يعاد رفع رايات الجهاد في سبيل الله تعالى.

إن المسلمين ينتظرون الفرج والنصر { وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ }، ولا يقدمون الأسباب لذلك، إن الذي يقاتل لا يسأل متى هو؟ ولكن يقول: { عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا }.

لقد أخبرنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بأن المعركة مستمرة مع اليهود، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلَفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرَقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ)).

فما علينا إلا أن نهيء أنفسنا، ونعد العدة للقاء عدونا، ونترك إثارة الخلافات والنزعات التي غرسها اليهود فيما بيننا، ونتوجه مجتمعين معتمدين واثقين بالله ربنا، متقيدين بتعاليم ديننا، مطبقين لقرآننا، متأسين ببنينا، ومقتدين ومنقادين لأهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني:

الخطب المتعلقة

بصفر وبيع الأول

١٢ - دخول الإمام الهادي عليه السلام إلى اليمن

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بأهل بيت النبوة، وجعلهم أدلة على الحق وقدوة، ورفع بهم منار الدين وأعلاه، وأشاد بهم بنيان الهدى وقواه، وأزال بهم ظلمات الجهل وعشاوته، ومحي بهم ضلالات الباطل وغشاوته، وقمع بهم أهل الزيغ والكفر والنفاق، وزلزل بهم عروش أهل الكبرياء والشقاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا عديل، ولا خلف لقوله ولا تبديل. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين المأمون، بلغ الرسالة كما أمره الملك الجليل، وأدى الأمانة بكل ما يمكنه من التبليغ، صلى الله وسلم عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن الله تعالى قد أنعم علينا بنعم كثيرة، وامتن علينا بمنن جسيمة، لا تعد ولا تحصى، ومن أعظم النعم نعمه الدين، ونعمة الإسلام، ونعمة الحق واتباعه، فهي أجل النعم، وأكبر المنن، والله تعالى يُذَكِّرُ عباده بنعمه عليهم، في آيات كثيرة، كما قال تعالى {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ}، وكما يقول تعالى {وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}، وقد ذَكَرَ اللهُ مَنْ قَبَّلْنَا بنعمه عليهم، فقال تعالى {وَذَكَّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}، فتَذَكَّرُوا أَيَّامَ اللَّهِ، وجلائل نعمه تبعث على الشكر، وتحث على استمرار الحمد لله تعالى على نعمه.

نستشعر في شهرِ صفرِ الظفرِ نعمة من نعم الله تعالى التي أنعم بها على بلد الحكمة والإيمان، وتذكر مِنَّةً من الله تعالى امتن بها على أهل اليمن، وهي من أعظم النعم والله الحمد.

تلك النعمة العظمى، والمنة الكبرى، هي وصول الإمام الأعظم، الهادي إلى الحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام إلى أرض اليمن، الذي بدخوله إلى اليمن دخل الأمن والأمان، وعمّ الخير والإحسان، وتمت البركة والفضل، وكمل الهدى والبيان.

فلقد كانت اليمن تعيش قبل دخول الإمام الهادي عليه السلام حالة من الفوضى العارمة، والمحن المتلاطمة، والفتن المتزاحمة، والحروب الدائمة، والناس في خوف شديد، وذعر هائل، وهلع متواصل، يظلم قوئهم ضعيفهم، ويأخذ كبيرهم حق صغيرهم، والقبائل متناحرة، والقلوب متنافرة، والأرض مجدبة.

وكان الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام، مقيماً بالرس خارج المدينة المنورة، في بلد جده الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، التي بها ولد وبها نشأ وترعرع. الإمام الهادي عليه السلام الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم في روايات كثيرة، صحيحة شهيرة:

منها: ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((يخرج في هذا النهج -وأشار بيده إلى اليمن- رجلٌ من ولدي اسمه يحيى الهادي، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحيي الله به الحق ويميت به الباطل)).

وبشر به أمير المؤمنين علي عليه السلام فيما روي عنه من قوله عليه السلام: (فيخرج رجلٌ من عترتي اسمه اسم نبي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً؛ يميز بين الحق والباطل، ويؤلف الله قلوب المؤمنين على يديه).

كان الإمام الهادي موصوفاً من حال صباه بفضل القوة والشدة والبأس، والشجاعة والإقدام، والاشتغال بالعلم، وقد ذاع صيته، وشاع فضله. ولما انتشرت فضائله، وظهرت أنواره وشمائله، راسله وكتبه أبو العتاهية الذي كان والياً على صنعاء ومكاً مشهوراً من ملوك اليمن، وأرسل إليه وفداً من أهل اليمن، يضم مشائخ ووجهاء طلبوا منه الخروج معهم إلى اليمن، يسألونه إنقاذهم من الفتن، ويعدونهم النصر والمعونة والتأييد والمواساة بأنفسهم وأموالهم، وأنهم سيكونون معه أنصاراً على إحياء دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ومجاهدة أعداء الله وأعداء دينه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فساعدهم إلى ذلك، وخرج الخرجة الأولى سنة (٢٨٠) هـ، وكان عمره خمساً وثلاثين عاماً، فلما وصل إلى اليمن أظهر أهلها السرور بمقدمه، واجتمعوا إليه وبايعوه إماماً على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، يصلح ذات بينهم، ويقوم أحكام الشريعة الإسلامية فيهم، وينقذهم من جراثيم الفتن، وبرائين الحن، فوصل إلى بلادهم قريباً من صنعاء، فأقام بين أظهرهم أشهراً، أمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، عاملاً بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فوجدهم عن الحق نافرين، وعن قبوله متثاقلين، وإلى الباطل مائلين، وللهوى متابعين، ثم بلغه أنّ أفراداً من الجند الذين معه تعدوا على أموال الناس ومواشيهم وزروعهم، وعاثوا في الأرض فساداً، وعندما أراد تأديبهم؛ تعصب لهم مشائخهم، وبلغه أيضاً أنّ قائداً من القواد الذين كانوا عند أبي العتاهية، شرب خمرًا، وشهد الشهود عليه بذلك، فبعث إليه من يُقدِّمُ به، ليقم حدَّ الله عليه فامتنع، فركب إليه الإمام عليه السلام بأصحابه إلى حيث كان الرجل، فامتنع عليه فغضب الإمام الهادي وقال: والله لا أكون كالمصباح يضيء لغيره ويحرق نفسه.

فلما صار الوضع على ما صار إليه لم يستجز الإمام عليه السلام فيما بينه وبين الله تعالى أن يقيم بين أظهرهم، فاعتزل أمرهم، وتخلّى عنهم، ثم انصرف عنهم واتجه إلى بلاده، وطوى المراحل والمنازل، حتى عاد إلى وطنه من أرض الحجاز.

فلما خرج عنهم، ساءت أحوالهم، وفسدت معاشهم، وأخلفت ثمارهم وزروعهم، وأسرع الموت في مواشيهم وأنعامهم، وجدبت أرضهم، وعادت الفتن بينهم، فندم أهل اليمن على ما فرط منهم من مخالفته، والعدول عن أمره، واتفقوا على أن يوجهوا إليه من كل قبيلة رجالاً معروفين من خيارهم وصلحائهم فيسألونه العودة إليهم، ويُعلمونه ندمهم على ما فرط منهم، والتوبة والإنابة مما قد أقدموا عليه من ترك طاعته، وأنهم قد تعاقدوا وعاهدوا الله عزّ وجل على أن يأتروا بأمره، ويسارعوا إلى نصرته، ويبادروا إلى ما يدعوهم إليه، ويبعثهم عليه، ويندبهم له من مجاهدة الظالمين، ومنابذة الفاسقين.

ووردت الكتب والرسائل على أبيه وأعمامه يتشفعون بهم في إقناع الإمام للرجوع إلى اليمن.

فقدِمَ الوفد عليه وسألوا وتضرعوا وألحوا، وكان قد عزم على رفض الخروج معهم لما قد علمه من قسوة أهل اليمن، وكثرة شرهم، ولكنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وهو يقول له: يا يحيى مالك متثاقلاً عن الخروج، انهض ومُرهم أن ينقوا ما على الأرض من الأوساخ، أي من المعاصي والفساد، فعزم على الخروج ولم يرَ أن يتقاعد عنهم ويتأخر عمّا دعوه إليه، فتجهز وخرج في جماعة أهله من بني أبيه وبني عمومته، وعدة من ثقاته وخدمه ومواليه، وكانوا قرابة خمسين رجلاً.

وكانت هذه هي الخرجة الثانية التي كانت في عام (٢٨٤) هـ، ووصل إلى صعدة في السادس من شهر صفر من تلك السنة، وكانت في حولان فتنة عظيمة بين بني سعد وبني الربيعة قد فني فيها الرجال، وذهبت الأموال، وقحطت البلاد، وجدبت

الأرض، وكانت عداوتهم قديمة يقتل بعضهم بعضاً، ويُغيّر بعضهم على بعض، وقد عجز الناس عن إصلاحها حتى إن بني يعفر وهم من ملوك اليمن كانوا قد أرسلوا قائداً وجيشاً كبيراً لإصلاح ما بين القبيلتين، فلم يتمكنوا من ذلك، بل اقتتل القوم وهم ينظرون، لم يستطيعوا فعل شيء بينهم، فلما وصل الإمام الهادي عليه السلام إليهم خرجوا إليه بأجمعهم، وسلموا عليه، فرد عليهم السلام، وأمرهم أن يسلم بعضهم على بعض، ثم دعاهم الهادي عليه السلام إلى الهدى، وذكّرهم بأيام الله وزجرهم عمّا كانوا عليه، ونهاهم عن الفتنة والمعصية، ووعظهم بأبلغ المواعظ وأحسن الخطاب، فلما سمعوا كلامه بكوا جميعاً، فسارعوا إلى قبول قوله، وبايعوه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وإحياء معالم الدين، ومجاهدة الظالمين، ومباينة الفاسقين، واختلط بعضهم ببعض، واستحلفهم على ترك العداوة والفتنة، وصاروا ببركته بعد الفرقة والعداوة المفرطة إخواناً متحابين، وتداعت إليه قبائل اليمن فبايعه أكثرهم، وفاءً إلى طاعته جمهورهم، وأنزل الله تعالى عليهم السماء مدراراً، فأخصبت بلادهم، وصلحت ثمارهم ودوابهم، ورحصت أسعائهم، وأمنت طرقتهم.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}،

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لا غاية له ولا انتهاء.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء،
والقائم بلا عناء، والدائم بلا فناء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين والأنبياء، صلوات الله عليه وعلى آله
الأصفياء الأتقياء.

أما بعد: أيها المؤمنون:

لم يكن الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام حين خرج إلى اليمن طامعاً في ملكٍ
أو رئاسة أو مال، وإنما خرج حين استدعاه أهل اليمن ليكشف عنهم ما حل بهم
من الفتن، وليكون عوناً لهم على رفع الظلم عنهم، ودفع الفساد المحيط بهم.
كما قال عليه السلام: والله الذي لا إله إلا هو، وحق محمد ما طلبت هذا الأمر، وما
خرجت اختياراً، ولا خرجت إلا اضطراراً لقيام الحجة عليّ، ولوددت أنه كان لي سعة في
الجلوس، وكيف لي بأن يسعني الجلوس عن هذا الأمر الذي أنا مزوم فيه بزمام.
وقال في كلام آخر: والله والله لو علمت أحداً في هذا العصر أقوم بهذا الأمر مني،
أو عرفته من أهل البيت يقوم بأفضل مما أقوم به لاتبعته جداً حيث كان، وأقاتل بين
يديه، ولكني لا أعلمه.

الإمام الهادي عليه السلام كان همُّه الأول والأخير هو إصلاح الأمة، ونشر
الفضيلة، ودفع الرذيلة، وتطبيق أحكام الكتاب والسنة، وإقامة الحدود، والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلقد كان كثيرَ الحزن والأسى على هذه الأمة التي ضلت الطريق، وتنكبت الحق، واتبعت الباطل، فكان يقسم بالله تعالى ويقول: والله لوددت أن الله أصلح الإسلام بي، وأن يدي ملصقة بالثريا ثم أهوي إلى الأرض فلا أصل إلا قطعاً. وكان يجلف ويقول: لوددت أن الله أصلح بي أمر هذه الأمة، وأني جعت يومين وشبعت يوماً.

كانت طاعةُ الله ورسوله هي الهدف الذي يسعى لتحقيقه، ولهذا فإنه عليه السلام عندما بايعه أهل اليمن على السمع والطاعة شرط لهم على نفسه أن يطيع الله ورسوله، وجعلهم في حلٍّ من بيعته إن هو خالف ذلك كما قال عليه السلام:

أيها الناس: إني أشرت لكم أربعاً على نفسي:

الحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والأثرة لكم على نفسي فيما جعله الله بيني وبينكم، أوثرتكم فلا أتفضل عليكم، وأقدّمكم عند العطاء قبلي، وأتقدم أمامكم عند لقاء عدوي وعدوكم بنفسي.

وأشرت لنفسي عليكم: النصيحة لله سبحانه ولي في السر والعلانية، والطاعة لأمري في كل حالاتكم ما أطعت الله، فإن خالفت طاعة الله فلا طاعة لي عليكم، وإن ملت أو عدلت عن كتاب الله وسنة رسوله فلا حجة لي عليكم.

فهذه هي دعوته وطريقته عليه السلام، التي يريد تطبيقها، فقد أخذ المصحف يوماً وقال للناس:

أيها الناس بيني وبينكم هذا آية آية، فإن خالفت ما فيه بحرف فلا طاعة لي عليكم، بل عليكم أن تقاتلوني أنا.

الإمام الهادي عليه السلام سيرته نقيه عطرة، مليئة بالدروس والعبر، فقد كان عليه السلام مثلاً للعدل والإنصاف، فكان يضرب بعدله المثل، كان ينصف المظلوم،

ويعين الضعيف، ويغيث الملهوف، سواء كان رجلاً أو امرأة، صغيراً أم كبيراً، حراً أو عبداً، غنياً أو فقيراً، وكان قول لأصحابه: أوصلوا إليّ كلّ ضعيف لا يصل إلا بكم. ولم يكن يجابي أحداً من أصحابه ولا من قواده في أخذ الحق منه، فهذا أبو العتاهية الذي كان ملكاً على اليمن، ولما جاء الإمام الهادي سلم له الأمر كله، وجاهد بين يديه، في ذات يوم جاءت امرأة إلى الإمام الهادي عليه السلام وقالت له: يا ابن رسول الله أنصفي من خصمي.

فقال الإمام الهادي عليه السلام: ومن خصمك؟.

قالت: أبو العتاهية، فقال لها الإمام عليه السلام: وماذا تطلبين منه؟
فقالت: الأرض الفلانية التي تحت يده هي لي اغتصبها علي في أيام ملك أبيه علي صنعاء.

فاستدعى الإمام الهادي عليه السلام أبا العتاهية، وقال له: أنصف خصمك منك، فإن هذه المرأة تدعي أن لها عندك أرضاً.

فقال أبو العتاهية: إقض بيني وبينها بحكم الله تعالى.

فقال الإمام الهادي عليه السلام للمرأة: ما هي بينتِكِ على دعواكِ أن الأرض لك. فجاءت بشهود يشهودن لها، فحكم لها الإمام عليه السلام بالأرض، وانتزعها من تحت يد أبي العتاهية، وسلمها عن نفس راضية قانعة متواضعة.

أيها المؤمنون:

إن للإمام الهادي عليه السلام منةً على أهل اليمن كافة، مطوقةً بها أعناقهم، فبفضله وجهاده، وحميد سعيه وعنائه، أباد الله به القرامطة الباطنية الأشرار، الذين كانوا قد طبقوا البلاد، واستذلوا العباد، ونشروا في الأرض الفساد، وأدخلوا مذاهب الكفر والإلحاد، وأعانهم على ذلك أهل الضلال والعناد، وكانوا قد سيطروا على مناطق عديدة في شبه الجزيرة العربية، كالعراق والمغرب والبحرين، وكانوا قد دخلوا إلى اليمن وانتشرت

دعوتهم فيه على يد رجل يقال له علي بن الفضل القرمطي، فلما جاء الإمام الهادي عليه السلام، نفى عن الأرض فسادهم، وطهر الأرض من أرجاسهم، وله معهم ما يقارب من ثمانين وقعة، في كلها أمدته الله بنصره، وأظهر أمره، وأعز جنده.

وكان مذهب المجبرة القدريّة، الذين يضيفون إلى الله تعالى الفواحش، وينسبون إليه الكفر والفساد، قد امتدت جذوره، وكثُر جمهوره، وعمّ شروؤه، فلما دخل الإمام إلى صنعاء اجتمع إليه علماؤهم وهم أكثر من سبعة آلاف مجبري، فاختاروا منهم سبعين عالماً، وقدموا رجلاً يقال له يحيى النقوي، فقال له: يا مولانا ممن المعاصي؟، فقال الإمام الهادي عليه السلام: ومن العاصي؟.

فاحتار النقوي ولم يدر بماذا يجيب؟ فلامه أصحابه على ذلك، فقال: ويحكم، لقد أجمني وأعجزني، إن قلتُ العاصي هو الله فقد كفرتُ، وإن قلتُ العاصي هو العبدُ خرجتُ من مذهبي، فلما علموا قوة دلالاته، وظهور حجته، رجعوا جميعاً إلى مذهبه، ودانوا بالعدل والتوحيد، فله الحمد على ذلك كثيراً.

فلولا الإمام الهادي عليه السلام لكان اليمن إما باطنياً أو جبرياً أو غيرهما من مذاهب الضلال، ولما كان للحق فيه راية تحفّق، أو علم يرفع ويخلق. والكلام حول سيرته وعبادته وجهاده واجتهاده وخدمته للدين يطول ويطول، ولكن أردنا أن نأخذ العبرة، وأن نتعلم من أئمتنا عليهم السلام، وأن نستشعر مواقفهم، ونقتدي بهم.

فإذا أراد أهل اليمن أن تصلح أمورهم، وفلينظروا في الطريقة التي فعلها أسلافهم، وليفعلوا مثلها ليتخلصوا من براثن الفتن الحاصلة عليهم.

وفقنا الله وإياكم لصالح الطاعة والعمل، وعصمنا من الزيغ والزلل، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

الثالث:

الخطب المتعلقة

بشهر ربيع الأول

١٣ - خطبة حول المولد النبوي وواجبنا نحوه

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وشرفنا بمحمد سيد الأنام، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فكشف به الغمة، وأثار به الظلمة، ففتح الله به أعيناً عمياً، وآذانا صماً، وأفواهاً بكماً، وقلوباً غلفاً، نحمده استتماماً لنعمته، واستسلاماً لعزته، واستعصاماً من معصيته، إنه لا يضل من هدايه، ولا يفتقر من كفاه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تتمسك بها أبداً ما أبقانا، وندخرها لأهويل ما يلقانا، فإنها عزيمة الإيمان، وفتحة الإحسان، ومرضاة الرحمن، ومدحرة الشيطان.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أخرجنا من أفضل أرومة، وأعز جرثومة، وأطيب خؤولة وعمومة، فهو إمام المتقين، وبصيرة المهتدين، ونجاة المؤمنين، صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

ها هو شهر ربيع قد أظلل علينا حاملاً في طياته، أعظم الذكريات، وأجل المناسبات، مذكراً لنا ذكرى الهداية والنور، منبهاً على مناسبة تغيرت بها الحياة البشرية، والمعالم الكونية، فهذا الشهر يحمل لنا ذكرى ولادة المنقذ البشر، الذي انتظره العالم طويلاً، ليغير مجرى الحال التي يعيشها الناس، ليطفئ بأنوار هدايته ضلال وشقاء البشرية، الذي تراكم حتى صار ظلمات بعضها فوق بعض، تلك الذكرى هي ولادة رجل عظيم بمولده تغير تاريخ هذه الأرض، التي كانت ممتلئة بأنواع الفجور والمآثم.

ولد الهدى فالكائنات ضياء
كيف ترقى رقيق الأنبياء
وفم الزمان تبسم وثناء
يا سماء ما طاولتها سماء

لما ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم خَرَّ ساجداً، وَحَفَّتْ به الملائكة عليهم السلام، وَأَشْرَقَتِ الآفاق، وكثرت النجوم، ورجمت الشياطين، ومنعوا من الإستماع، وغسَلته الملائكة عليهم السلام بماء من ماء الجنَّة، واضطربت الأصنام ونكست على رؤوسها، وتساقطت على وجوهها، وانطفأت نار المجوس بفارس وكانت لا تزال موقدة أكثر من ألف عام لم تنطفئ، وتساقطت أربعة عشر شرفة من شرفات قصر كسرى، وتزلزل إيوانه، وهو مجلس الحكم، وظهرت في ذلك اليوم دلائل الإرهاب للنبوة، التي تؤذن بتغييرات عامة في أمور كثيرة من أحوال الناس في أديانهم ودياناتهم، وسلوكياتهم وأخلاقياتهم، فها نحن نعيش في أيام تلك الأحداث العظيمة.

ويومَ مولدهِ الأصنامُ قد نُكِسَتْ والنَّارُ قدْ خَمِدَتْ وانْقَضَتِ الزُّهُرُ
وفي البَحِيرَةِ غِيضَ المَاءِ وارْتَعَدَتْ أَزْكَانُ إِيوَانِ كِسْرَى فَهُوَ مُنْكَسِرُ

أبان مولده عن طيب عصره يا طيب مبتدأ منه ومختتم
يوم تفرس فيه الفرس أنهم قد أنذروا بحلول البؤس والنقم
وبات إيوان كسرى وهو منصدع كشمَل أصحاب كسرى غير ملتئم
والنار خامدة الآنفاس من أسف عليه والنهر ساهي العين من سدم
وساء (ساوة) أن غاضت بحيرتها ورُدَّ وارِدُها بالغيظ حين ظمي
كأن بالنار ما بالماء من بلل حزنا وبالماء ما بالنار من ضرَم
والجن تهتف والأنوار ساطعة والحق يظهر من معنى ومن كلم

إنها ولادة نبينا وقائدنا وحيينا وفخرنا وعزنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولادة الطاهر المطهر، الذي طهره الله من أدناس أهل الفجور والردائل، ولادة المنقذ الذي أنقذ الله به العباد من ظلم الضلالات، وإشراك أهل الجهالات، ولادة البشير المبشر عن الله لمن أطاعه برضوانه وجنانه، النذير المنذر بأن داراً غير هذه الدار، ينتصف فيها للمظلوم من الظالم، في يوم له أهوال يقضي الله فيه بين الخلائق، يوم

يهلك الله فيه أهل الأرض، ويجمعهم للحساب والجزاء، أعد الله فيه لمن آمن وصدق بدعوة أنبيائه وعمل صالحاً جنّةً أعدّ فيها مالا يستطيع العقل تخيله أنواع الملاذ والرفاهة وأسباب السعادة الدائمة، وأعد لمن جحد وأعرض عن دعوة أنبيائه ناراً جمعت أعظم وأفظع أشد ألوان العذاب، ويلقى أهلها فيها أنواع الخزي والهوان. إنها ولادة النبي الخاتم الذي أخذ الله ميثاق النبيئين على الإيمان به ونصرته، وأمر الأنبياء أن يبشروا به أممهم، ويعلموهم باسمه وصفته.

محمد خير من يمشي على قدم	محمد أشرف الأعراب والعجم
محمد صاحب الاحسان والكرم	محمد باسط المعروف جامعهم
محمد صادق الأقوال والكلم	محمد تاج رسل الله قاطبة
محمد طيب الأخلاق والشيم	محمد ثابت الميثاق حافظه
محمد لم يزل نورا من القدم	محمد جبلت بالنور طينته
محمد معدن الأنعام والحكم	محمد حاكم بالعدل ذو شرف
محمد خير رسل الله كلهم	محمد خير خلق الله من مضر
محمد مشرق حقا على علم	محمد دينه حق ندين به
محمد شكره فرض على الأمم	محمد ذكره روح لأنفسنا
محمد كاشف الغمات والظلم	محمد زينة الدنيا وبهجتها
محمد صاغه الرحمن بالنعيم	محمد سيد طابت مناقبه
محمد طاهر من سائر التهم	محمد صفوة الباري وخيرته
محمد جاره والله لم يضم	محمد ضاحك للضيف مكرمه
محمد جاء بالآيات والحكم	محمد طابت الدنيا ببعثته
محمد نوره الهادي من الظلم	محمد يوم بعث الناس شافعنا
وأنه خير خلق الله كلهم	فمبلغ العلم فيه أنه بشر

النبي الكريم الذي ختم الله به النبوة، وأكمل به الرسالة، واصطفاه من أفضل

قبيلة، وأشرف بيت، وأطهر نسبة.

ذاك النبي الذي من قبل مولده
 ذاك النبي الذي من قبل مولده
 ذاك النبي الذي من قبل مولده
 ذا خاتم الرسل ذا من للرسالة فيه
 ذا طيب الذات ذا من طاب عنصره
 ذا أحمد المصطفى المختار أحمد

ولد النبي صلى الله عليه واله وسلم بعد عيسى صلوات الله عليه بما يقارب ستمائة عام في وقت انطمست فيه آثار الأنبياء، والناس قد دنت عقولهم الأهواء، فمنهم من اتخذ النار إلهاً يعبد، ومنهم من يعبد أصنافاً من الحيوانات، ومنهم من يعبد الأصنام والأحجار والتماثيل التي يصنعونها بأيديهم، ويعبدونها من دون الله، فقد كانت الكعبة مطوقة بالأصنام، وأما معاملاتهم التي انعكست عن عبادتهم فكانوا وحوشاً يأكل قلوبهم ضعيفهم، ويظلم بعضهم بعضاً، ويسطو بعضهم على بعض، يتقاتلون على أتفه الأمور وأبسط الأسباب، وتثور بينهم الحروب الطويلة المدى، التي تأكل الأخضر واليابس، فيقتل رجالهم، وتسبي نساؤهم، بدون مبرر، حتى بلغوا أقصى درجات التخلف والجهل، ففي اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل أشرقت على الأرض شمس الهداية أضاء الله بها تلك الظلمات، وحى بها تلك الجهالات.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، بسم الله الرحمن الرحيم {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ، فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه، ونستهدي الله الهدى، ونعوذ بالله من الضلالة والردى، من يهدي الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين. أما بعد: أيا المؤمنون:

شهر ربيع الأول جمع أحداثاً ومناسبات وذكريات تتعلق بنبيينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يكن خاصاً بمولده الشريف- وإن كان المولد النبوي هو بوابة تلك الأحداث وعليه تَرَبَّتْ-، بل قد وقع فيه غيره من الأحداث، فمن ذكريات مناسباته مولده وبعثته وهجرته، ومن ذكريات أحداثه وفاته صلوات الله عليه وآله، فقد جمعت في يوم واحد وشهر واحد وإن اختلفت الأعوام، فهذه الذكرى من حق كل مسلم أن يعطيها حقها، ويقوم بواجبه تجاهها. لحيث وأعداء الإسلام يحرصون كل الحرص على إطفاء أنوارها، فتارة يقولون ببدعية الإحتفال بالمولد النبوي، وأخرى يحدثون ويفتعلون ما يعيق الناس عن التذكير بها بشتى الأساليب، وأنواع المعوقات.

ولكن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حق واجب مطوق بعنق كل مسلم، فلا بد أن يستهون المسلم في سبيل أداء بعض ذلك الحق كل صعب، ويستلين كل قاس، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولاه ما اهتدينا، ولا عرفنا الله ولا صلينا، ولا صمنا ولا تصدقنا ولا زكينا، ولكن في عشوات الجهل عامهين، وفي غشاوات الظلم متخبطين، فيه استنقذنا الله من الضلالة، وأخرجنا من حيرة الجهالة.

فإحياء المولد النبوي يعني أن نظهر محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بين أوساطنا، في التطبيق لشريعته، والأخذ بسنته، والعمل بتعاليمه، والإقتداء به، لأنه منهجنا ودستورنا، فهو الحل الوحيد والمخرج مما وصلت إليه الأمة اليوم.

يجب علينا تجاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن نعمل أموراً منها:

أولها: أن نتعلم وأن نعرف شيئاً من حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته، فبدلاً من أن نضيع أوقاتنا الطائلة ونحن جاهلون بشريعتنا ونبينا، الأجدر بنا أن نكون ملمين ومطلعين ولو على الجزء اليسير من حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ألسنا نقطع جزءاً ليس بالبسيط من أوقاتنا أمام التلفاز، أو على الهاتف لمتابعة شيء تافه، أليس يمر من أوقاتنا الساعات الكثيرة ونحن نتابع كذبة ونحن نعلم بأنها كذبة، أو لعبة ونحن عالمين بأنها لعبة؛ فضيعنا أوقاتنا، وأهدرنا أموالنا، وأهكنا أجسادنا، ونحن نتابع هذه الأشياء التافهة والوهمية، فيصبح الفرد منا شاباً وهو لا يعرف إلا أسماء الممثلين واللاعبين والملاكمين، ولو سألنا ذلك الشخص وأعطينا جائزة كبيرة عن الأنبياء أو عن العظماء في الإسلام لما ردّ جواباً، بل لو سألناه عن اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونسبه، واسم أمه وبعض ما يتعلق به لما عرف ذلك.

بينما لو أعطينا بعض تلك الأوقات في الدراسة لسيرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وفي المطالعة وفي التزود بالمعلومات عن نبينا العظيم صلى الله عليه وآله وسلم ومعرفة ديننا لعرفنا الشيء الكثير، كفى إهمالاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كفى ابتعاداً عن دين الله.

الثاني: أن نُعلِّم أنفسنا وأولادنا وأهالينا محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما يقول الله تعالى {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله}، وكما يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه، وذاتي أحب إليه من ذاته، وأهلي أحب إليه من أهله))، والمحبة هي الإتيان، ليست عبارة

عن عبارات أو شعارات جوفاء خالية عن الإتيان والإقتداء، فليس بمحب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من يسمع المنادي وهو يقول أشهد أن محمداً رسول الله في اليوم واللييلة خمس مرات وهو معرض عن الإجابة، وإن ادعى المحبة فهو كاذب.

ألسنا نجلس في بعض مجالسنا فتحدث عن شخصيات أو عن أحداث ونقطع أوقاتاً كبيرة، ولكن كم مرة تحدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو حببنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أنفسنا وإلى أولادنا.

اللوم في هذا التقصير يتوجه علينا جميعاً شباباً وكباراً في السن، لأننا من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن أتباعه، ولكن نحاول أن نغض الطرف عن هذا الجانب، مع أننا قد نجلس في بعض الأحيان إلى أحد كبار السن أو الشباب المثقفين فنسمعه يتكلم بكل طلاقة عن أحداث الماضين وقصص الأولين؛ بل قد يكون بعضهم مطلعاً على أمور قد لا نعرفها، ولديه ملكة في حفظ الحسابات والمعالم الزراعية والعلوم العصرية من الفيزياء والكيمياء والجيولوجيا وغيرها، لكن إذا أوقفته قليلاً وسأته عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تراه يطأطئ رأسه، ويحني رقبته، ليس في جعبته ولا كلمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن مولده ولا بعثته ولا هجرته ولا حتى عن الشيء الهام من شريعته، وليس هذا إلا بسبب إهمالنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرحمة المهداة، الذي بكى شوقاً لرؤيتنا، فياعتبتنا من الله ومن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كفى ابتعاداً وتخاذلاً، آن الأوان أن نراجع حساباتنا، وأن نستغفر فيما فرطنا، وأن نعوض ما فاتنا؛ فكل شيء موجود، والله الحمد، العلماء والمعلمون في أوساطنا متواجدون وبكثرة.

نسأل الله أن يجعلنا ممن سمع فانتفع، وممن وعظ فاتعظ، وممن تأسى واقتدى، وتشبه بالنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يملئ قلوبنا حباً وشوقاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يهدينا جميعاً صغاراً وكباراً.

١٤ - حول مولد النبي صلى الله عليه وآله

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بنبيه المصطفى الأمين، إمام الأنبياء وسيد المرسلين، وجعلنا به مؤمنين، ولدينه متبعين، وبشريعته عاملين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة صادرة عن محض اليقين، هاشمة لأنوف المعتدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالبيان المضيء، والبرهان القوي، إلى أمة ضالة ينتهكون سبيل الهدى، ويعبدون اللات والعزى، فنصح الخلق، وأوضح الحق، وأدى الرسالة، وأبدى الدلالة، وجاهد حتى عز الإيمان، وذلت الأوثان، وقام الدليل، واستقام السبيل، وصلى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

في شهر ربيع الأول تُطلُّ علينا مناسبة عظيمة، هي ذكرى مولد النبي الحبيب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، الذي ولد بمولده النور والهدى، والدين والتقوى، والعز والحق، والعدالة والصدق، المولد الذي تغيرت فيه مجريات الكون، لتؤذن بتغييرات عامة في أمور كثيرة من أحوال الناس في أديانهم ودياناتهم، وسلوكياتهم وأخلاقياتهم، فها نحن نعيش في أيام تلك الأحداث العظيمة.

شهر ربيع الأول جمع أحداثاً ومناسبات وذكريات تتعلق بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يكن خاصاً بمولده الشريف - وإن كان المولد النبوي هو بوابة تلك الأحداث وعليه تَرَبَّتْ -، بل قد وقع فيه غيره من الأحداث، فمن ذكريات مناسباته مولده وبعثته وهجرته، ومن ذكريات أحداثه وفاته صلوات الله عليه وآله، فقد جمعت في يوم واحد وشهر واحد وإن اختلفت الأعوام، فهذه الذكرى من حق كل مسلم أن يعطيها حقها، ويقوم بواجبها تجاهها.

لحيث وأعداء الإسلام يحرصون كل الحرص على إطفاء أنوارها، فتارة يقولون ببدعية الإحتفال بالمولد النبوي، وأخرى يحدثون ويفتعلون ما يعيق الناس عن التذكير بها بشتى الأساليب، وأنواع المعوقات.

ولكن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حق واجب مطوق بعنق كل مسلم، فلا بد أن يستهون المسلم في سبيل أداء بعض ذلك الحق كل صعب، ويستلين كل قاس، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولاه ما اهتدينا، ولا عرفنا الله ولا صلينا، ولا صمنا ولا تصدقنا ولا زكينا، ولكن في عشوات الجهل عامهين، وفي غشاوات الظلم متخبطين، فيه استنقذنا الله من الضلالة، وأخرجنا من حيرة الجهالة. أيها المؤمنون: الكلام حول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يطول، واللسان يعجز عن التعبير ولا يدري ما يقول.

ماذا أقول وما آتي وما أذُر
 عن الثناء لمن جاء الثناء له
 من كان مادحه الديان في سور ال
 لكن شفاء نفوس ذكر أفضل من
 أيها المؤمنون:

في مدح من ضُمَّتْ مدحا له
 في معجزات المثاني يعجز البشر
 قرآن فالمدح إلا ذاك يُحتَقَرُ
 سِيقَتْ له بعد ذكر الخالق الذكُرُ

اختار الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم من أطيب أرومة، وأشرف خؤولة وعمومه، من أرفع بيت في العرب، وأشرف حسب وسبب ونسب، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم، واصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار)) وفي رواية ((فأنا خيرة الخيرة، وصفوة الصفوة))، هم زرع إبراهيم الخليل، أسكنهم الله بيته المعظم، وولاهم الحرم المحرم.

وكما قال صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل أنه قال: ((يا محمد قلبت مشارق الأرض ومغاربها، فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم)).

فبشرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرف آباؤه قبل وجوده، وحصل لهم التعظيم والتبجيل إرهاباً للنور الذي كان يشع ويلمع في وجوههم من نوره، وبعد وجوده زادوا إلى شرفهم شرفاً، بل شرف به العرب أجمع وافتخروا به على العجم.

أبوه عبد الله بن عبد المطلب، الذي فداه عبد المطلب من الذبح بمائة من الإبل سوداء الحدق، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفتخر ويقول ((أنا ابن الذبيحين))، أي إسماعيل بن إبراهيم وعبد الله بن عبد المطلب.

فكان نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتلأل في وجوه آبائه وأجداده، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله أنزل قطعة من نور، فأسكنها في صلب آدم فساقها حتى قسمها جزئين فجعل جزءاً في صلب عبدالله، وجزءاً في صلب أبي طالب، فأخرجني نبياً، وأخرج علياً وصياً)).

وعن ابن عباس قال: إن عبدالمطلب قدم اليمن في رحلة الشتاء فنزل على حبر من اليهود، فقال له رجل من أهل الكتاب: يا عبدالمطلب أتأذن لي أن أنظر إلى بعضك، قال: نعم إذا لم يكن عورة، قال ففتح إحدى منخري فنظر فيه ثم نظر في الآخر، فقال أشهد أن في إحدى يديك ملكاً وفي الأخرى نبوة، وإنا نجد ذلك في بني زهرة، فكيف ذلك؟ فقال عبد المطلب: لا أدري، فقال الرجل لعبد المطلب: هل لك من زوجة؟ قلت أما اليوم فلا قال فإذا رجعت فتزوج في بني زهرة، فرجع عبدالمطلب فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فولدت حمزة وصفية، وكان عبد المطلب قد تزوج قبلها بمدة أم عبد الله وأنجبت والد رسول الله، ثم تزوج عبدالله بن عبدالمطلب آمنة بنت وهب فولدت له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت قريش حين تزوج عبدالله بآمنة فلج أي فاز وغلب عبدالله على أبيه عبدالمطلب.

وروي أن عبد المطلب لما دخل على أبرهة الحبشي ومعه ولده عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما مر عبد الله من عند الفيل الأعظم وهو واقف على الباب، نظر الفيل إلى وجهه فخر ساجداً، فعجب من ذلك أنيس خادم الفيل ومن على الباب، فقال قيس من النصارى: لا تعجبوا من سجوده فإنه لم يسجد له، ولكن سجد للنور الذي في وجهه، وهو نور نبي عرفناه في الإنجيل.

وعن ابن عباس قال: لما خرج عبد المطلب بن هاشم بابنه عبد الله ليزوجه، مرَّ به على كاهنةٍ قد قرأت الكتب وهي مُتَهَوِّدَة، يقال لها: فاطمة الخثعمية، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله، فطلبتة إلى نفسها وتعطيه مائة من الإبل؟ فرفض عبد الله طلبها، وقال: أما الحرام فلا.

ثم مضى مع أبيه، فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فأقام عندها ثلاثاً، فلما مرَّ بالكاهنة قالت له: يا فتى ما صنعت بعدي؟ قال: زوجني أبي آمنة بنت وهب فأقمت عندها ثلاثاً، فقالت له: إني والله ما أنا بصاحبة ريبة، ولكن رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون فيّ فأبى الله إلا أن يصيره حيث أراد.

وروي أن أخت ورقة بن نوفل كانت تسمع من أخيها ورقة صفة نبي آخر الزمان فكانت ترى في عبد الله بن عبد المطلب نور النبوة، فطلبتة إلى نفسها أن يتزوجها مراراً وهو يرفض، فلما تزوج بآمنة بنت وهب اختفى النور من وجهه وانتقل إلى آمنة. ولقد طهر الله نبيه من عهر الجاهلية وسفاحها، فلم يصبه دنس الشرك، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الله عزوجل أخرجني من النكاح ولم يخرجني من السفاح)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صلب أبي آدم، ولم تنزل تنازعني الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حين من العرب: هاشم وزهرة)).

وعن صلى الله عليه وآله وسلم قال ((خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ما أصابني من سفاح الجاهلية)).

وعن ابن عباس في قوله تعالى {وتقلبك في الساجدين} قال: من نبي إلى نبي حتى أخرجت نبياً.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسنة إلى الأرحام الطاهرة، صفتي مهدي، لا يتشعب شعبان إلا كنت في خيرهما، قد أخذ الله تبارك وتعالى بالنبوة ميثاقي، وبالإسلام عهدي، وبشر في التوراة والإنجيل ذكرى، وبين كل نبي صفتي، تشرق الأرض بنوري، والغمام لوجهي، وعلمني كتابه، وشق لي اسماً من أسمائه: فذو العرش محمود وأنا محمد، ووعدي يَجُوبُني بالحوض والكوثر، وأن يجعلني أول شافع وأول مشفع، ثم أخرجني من خير قرن لأمتي وهم الحمادون يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر)).

فقد طهر الله تعالى محمداً من كل عيب، ونزهه من كل شين، وجعل له من كل شرف أعلاه، ومن كل فضل أسنائه، فلا يفاخره مفاخر، ولا يدركه مسابق ولا منافر.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه وجنبنا معاصيه، بسم الله الرحمن الرحيم {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ، فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً، الذي أكمل الحجة على جميع العالمين، ببعثة محمد خاتم النبيين، الذي أرسله رحمة للعالمين، بشيراً ونذيراً للمكلفين، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً إلى الناس أجمعين، نحمده على سوابغ النعم التي من أجلها الإسلام، وأتمها عند ذوي العقول والأفهام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنفع قائلها يوم لا ينفع مال ولا بنون. وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله الصادق الأمين، أرسله بالبيان اللائح، والبرهان الواضح، إلى أمة غاوية، يعبدون الوثن، ويمحون السنن، فعلم الجاهل، وعدل المائل، وأوضح الخفي، وأرشد الغوي، فصلى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عام الفيل في شهر ربيع الأول، في التاسع منه، وقيل في الثاني عشر، وقيل في السابع عشر، يوم الإثنين.

ثم استرضعته أمه في بني سعد فأرضعته حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية في سنة مجدبة شديدة، فشاهدت من بركاته وآياته الشيء الكثير، فكانت تروح أغنامها شابعة حافلة، وتروح أغنام بني سعد بشر حال جياً لا ضرع لها، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشب شاباً ما يشبهه أحد من الغلمان، يشب في اليوم شباب الغلام في الشهر وفي الشهر شبابه في السنة، وفي بادية بني سعد وقعت حادثة شق الصدر، فطهر الله قلبه من وساوس الشيطان وأغلال الأهواء، وغسله بماء الجنة.

و شاء الله أن يشب ويترعرع يتيماً فقد مات أبوه وهو لا يزال في بطن أمه، وتوفيت أمه وله ست سنين في موضع بين مكة والمدينة يسمى الأبواء، أثناء عودتها.

وكفله جده عبد المطلب شيبة الحمد، فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، وكان بنوه يجلسون حوله حتى يخرج إليهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وآله وسلم يأتي وهو غلام فيجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه فيقول لهم عبد
المطلب: دعوا ابني فوالله إن له كشافاً.

وتوفي وعمر رسول الله ثمان سنين، بعد أن أوصى به إلى ابنه أبي طالب، فقام به
أحسن قيام، واهتم به أعظم اهتمام، هو وزوجته فاطمة بنت أسد، فكانا يُشبعانه
ويجوعان أولادهما، ويدهنانه ويشعثانهم.

وسافر مع عمه أبي طالب إلى الشام فحصلت قصة بحيرا الراهب لما رأى السحابة
على رأسه تسير إذا ساروا وتقف إذا وقفوا، وعلم بحيرا أنها تظلل على نبي آخر
الزمان وأخبر عمه بذلك وحذره من اليهود.

ونشأ صلى الله عليه وآله وسلم سليم العقل، وافر القوى، نزيه الجانب، جامع
للصفات الحميدة، والشيم النبيلة، فكان مثلاً في مكارم الأخلاق ومحاسن الخصال،
فامتاز بالصدق والأمانة والمرورة والشجاعة والعفة والقناعة والحلم والصبر، والحياء والوفاء
والتواضع، والبر والإحسان، وصلة الرحم، يقري الضيف ويعين اللهيف، محفوظاً من الله
بالرعاية ومحاطاً بالصيانة، فلم يشهد أعياد الأوثان أو احتفالات المشركين، ولم يأكل مما
ذبح لغير الله أو ذبح على النصب، بعيداً عن الأصنام لا يصبر على سماع الحلف
باللات والعزى فضلاً عن عبادتها أو التقرب إليها، بعيداً عن مجالس اللهو وشرب
الخمر، وأماكن الخنا والفجور، إن أئتمن لم يخن، وإن قال صدق ولم يكذب، وإن وعد
وفى ولم يخلف حتى اشتهر بين قريش بالصادق الأمين، وعمل في التجارة لخديجة مع
ميسرة إلى الشام فرأت من أمانته وبركته ما دفعها إلى الزواج به فتزوجها وهو ابن خمس
وعشرين سنة، وحكمته قريش في وضع الحجر الأسود وهو في خمس وثلاثين سنة.

فهذه بعض النشأة النبوية، والصفات الحميدة، قبل بعثته صلى الله عليه وآله وسلم،
ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من المقتدين المتأسين بنبينا، صلى الله عليه وآله وسلم.

١٥ - حول البعثة النبوية

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لدينه القويم، وأوضح لنا الصراط المستقيم، وأكرمنا برسوله الكريم، فله الحمد على نعمة الدين التي هي أصل كل خير ونعيم، حمداً لا ينقطع ولا يفنى بل يبقى على مر الأزمنة ويدوم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يبرهن بها برهانه، وكلمة بينها سلطانه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى، وأمينه المحتجى، أرسله إلى أمة ضالة، يعبدون الأصنام، ويحلون الحرام، فنصح الغوي، وأفصح الخفي، وشرع الملة، وأقام الأدلة، وجاهد في الله حتى ظهر الدين، وعبد ربه حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون:

لما أراد الله تعالى إكرام محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة، ظهرت له المقدمات، وطلعت له طلائع التبشير بالسعادة، فكان يرى الأوضاع التي يعيشها العرب آنذاك وبالأخص قريشاً وماهم عليه من الفساد وعبادة الأوثان وغيرها، فكان يميل إلى العزلة والإنقطاع والخلوة بنفسه، فكان يخلو للعبادة والإنقطاع في غار حراء، ويمكث الأيام المتوالية ثم يعود إلى منزله بعد أن يطوف بالبيت سبعة أشواط، فلما كمل عمره أربعون سنة وهي سن الكمال كان يرى الرؤيا الصالحة فتقع كما يرى، وكان يرى النور ويسمع الصوت، وكان لا يمر صلى الله عليه وآله وسلم بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، فيلتفت حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر

والحجارة، فمكث كذلك ما شاء الله يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث، إلى أن جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله وهو يجبل حِراء.

فامتثل ما حمل من أمر الله ودعا الناس إلى طاعة الله فكان أول من أجابه من الناس خديجة بنت خويلد ثم علياً عليه السلام ثم تتابع الناس في قبول الإسلام والدخول في دين الله أفراداً وجماعات، وبقي النبي في مكة يدعو سرّاً ثلاث سنين لا يظهر أمر الدعوة إلا لمن يثق به ويطمئن إليه، فرأى أن هناك من يستجيب لنداء الله، وعلم أن آذاناً صاغية ورجالاً صالحين قد أجابوا دعوته وهم من صميم قريش وغيرها، فتمهدت السبل، وتهيأ الجو للدعوة العامة، ثم أمر بالجهر بالدعوة، فدخلت الدعوة مرحلة جديدة صعبة المرتقى، شديدة التحمل والعناء، كثيرة المصاعب والأذى، لما كانت تتمتع به قريش من كبرياء ونخوة، وجبروت وسطوة، وعصبيّة وحمية، وتشدد في أمر آلهتها وأوثانها، فاجتاز النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلك الصعوبات، ولم ينظر إلى الموانع والمعوقات، بل شحذ همته، وبذل في سبيل النشر للدعوة قوته وشدته، فناداهم في المجامع والأسواق، وحاججهم في النوادي، يدعوهم إلى دين الله ويتلو عليهم آيات الله، ويظهر لهم ما أيده الله به من المعجزات المصدقة لدعوته، ويعبد الله أمام أعينهم جهاراً نهاراً، لا يخشى الغوائل، ولا يهرب جموع القبائل، فأول من قام بدعوته عشيرته الأقربين، وعصبته الأذنيهن، ورهطه الهاشميين، ثم تعدت الدعوة إلى بطون قريش، صابراً على تكذيبهم له، محتسباً الثواب في ما يتهموه به من الجنون والسحر والشعر والكذب، غير مبال بما يقولون ولا يوهن عزمه ما به ينطقون، ماثلاً أمامهم جبلاً من جبال الصبر الذي لا تحركه العواصف، ولا تزلزله القواصف، حتى أفضل بقوة تحمله وصلابة نفسه جميع مخططاتهم، وصب سمومهم في أكبادهم، ورد ادعاءتهم عليهم، وأجابه من أجاب من الضعفاء والمساكين الذين عذبوا بأنواع التعذيب، فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما

يصيب أصحابه من الأذى أذن الله له أن يأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة، فلما كانت السنة الخامسة من البعثة هاجر أول دفعة من المسلمين وعددهم اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة، فخرجوا ليلاً ولم يشعر بهم المشركون، فلما علموا غضبوا وأسرعوا في طلبهم فلم يدركوهم حيث وهو قد عبروا البحر مع سفينتين تجاريتين كانت على ساحل البحر، ثم جاءت الهجرة الثانية إلى الحبشة بعدد أكثر وصعوبة شديدة من قبل المشركين الذين كانوا يترصدون تحركات المسلمين، فكان عدد المهاجرين اثنين وثمانين رجلاً وثمانية عشر امرأة، بقيادة جعفر بن أبي طالب، فتمكنوا بمن الله من التخلص من المشركين حتى وصلوا إلى الحبشة، التي كانت مملكة للنجاشي الذي كان على دين المسيح وكان عادلاً لا يُظلم عنده أحد، فأواهم وأحسن استقبالهم، فحاول المشركون أن ردهم فأرسلوا بعثاً إلى النجاشي، فبأوا بالفشل.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمي الجانب في منعة لمكان عمه أبي طالب الذي حامى وناصر ومانع قريشاً أن يصلوا إلى رسول الله بأذى، لما كان يحظى به أبو طالب من المكانة والرئاسة في قريش، فقوي بهذا جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتمكن من فعل أشياء في الدعوة، وحوله ذلك اكتساب الهيبة في قلوب المشركين، فاضطر المشركون إلى سلوك طرق سلمية في بادئ الأمر فحاولوا أن يفاوضوا أبا طالب مفاوضات عديدة فيها نوع من القسوة والشدة، ولكن أبا طالب لم يسلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يلن لقريش في جانبه، ولم ينزل عند أي رغبة من رغباتهم، فعزموا على أن يغيروا لهجتهم إلى الشدة والتحدي والإنذار لأبي طالب إن لم ينه ابن أخيه عن تسفيه أحلامهم، وسب آلهتهم، والتعرض لدينهم، فسوف ينازلونه حتى يهلك أحد الفريقين، فأخبر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمقالة القوم، فقال النبي مقالته المشهورة: والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه.

فقال له عمه أبوطالب مقالته المشهورة: اصدع بأمرك فلن أسلمك لهم أبداً. ثم إن المشركين صبوا جام غضبهم وحنقهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن لمكانة رسول الله الاجتماعية بين أهله وعشيرته فقد تولى إيذائه والإعتداء عليه كبراء قريش وأئمة الكفر من المشركين ولم يجترئ عليه السفهاء والعامّة. فلما رأى المشركون إصرار رسول الله على الإستمرار والمضي في دعوته، مالوا إلى جانب آخر من محاولة صرفه عن دعوته فحاولوا مساومته بأن عرضوا له المال والجاه والملك وكل ما أراد فكانت محاولاتهم فاشلة، فلما رأى المشركون أنهم قد اتخذوا وسلوكوا كل الطرق، ومارسوا أنواع الحيل من شدة إلى لين، ومن لين إلى شدة، ومن جدل إلى مساومة، ومن ترغيب إلى تهيب، ورأوا أنها كلها ما زادت محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلا قوة وصلابة، ودينه إلا انتشاراً، ودينهم إلا ضعفاً وهواناً وانكساراً، اجتمع رأيهم على أسوء خطة وألأم مشورة وأقبح مؤامرة وهي محاولة قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رأى أبو طالب عزمهم على ذلك دعا بني هاشم وبني المطلب مسلمهم وكافرهم إلى حفظ النبي وحياطته من قريش، فأجابوه إلى ذلك وتعاهدوا وتعاقدوا عليه عند الكعبة، إلا أبا لهب فإنه فارقهم.

فعند ذلك اجتمعت قريش واشتوروا على أن يقاطعوا بني هاشم مقاطعة كلية تشمل الكلام والمؤاكلة والمشاركة والمناكحة، والمجالسة والمخالطة وأن لا يدخلوا بيوتهم ولا يقبلون منهم صلحاً حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقريش لتقتله، وكتبوا لهم بذلك صحيفة ومعاهدة علقوها في جوف الكعبة، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى الشعب وحوصروا فيه، ومنعت عنهم الميرة، ومنع التجار من مبيعتهم، حتى وصل بهم الجهد إلى أن أكلوا أوراق الشجر والجلود، وكان النساء والصبيان يتضورون من شدة الجوع، فكان لا يصلهم شيء إلا سراً، وكانوا لا يخرجون إلا في الأشهر الحرم، واستمروا على ذلك ثلاث سنين إلى أن هيب الله تعالى نقض

الصحيفة، وأرسل الأكلة فأكلتها إلا باسمك اللهم، وأخبرهم رسول الله بذلك، فانتهى الحصار وخرج بنو هاشم وبنو المطلب من الحصار، ولكنهم لم يخرجوا من الأذى فما هو إلا أن خرجوا حتى عادت قريش فيما كانت عليه من المعادة والأذى.

أما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو الجبل الذي لا يضره رميهم، والبحر الذي لا تكدره دلاؤهم، فما هي إلا أشهر معدودة حتى مرض أبو طالب مرضه الذي مات منه والتحق بالرفيق الأعلى مؤمناً مصداقاً بالله ورسوله، فاشتد الأمر برسول الله وتفاقم عليه الخطب، وقويت عليه قريش، واستهانوا به، ولم يلبث إلا قرابة شهرين حتى ودع رفيقة دربه، وشريكة حياته، وأنسه في أتراحه وأحزانه، خديجة الكبرى بنت خويلد، فازداد الأمر شدة، والبلاء حدة، والواقع مرارة، والوضع خطورة، فلم يعد لرسول الله من البشر ناصر، غير أولئك النفر المستضعفين الذين قد آمنوا به على خوف من قومهم، فاضطر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الخروج إلى الطائف يطلب النصرة، فقابلوه بالطرده والشتم والرمي بالحجارة، ثم رجع متخفياً إلى مكة، وكان يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج، وفي أسواقهم التي تجمعهم، يدعوهم إلى الإسلام، ورجاء أن يجد عند قبيلة من قبائل العرب الكفاءة والمقدرة في إجابة دعوته ونصرته، فكانوا يردونه، ولا يجيئون، فمنهم من يرده رداً جميلاً ومنهم من يرده رداً قبيحاً غليظاً.

ولكن مع رد القبائل له فقد أجابه بعض الأفراد من القبائل خارج مكة، منهم ستة من أهل المدينة من الخزرج قدموا حجاجاً عام ١١ من البعثة وكان أهل المدينة يسمعون من اليهود الذين عندهم أن ذلك الزمان يظهر فيه نبي آخر الزمان، وأنه قد آن وقت خروجه، فلما كلمهم النبي بأمره وشرح لهم حقيقة الإسلام، أيقنوا أنه النبي الموعود به، فوعده النصر والدعوة والقيام بدينه والمقابلة في العام القابل حتى يعودوا إلى قبائلهم وعشائرهم. فلما كان في العام المقبل سنة ١٢ من البعثة قدم اثنا عشر من المدينة عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، فبايعوا رسول الله بيعة العقبة

الأولى، فلما رجعوا إلى قومهم وأخبروهم بما رأوا من رسول الله وبعث معهم مصعب بن عمير يقرؤهم القرآن ويعلمهم معالم الإسلام، فلما كان العام المقبل ١٣ من البعثة قدم إلى مكة كثير من أهل المدينة، وكانت قريش قد شددت الحراسة على أن ينعوا رسول الله من أن يطوف في الجبال والشعاب موسم الحج، فتسلل من أهل المدينة ثلاثة وسبعون رجلاً، اثنان وستون من الخزرج، وأحد عشر من الأوس ومعهم امرأتان وواعدوا رسول الله في العقبة، فدعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن وعلمهم معالم الإسلام، فأجابوا وبايعوا على عبادة الله وحده لا شريك له، وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن ينصروا رسول الله إذا قدم إليهم وأن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأبنائهم وأزواجهم، فبايعوه على ذلك، وأخذوا على رسول الله لأنفسهم أنه منهم مهم منه في الحرب والسلم، في خطاب طويل دار بينهم، ثم طلب منهم رسول الله أن يخرجوا منهم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم كفلاء كفالة الحواريين لعيسى، وهو كفيل على قومه، فكانت هذه بيعة العقبة الثانية، التي هي الممهد الكبير للهجرة إلى المدينة، فعند ذلك بدأ المسلمون بالهجرة إلى المدينة، حتى هاجروا بأجمعهم ولم يبق سوى رسول الله وعلي عليه السلام في نفر قليل.

وهكذا عانى وقاسى رسول الله المصاعب والمتاعب من أجل أن يصل إلينا هذا الدين نقيماً سليماً، فجزاه الله عنا خير الجزاء، وحشرنا في زمرة ورزقنا شفاعته، وصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ، فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أهل الحمد والثناء، ورب الأرض والسماء، وخالق الخلق والأنام، ومدبر الليالي والأيام، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أوجبها حكم الملة، وصدقها واضح الأدلة.

وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، الأمين الميمون، أرسله هادياً لخلقه، وداعياً إلى حقه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأبرار، وعترته الأطهار.

أما بعد: أيها المؤمنون: لقد استجاب للدعوة، وهي في مهدها وفي بداية بزوغ شمسها، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ونساء مؤمنات صادقات، من الأحرار والعبيد، ضربوا أروع أنواع البسالة والثبات، ومثلوا بصبرهم وصمودهم أقوى قوة أمام جبروت قريش وصناديدها، الذين قاموا بأنواع الأذى والتعذيب والضرب لكل من علموا بأنه آمن بمحمد أو صدقه حتى وصل بهم الحد إلى القتل والعسف بمن آمن، ومن لم يقتل أذاقوه أنواع الأذى والتعذيب، وهدف المشركين من ذلك، هو القضاء على الدعوة وهي لا تزال في أول مراحل نموه، ولكن وجدوا أمامهم دروعاً لا تؤثر فيها الشدة إلا جدة، فمنهم من قتلوه كياسر وزوجته، ومنهم من كانوا يعذبونه حتى يفقد الوعي، ومنهم من يرمونه على الحجارة المحماة بالنار، ومنهم من يضعون على صدره الحجارة التي يكاد يموت من ثقله، ومنهم من يحمون له الحديد فيضعونه على ظهره، ووصلت بهم التفاهة والحقارة والنذالة إلى أن تعدوا حتى على النساء المؤمنات فمنهن من عذبت حتى فقدت بصرها، ومنهن من عذبت حتى ماتت، كل ذلك لا يزيدهم جميعاً رجالاً ونساء، أحراراً وعبيداً إلا تمسكاً بدينهم وثباتاً على يقينهم، وتصديقاً لنبيهم.

فقد تحدّث التاريخ عن تلك المعاناة القاسية فسجّل بفخر واعتزاز صمود أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وثباتهم على منهج الدعوة ومواصلة السير في الطريق ذات الصعوبة، فهم الذين سبقوا إلى الإسلام ولا عشائر لهم تمنعهم، ولا قوّة لهم يُمنعون بها أو يحمون بها أنفسهم.

فمن أولئك الصابرين فيذكر بلال بن رباح الحبشي، الذي كان عبداً مملوكاً لأُمّية بن خلف الجُمَحِي، فاستنشق عقب الحرّية والكرامة في مبادئ الإسلام وقيمه السّامية، فالتحق بالركب وواصل المسير فعلم أُمّية بن خلف بذلك، فراح يُعدّب بلالاً: فكانت إذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقيه في الرّمضاء على وجهه وظهره، ثمّ يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره، ويستمرّ أُمّية بن خلف في تعذيب بلال، ويستمرّ بلال على صبره وصموده وتحديّه، فيُخيّر بين أن يكفر بتوحيد الله وبنبوة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وبين أن يموت تحت الصخرة وعذاب الطّغاة، فيتعالى صوته، مظهراً لتحدي أعدائه فينادي: أحد أحد.

ويُسلم حليف بني مخزوم ياسر وابنه عمّار وزوجته سمّية، الأسرة المستضعفة البائسة التي دخلت الإسلام في المرحلة السريّة، أمّا الآن فقد انكشف إسلامهم وعرف الأسياد والطّغاة بذلك، فكانوا يُخرجون عمّاراً وأباه وأمه إلى الأبطح إذا حميت الرّمضاء يعدّبونهم بحرّ الرّمضاء، يمرّ بهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويقول: (صبراً آل ياسر، فإنّ موعدكم الجنّة)، فمات ياسر في العذاب، وأغلظت امرأته سمّية بالقول لأبي جهل، فطعنها في قُبْلِهَا بِحَرْبَةٍ في يديه فماتت، وهي أوّل شهيدة في الإسلام، وشدّدوا العذاب على عمّار بالحرّ تارة، وبوضع الصّخر على صدره أخرى وبالتغريق أخرى.

ويُعدّب حَبّاب بن الارت التميمي، وكان أبوه من السّبايا الذين بيعوا في مكّة، وهو من المسلمين الأوائل الذين بادروا إلى التصديق بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذ الكفار وعدّبوه عذاباً شديداً، فكانوا يُعزّونه ويُلصقون ظهره بالرّمضاء ثمّ بالرّصف - وهي الحجارة المحمّاة بالنار - ولووا رأسه، فلم يُجِبْهم إلى شيء ممّا أرادوا منه.

ومن أولئك المعذبين الصابرين أبو فكيهة، وقد كان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف الجمحي، فأخذته أمية بن خلف وربط في رجله حبلاً وأمر به فجزه ثم ألقاه في الرمضاء، ومرّ به على جُعل، فقال له أمية: أليس هذا ربك؟ فقال: الله ربّي وربك وربّ هذا، فحنقه حنقاً شديداً، ومعه أخوه أبي بن خلف يقول: زدّه عذاباً حتى يأتي محمداً فيخلّصه بسحره، ولم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنّه قد مات، ثمّ أفاق، فمرّ به أحد المسلمين فاشتراه وأعتقه.

وقيل: إنّ بني عبدالدار كانوا يضربونه، ويضعون الصخرة على صدره حتى دلع لسانه فلم يرجع عن دينه.

وليست سمية هي المؤمنة الشهيدة الوحيدة التي دخلت ملحمة الصّراع، وتحدّت طغيان الطّغاة، بل هناك نساء خالدات في سجل تاريخ الدعوة المحمدية والجهاد الصمودي.

فها هي التّهدية التي كانت مولاة لبني نهد، ثم ملكتها بعد ذلك امرأة من بني عبدالدار تُنزل بها مولاتها أشدّ العذاب، وتقول لها: لا أترك عذابك حتى يشترك بعض أصحاب محمّد، فيشتريها أحدهم ويُعتقها من العبودية.

وها هي لبيبة جارية لبني مؤمل، يُنزل بها عمر بن الخطّاب قبل إسلامه أشدّ ألوان العذاب ثمّ يتركها، ويقول لها: إني لم أدعك إلاّ سامة، فتقول له: كذلك يفعل الله بك.

وها هي زُبيرة: المرأة التي فقدت عينيها بالتعذيب، كانت مملوكة لبني عدي أو لبني مخزوم، فكان عمر بن الخطّاب يعدّها، وقيل كان أبو جهل هو الذي يمارس التعذيب الوحشي معها، لقد ردّ الله عليها بصرها، فقال المشركون هذا من سحر محمّد.

فهذه المواقف البطولية يتعلم منها المسلم كيفية الثبات على الدين، ويتخذ منها دروساً تنير له طريق الفداء والتضحية من أجل الحقّ والمحقين، فأولئك صبروا في أوائل الدعوة، في وقت الشدة والضيق والقلّة والذلة، لما عشعش الإسلام في قلوبهم، وعرفوا عظمتة فدوه بأنفسهم، فجزاهم الله عن نبيهم خير الجزاء، ورضي عنهم أحسن الرضا.

١٦ - بعض صفات النبي صلى الله عليه وآله ومعجزاته

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي العظيم، الرؤوف الرحيم، الجواد الكريم، الذي أنشأنا بحكمته، وغذانا بنعمته، وأولانا جزيل الإحسان، وهدانا سبيل الإيمان، وعودنا جميل الإمتنان، فأقررنا بإلاهيته، واعتزنا بوحدانيته، وأيقنا بحشره وحسابه، وآمنا برسوله وكتابه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مدبر الأمور ومصرف المقدور. وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله أرسله بالهدى واليقين، ومن به على كافة المؤمنين، فنصح الأمة، وكشف الغمة، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: قد اتصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصفات بمرت الناس جميعاً، وحيرت أهل الشمائل الحسنة، وخلفت كل صاحب فضيلة خلفها، كيف لا وخلقه القرآن، وقد أثنى عليه الله في القرآن بقوله {وإنك لعلی خلق عظیم} فكفى بشهادة الله لنيبه، فماذا عسى أن يقول قائل أو يتكلم متكلم، ولكن لقوله تعالى {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر}، نذكر بعض صفات وشمائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لعلنا أن نتعلم منه، ونتأدب بأدابه، ونتأسى به.

أما بالنسبة لصفته صلى الله عليه وآله وسلم الخَلْقِيَّة الجبلية التي خلقه الله عليه: فهي كما وصفه أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبيض اللون، مُشرباً بحمرة، أدعج العينين، سبط الشعر، دقيق العرَّين، أسهل الخدين، دقيق المسرِّبة، كث اللحية، كان شعره مع شحمة أذنه إذا طال، كأنما عنقه إبريق فضة، له شعر من لبتة إلى سرتة، يجري كالقضيبي، لم يكن في صدره ولا في بطنه شعر غيره، إلا نبذات في صدره، شش الكف والقدم، إذا

مشى كأنما يتقلع من صخر، وينحدر في صلب، إذا التفت التفت جميعاً، لم يكن بالطويل، ولا العاجز اللئيم، كأنما عرقه اللؤلؤ، ریح عرقه أطيب من المسك، لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله وسلم).

وعن الإمام الحسن بن علي عليه السلام أيضاً، قال: سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي؛ وكان وصافاً عن حلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: كان فحماً مفحماً، يتلألاً وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربع وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رَجَل الشعرة، إذا انفرت عقيقته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنه إذا هو وقره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله، أشم، كث اللحية سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادناً، متماسكاً، سوي البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين متنته والسرة شعر يجري كالخيط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، سبط القضب، شش الكفين والقدمين، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر، طويل الزندين رَحْب الراحة، سائل الأطراف، خمصان الأخصمين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء. إذا زال قلعاً يخطو تكفياً، ويمشى الهوئناً، ذريع المشية، إذا مشى كأنما يَنحَطُّ من صلب، و إذا التفت التفت جميعاً، خافض الأطراف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جُلَّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، ويتندر من لقيه بالسلام.

قلت: صف لي منطقه؟.

قال: كان رسول الله متواصل الأحزان، دائم الفكر ليست له راحة، لا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، فصل لا فضول ولا تقصير، دمث ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، ولا يذم منها شيئاً، لا يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا

تعوطي الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، و لا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، و إذا تعجب قلبها، و إذا تحدث اتصل بها فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، و إذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جُلُّ ضحكه التَّبَسُّم، وَيَقْتَرُّ عن شيء مثل حب الغمام.

وأما بعض صفاته الخُلُقِيَّة: فقد قال الحسين بن علي عليه السلام: سألت أبي عن دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: كان دخوله صلى الله عليه وآله وسلم مأذوناً له في ذلك، فكان إذا آوى إلى منزله جَزْأً دخوله ثلاثة أجزاء: جزءٌ لله، وجزءٌ لأهله، وجزءٌ لنفسه، ثم جَزْأً جُزْءَهُ بينه وبين الناس، فيرد ذلك على العامة بالخاصة، ولا يدخر عنهم شيئاً، فكان من سيرته في جزء الأمة: إيثَارَ أهل الفضل بإذنه، وقسمته على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، يتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألتهم عنه، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول: ((ليبلغ الشاهد الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغه فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغه ثبت الله قدميه يوم القيامة))، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحدٍ غيره، فيدخلون رُوَاداً ولا يفترقون إلا عن ذواق، ويخرجون أدلَّةً.

قال: فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟

فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخزن لسانه إلا مما يعينهم، ويؤلفهم لا يفرقهم ولا ينفهم، ويكرم كريم كل قوم، ويؤليه عليهم، ويحذر الناس بأن يحترسهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خُلُقَهُ، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهيه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا، ولا يقصر عن الحق ولا يجوز، الذين يلونه من الناس خيارهم، وأفضلهم عنده أعمُّهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

قال: فسألته عن مجلسه؟

فقال: كان رسول الله لا يجلس ولا يقوم إلا عن ذكر، لا يوطن الأماكن، وينهى عن إبطائها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه، ولا يحسب أحدٌ من جلسائه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو أقامه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم ينصرف إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه قسطه وخلقه، فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حكم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تُؤبِن فيه الحرم ولا تُثنى فلتاته، متعادلين يتفاضلون بالتقوى، متواضعين، يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

قال: قلت: كيف كانت سيرته في جلسائه؟

فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخّاب ولا فحّاش ولا غياب ولا مزّاح، يتغافل عما يشتهي، فلا يؤيس منه ولا يجيب فيه، قد منع نفسه من ثلاث: من المراء، والإكثار، ومأ لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيّر، ولا يطلب عثرته. لا يتكلم إلا فيما رجي ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ من حديثه، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته حتى كان أصحابه يستجلبونهم. ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرشدوه إليّ، ولا يقبل الشاء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بنهي أو قيام.

قال: فسألته كيف كان سكوته؟

قال: كان رسول الله على أربع: على الحلم والحذر والتقدير والتفكر؛ فأما تقديره: فهي تسوية النظر، والاستماع بين الناس؛ وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى. وجمع له الصبر في الحلم، فكان لا يغضبه شيء ولا يستغفزه.

وجمع له الحذر في أربعة: أخذه، واجتهاده الرأي فيما أصلح أمته، والقيام فيما جمع لهم الدنيا والآخرة.

وروي عن علي عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله: يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخسف بيده نعله، ويرقع ثوبه.

ومن أخلاقه ومعاملاته العظيمة التي كان يتصف بها مع أصحابه وجلسائه آداب هامة، تعلمها من القرآن، فلقد كان خُلُقُه القرآن، وأدبه بها ربه تعالى كما روي عنه أنه قال ((أدبني ربي فأحسن تأديبي)) فكان إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه فان كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره وإن كان مريضاً عاده، وكان لا يأخذ بالقرف - وهي التهمة - ولا يقبل قول أحدٍ على أحدٍ.

وكان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول السلام عليكم، السلام عليكم.

وكان يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيُّهم هو حتى يسأل، فبني له أصحابه دكة من طين يجلس عليها ليعرفه الغريب إذا أتاه.

وكان يصفحه الرجل فما يترك رسول الله صلى الله عليه وآله يده حتى يكون هو التارك، فلما فطنوا لذلك كان الرجل إذا صافحه مال بيده فنزعها من يده.

وكان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم.

فهذه قطرة من مطرة من صفاته وشمائله وأخلاقه وصفاته وهي مدونة في كتب السيرة، فمن أراد التأسى به والإقتداء فليكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدوته.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أتباعه المتأدبين بأدابه، المتبعين لسنته، بسم الله

الرحمن الرحيم {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ، فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ

رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم،

ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وسعت كل شيء رحمته، وأبدعت كل خلق حكمته، حمداً دائماً لا انقطاع له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد الفرد الصمد. وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، الأمين الميمون، أرسله هادياً لخلقه، وداعياً إلى حقه، فأدى الرسالة، وأقام الدلالة، ودعا إلى دار النعيم، وهدى إلى الصراط المستقيم، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأبرار، وعترته الأطهار.

أما بعد: أيها المؤمنون: بعثت الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وأمراً له بأن يصدع بالدعوة، وأن يخبر الناس بأنه رسول من عند الله، شرفٌ وفخرٌ كبير، وفضيلة لا توازيها فضيلة، ومرتبة عالية لا تنال إلا باصطفاء واجتباء، فوجود المكذبين بذلك والجاحدين والحاسدين أمر متوقع حصوله بل مؤكداً، فلم يكن الله تعالى ليترك مبعوثه ورسوله وسفيره إلى خلقه بدون أدلة وبيانات تؤكد صدق دعواه، وأنه صادق في قوله، ولا بد أن تكون تلك الأدلة المؤكدة مما لا يستطيع بل يعجز الناس أن يأتوا بمثلها، وتكون خارقة لما يألفونه ويعتادونه، كي يعلموا أنه لم يفتعلها بنفسه ولا بمعونة غيره ممن هو قادر على تلك الفعلة، أو تكون من فعل أهل السحر أو الشعبة، بل تكون دليلاً واضحاً أنه لا يقدر عليها وعلى فعلها إلا من أرسل الرسل وأيدهم بالآيات الظاهرة، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما بعث أيده الله بالمعجزات الخارقة، التي لا مجال لإنكارها، وقد قيل بأن معجزاته بلغت ألف معجزة، وعدها بعض العلماء إلى ثلاثة آلاف معجزة، فأكبر معجزة هو القرآن الكريم، وهو المعجزة الخالدة الباقية إلى فناء الدنيا، والكلام حول ما تضمنته من الآيات والمعجزات يكثر ويطول، ونذكر بعضاً من المعجزات:

الأول: إشباع الجيش الكثير بالطعام القليل، فعن أنس، قال: أمر أبو طلحة أم سليم فقال: (اصنعي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه خاصةً طعاماً يأكل منه، قال: ثم أرسلني أبو طلحة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأتيته وقلت: بعثني إليك أبو طلحة يا رسول الله، فقال: للقوم قوموا، قال: فلقينا أبو طلحة فقال: يا نبي الله إنما صنعت طعاماً لنفسك خاصةً، فقال: لا عليك انطلق بنا.

قال: فانطلق وانطلق القوم فجاء بالطعام، وإنما جعله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وحده، فوضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده فيه وسمى، ثم قال: ((إئذن لعشرةٍ))، فأذن لهم، فقال: ((كلوا باسم الله))، فأكلوا حتى شبعوا، ثم قاموا، ووضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده فيه كما صنع في المرة الأولى، ثم قال: ((إئذن لعشرةٍ))، حتى فعل ذلك بثمانين رجلاً، ثم أكل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت وتركوا سوراً).

الثاني: نبع الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: (لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد حضرت صلاة العصر وليس معنا ماءٌ غير فضلةٍ، فجعلت في إناءٍ فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأدخل يده فيه وفرج بين أصابعه وقال: ((حي على أهل الوضوء فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه، قال: فتوضأ الناس وشربوا، قلت لجابر: كم كنتم يومئذٍ؟ قال: ألفاً وأربعمائة)).

الثالث: كلام العجم من الحيوانات له، ومناطقتها له بما أصابها، وقد تكررت في عدد من المخلوقات، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال:

وكننت عنده صلى الله عليه وآله وسلم إذ أتاه ثلاث بهائم فسلموا عليه: بقرة وجمل وذئب:

أما البقرة: فكانت في نخل بني سالم، فلما بصرت برسول الله أقبلت إليه تلوذ به.

فقالت: يا بني سالم جاءكم رسول رب العالمين، أحاكمكم إليه فإنه قاضي الله في أرضه ورسوله إلى خلقه، ثم قالت البقرة: يا رسول الله، وضعت لهؤلاء اثني عشر بطناً، واستغنوا بي فأكلوا من زبدي، وشربوا من ألباني، ولم يتركوا نسلي، وهم الآن يريدون ذبحي، فأمن بنو سالم، وقالوا: والذي بعثك بالحق ما نريد معها شاهداً.

وأما الذئب: فإنه أقبل إلى رسول الله فشكى إليه الجوع وقال: يا رسول الله، إنما بعثك الله رافةً ورحمةً، وليحيي بك العباد والبلاد فاقسم لي شيئاً أناله، فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرعاة وقال: ((افرضوا للذئب شيئاً)). فبخلوا ولم يفعلوا، ثم عاد فشكى عليه من الغد الجوع وأعاد الكلام، فدعا صلى الله عليه وآله وسلم الرعاة الثاني وقال: ((افرضوا للذئب شيئاً)) فلم يفعلوا، ثم عاد إليه من الغد.

وأما الجمل: فإنه أقبل إلى رسول الله وضرب بجرانه الأرض ورغى وبكى ساجداً. فقال القوم: سجد لك الجمل نحن أحق أن نسجد لك.

قال: ((اسجدوا لله عز وجل، ولو أمرت شيئاً أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها))، جاءني يشكو أربابه))، فبعثني مع الجمل لأنصفه إذ أقبل صاحبه أعرابي فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما بال هذا البعير يشكو أربابه))؟ قال: يا رسول الله ما يقول؟

قال: ((يقول: انتجعتم عليه صغيراً حتى صار عوداً كبيراً، ثم إنكم أردتم نحره)). قال: والذي بعثك بالحق نبياً ما كذبك.

قال: ((يا أعرابي: إما أن تهبه لي وإما أن تبيعه مني)).

قال: يا رسول الله، أهبه لك. فكان الجمل يأتي علوفة الناس فيعتلف منها لا يمنعونه، فلما قبض رسول الله مات، فأمرت بدفنه كيلاً تأكله السباع.

الرابع: إخباره بالأمر الغيبية ووقوعها على ما أخبر وهي كثيرة جداً فمنها:

إخباره بقتل كسرى في اليوم الذي قتل فيه: وهو أن رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله - كتب إليه كتاباً يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فلما ورد عليه الكتاب مزقه، فلما بلغ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - الخبر قال: ((مزق ملكه)) فكان كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم غضب كسرى، وكتب إلى صاحبه: باذان، وكان على اليمن، يأمره بإشخاص رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله - فبعث (باذان) رسولين إليه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - يعرفانه بالصورة، ويقولان له: أجب شاهنشاه الملوك: كسرى، فإنك إن فعلت ذلك كتب لك الملك باذان إليه، ليسحن إليك، وإن أبيت فهو من تعلم - يعينان كسرى - يهلكك ويهلك قومك، ويخرب ديارك، فقال لهما رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله -: ((انصرفا وعودا إليّ غدًا)) فأتاه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - الوحي بأن كسرى وثبه عليه ابنه: شيرويه، وقتله في ساعة كذا، ومن ليلة كذا، من شهر كذا، فلما دخلا عليه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - عرفهما ما نزل الوحي به من وثوب شيرويه على أبيه كسرى، وقتله له، فاستعظما ذلك وعادا إلى باذان، فقصا عليه القصص، فقال باذان: ما هذا كلام ملك، بل هو كلام نبي مرسل، لكننا ننتظر، فإن ورد الخبر بما قال فهو نبي مرسل، لا شك فيه، وإن يكن غير ذلك نرى فيه رأينا، فورد عليه كتاب شيرويه بذلك فأسلم باذان، ومن معه من الفرس.

ومنها: قصة عمير بن وهب: وهي أنه وصفوان بن أمية الجمحي قعدا في الحجر يتذاكران قتلى بدر، ويتوجعان لهم، ويقول صفوان: لا خير في العيش بعدهم، فقال عمير: لولا دَيْنُ عليٍّ، وما أخشى من ضيعة عيالي بعدي، كتبت إلى محمد بعة أسير لي في أيديهم، وقتله، فقال له صفوان: فعَلَيْ دَيْنِكَ. وعيالك أسوة بعيالي، فتكاتما ذلك، وخرج عمير حتى قدم المدينة، ودخل إلى رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله - متوشحاً بسيفه، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبسه،

فلما رآه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - قال: ((أرسله يا عمير، أدن يا عمير، ما حاجتك؟)) قال: جئت للأسير الذي في أيديكم، فقال - صلى الله عليه وعلى آله - ((أصدقني ما الذي جئت له؟)) قال: ما جئت إلا لذلك، فقال له - صلى الله عليه وعلى آله: ((بل قعدت أنت وصفوان في الحجر)) وقص عليه ما كان جرى منهما، وقال له: ((جئت لتقتلني والله حائل بيني وبينك)) فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، هذا أمر ما حضره غيري وغير صفوان وما أخبرك به إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، فأسلم، وشهد شهادة الحق، وحسُنَ إسلامه، وغيرها من المعجزات والآيات كثير جداً، لا نأتي على حصره قد كتبت في كتب السير والتواريخ.

وفقنا الله وإياكم لاتباع سنة نبيه الأمين صلى الله عليه وآله الطاهرين، ورزقنا شفاعته يوم الدين.

١٧- حول وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي من علينا بمحمد صلى الله عليه وآله دون الأمم الماضية، والقرون السالفة، بقدرته التي لا تعجز عن شئ وإن عظم، ولا يفوتها شئ وإن لطّف. نحمده على كل نعمة، ونشكره على كل حسنة، ونستغفره من كل ذنب، ونتوب إليه من كل خطيئة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد أن محمداً عبده المنتجب، ورسوله المكرم المقرب، نور الهدى، والقائد إلى الخير، والداعي إلى الرشد، نبي الرحمة، وإمام المتقين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين. أما بعد: أيها المؤمنون:

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم {إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون}، فبعد أن بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، بدأت طلائع الوداع من الدنيا تتضح وتبين في أقواله وأفعاله صلى الله عليه وآله وسلم، فبعد ثلاث وعشرين سنة من عمر الدعوة النبوية، والبعثة المحمدية، التي قاسى فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنواع المتاعب، ولاقى أصناف الأذى والمصائب، وهو صابر لربه ومحتسب، حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وبعد عناء طويل في الجهاد والتضحية.

فإنه لما غزا غزوة تبوك وكانت آخر غزواته صلى الله عليه وآله وسلم، انصرف إلى المدينة وحج حجة الوداع، وكان يقول للناس ((خذوا عني مناسككم فعلي لا أحج بعد عامي هذا))، وفي انصرافه إلى المدينة أمره الله تعالى أن يبلغ ختام الشريعة في غدِير

ختم بأن ينصب أخاه وابن عمه ووصيه خليفته وإماماً من بعده، وفي تلك الأثناء قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أيها الناس إنه لم يكن لنبي من العمر إلا نصف ما عمر من قبله، وإن عيسى لبث في قومه أربعين سنة، وإني قد شرعت في العشرين، وإني يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، فماذا أنتم قائلون))، فقام من كل ناحية من القوم مجيب فقال: نشهد أنك قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ثم بين لهم إمامة علي عليه السلام، ونزل عليه قول الله تعالى {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً}، وهذه الآية كالإشعار والتنبيه بأن مهمة التبليغ شارفت على الإنتهاء والكمال، وأن المهمة الدنيوية قد أصبحت في المراحل النهائية.

ثم رجع إلى المدينة فأقام بها بقية ذي الحجة والمحرم والنصف من صفر لا يشتكي شيئاً، ثم ابتداءً به الوجع الذي توفي فيه صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد روى الإمام عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: (لما نزلت سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ...﴾، قال رسول الله: ((نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي))، وعرف اقتراب أجله، فدخل منزله، ودعا فاطمة عليها السلام، فوضع رأسه في حجرها ساعة، ثم رفع رأسه وقال: ((يا فاطمة، يا بنية، أشعرت أن نفسي قد نعتت إليَّ))، فبكت فاطمة عند ذلك حتى قطرت دموعها على خد رسول الله، فرفع رأسه ونظر إليها، فقال: ((أما إنكم المستضعفون المقهورون بعدي، فلا تبكين يا بنية، فإنني قد سألت ربي أن يجعلك أول من يلحق بي من أهلي، وأن يجعلك سيدة نساء أمتي، ومعني في الجنة، فأجبتُ إلى ذلك))، فتبسمت فاطمة عليها السلام عند ذلك.

فلما مضى النصف من صفر سنة إحدى عشرة، جعل رسول الله يجد الوجع والثقل في جسده حتى اشتد به الوجع في أول شهر ربيع الأول، واجتمع إليه أهل بيته ونسأؤه، فلما رأت فاطمة أباهما قد ثقل دعت الحسن والحسين، فجلسا معها إلى رسول الله، ووضعت خدها على خد رسول الله، وجعلت تبكي حتى أخضلت

لحيته ووجهه بدموعها، فأفاق صلى الله عليه وآله وسلم، وقد كان أغمى عليه، فقال لها: ((يا بنية لقد شقت على أبيك))، ثم نظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام فاستعبر بالبكاء، وقال: ((اللهم إني أستودعكهم وصالح المؤمنين، اللهم إن هؤلاء ذريتي أستودعكهم وصالح المؤمنين))، ثم أعاد الثالثة، ووضع رأسه. فقالت فاطمة: واكرهه لكرهك يا أبتاه.

فقال لها صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا كرب على أبيك بعد اليوم)). فلما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن الوداع قد قرب أراد أن يؤكد العهود والوصية على أمته، فأمر أن يصب عليه سبع قرب ماء من سبع آبار، ففعل به فوجد خفة، فخرج فصلى بالناس، ثم قام يريد المنبر، وعلي والفضل بن عباس قد احتضناه حتى جلس على المنبر، فخطبهم واستغفر للشهداء، ثم أوصى بالأنصار، وقال: ((إنهم لا يرتدون عن منهاجها، ولا آمن منكم يا معشر المهاجرين الارتداد))، ثم رفع صوته حتى سمع من في المسجد ووراءه، وهو يقول: ((يا أيها الناس، سُعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم إنكم والله لا تتعلقون علي غداً بشيء، ألا وإني قد تركت الثقلين، فمن اعتصم بهما فقد نجا، ومن خالفهما هلك))، فقال عمر بن الخطاب: وما الثقلان يا رسول الله؟

فقال: ((أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله طرف منه بيد الله وطرف بأيديكم، وعترتي أهل بيتي فتمسكوا بهما لا تضلوا ولا تذلوا أبداً، فإن اللطيف الخبير أنبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، وإني سألت الله ذلك فأعطانيه، ألا فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم فتضلوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم بالكتاب، أيها الناس، احفظوا قولي تنتفعوا به بعدي، وافهموا عني حتى تنتعشوا لئلا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض، فإن أنتم فعلتم ذلك - وستفعلون - لتجدن من يضرب وجوهكم بالسيف))، ثم التفت عن يمينه، ثم قال:

((ألا وعلي بن أبي طالب ألا وإني قد تركته فيكم ألا هل بلغت؟))، فقال الناس: نعم يا رسول الله صلوات الله عليك.

فقال: ((اللهم اشهد))، ثم قال: ((ألا وإنه سيرد علي الحوض منكم رجالاً فيدفعون عني، فأقول: يارب أصحابي أصحابي فيقول: يا محمد، إنهم أحدثوا بعدك وغيروا سنتك، فأقول سحراً سحراً))، ثم قام ودخل منزله فلبث أياماً يجد الوجع، والناس يأتونه، وهو يخرج إلى الصلاة.

فلما كان آخر ذلك ثقل وزاد به المرض، واشتد به الألم، فلم يقدر على الخروج إلى الصلاة، فأتاه بلال ليؤذنه بالصلاة وهو مُلق ثوبه على وجهه قد تغطى به، وكان رأس رسول الله في حجر علي بن أبي طالب عليه السلام، والفضل بن العباس بين يديه يُروِّحُه، وأسامة بن زيد بالباب يحجب عنه زحمة الناس، فقال: الصلاة يا رسول الله، فكشف الثوب وقال: ((قد أبلغت يا بلال فمن شاء فليصل))، فخرج بلال، ثم رجع الثانية والثالثة وهو يقول: الصلاة يا رسول الله، فقال: ((قد أبلغت يا بلال، فمن شاء أن يصلي فليصل))، فلما رجع بلال ولم يتم رسول الله بعثت عائشة بنت أبي بكر فقالت: يا بلال مر أبا بكر فليصل بالناس.

فلما فعلت عائشة ذلك أمر جبريل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج ليصلي بهم، وعلم ما يقع من الفتنة إن صلى بهم أبو بكر، فوجد رسول الله حقة فقام فتمسح وتوضأ، فخرج رسول الله يمشي بين علي والفضل وقدماه يخطان في الأرض حتى دخل المسجد، وقد أقيمت الصلاة وقد تقدم أبو بكر ليصلي، فلما رآه أبو بكر تأخر، وتقدم رسول الله صلى بالناس، فلما سلم أمر علياً والفضل فقال: ((ضعاني على المنبر))، فوضعه على منبره، فسكت ساعة فقال: ((يا أمة أحمد، إن وصيتي فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، اعتصموا بهما تردوا على نبيكم حوضه، ألا ليُذادَنَّ عنه رجال منكم، فأقول سحراً سحراً))، ثم أمر علياً والفضل أن يدخلاه منزله.

فلما كان يوم الخميس أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بباب الحجرة أن يفتح ويدخل الناس عليه، يا لها من لحظات مريرة، ووقفات مؤلمة، حيث يجتمع الناس لوداع أعظم وأفضل خلق الله، في حيرة ودهشة، فيها هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأذن للناس أن يدخلوا عليه ليعظهم ويذكرهم، ليعلمهم باقتراب الرحيل، ليودعهم، إنها لحظات لا يستطيع المرء أن يتخيلها.

فلما دخلوا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((اثنوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي أبداً)).

فقال عمر بن الخطاب: إن رسول الله ليهجر، كتاباً غير كتاب الله يريد، حسبنا كتاب الله. فاختلف الناس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وارتفعت الأصوات، وكثر اللغط، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك فغضب، ثم قال لهم: ((اخرجوا عني وأستودعكم كتاب الله وأهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما، وأنفذوا جيش أسامة، لا يتخلف عن بعثته إلا عاصي لله ولرسوله))، ثم جعل يقول: ((اتقوا الله فيما ملكت أيما نكم))، وخرج الناس وأغلق الباب الذي كان على الحجرة. فيا لله العجب كيف يأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشيء ويخالفه أصحابه، ويأبون عليه ذلك أشد الإباء، إنها والله فاقرة في الدين، ومصيبة على الإسلام والمسلمين، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر لنا سالف ذنوبنا فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، بسم الله الرحمن الرحيم {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ، فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستهدي الله الهدى، ونعوذ بالله من الضلالة والردى، من يهدي الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين. أما بعد: أيها المؤمنون:

لا زلنا في لحظات الوداع والفراق للحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، الذي أخرجنا الله به من ظلمات الجهل والكفر، إلى أنوار العلم والإيمان. لقد حصل في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمور عظيمة، وأحداث جسيمة، قد سبق الحديث عن بعضها، ونكمل ما تبقى في هذه الخطبة: لقد كان أمير المؤمنين علي عليه السلام من الملازمين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرض وفاته، وكان رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجر علي عليه السلام، فلما كان بعض أيام مرضه صلى الله عليه وآله وسلم أقبل على علي عليه السلام يناجيه ويسر إليه أشياء لم يطلع عليه غيره، وطالت مناجاته، فكان علي عليه السلام يقول: إنه أوصاني وعلمني بما هو كائن بعده.

وقال له: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، بلغ عني تأويل القرآن، وأنت وصيي، وخليفتي في أهلي وأمتي، من والاك فقد والاني، ومن عصاك فقد عصاني))، فلما فرغ من وصيته إياه أعغمي عليه، ثم أفاق وهو يقول: ((بالكأس الأوفى، وفي الرفيق الأعلى)) يقولها ثلاثاً.

ولا زال الألم يتزايد كل يوم، والمرض يشتد، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجرته، والناس يجتمعون على باب حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يترقبون لحظة الفراق، وساعة الوداع، وهم يبكون حول حجرته، فلم يأذن علي عليه السلام لأحد بالدخول، كي لا يزيد على رسول الله ما هو فيه من المرض والألم.

وها هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غصص الموت، وأنات الوداع يتذكر رفيق دربه، وأنيسه، يتذكر جبريل الأمين الذي كان يأتيه بالوحي، فإذا به ينادي ((أين أنت يا جبريل؟ ادن مني))، ولكن جبريل ليس بالبعيد بل هو بقرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فليس بتارك له في هذه اللحظات العصيبة، فإذا بجبريل يجيبه، وهو يقول: يا محمد، أبشر فإنك قادم على ربك.

وجاء دور ابنته الوحيدة التي تكاد نفسها أن تخرج من شدة الجزع والحزن على أبيها، ها هي فاطمة الزهراء تريد أن تودع أباه، الذي ليس له نظير ولا مثيل في الآباء، ها هي تدنو من أبيها الذي طالما أبدى لها من الحب والحنان والشفقة والرقّة ما لا مزيد عليه، ها هي تستشعر أن ذلك الحنان وتلك الرقة ستغادرها، وتذهب عنها وترتحل، ولكن لا بد من الفراق والوداع، فها هي فاطمة عليها السلام تدنو من أبيها وهو مغمض العين وتناديه: (يا أبتاه، تفديك نفسي، انظر إليّ نظرة عسى كُرب الموت تغشائي، ولا أراي إلا مفارقة الدنيا بعدك عن قريب أو معك).

يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صوتها وهو في شدة من الألم فلم يتمالك نفسه حتى فتح عينيه، ونظر إليها، ورفع يده فمسح خدها من الدموع، ثم غمض عينيه ساعة، وفاطمة تنظر إليه، والحزن يذيب فؤادها، ويجرق أحشاءها، فإذا بها تنادي مرة ثانية: (يا أبتاه نفسي لنفسك الفداء، قد ذاب قلبي وقرت كبدي، ولوددت أن نفسي خرجت قبل نفسك، ها أنا ذا بين يديك لا أراك تكلمني، اللهم صبرني))، أب رحيم شفيق، يسمع صوت ابنته الوحيدة التي كانت أغلى وأعز وأحب شيء عنده في الدنيا،

كيف لا يجيها وهو يعلم ما سيحل بها بعده من الأمور العظيمة؟، يسمع رسول الله قولها، ففاضت عيناه بالبكاء، ويناديهما أن تدنو منه، ليشم منها ما كان يشمه من رائحة الجنة، ليعيد لها بعضاً من الشفقة والحنان، فذنت منه وانكبت عليه وهي تبكي وقد وضعت خدها على خده، فقال لها أمير المؤمنين علي عليه السلام: (تنحي عن رسول الله لا تؤذيه)، فتنحت وجلست ناحية تسترجع وتدعوه.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى نساءه واحدة واحدة، فقال لعائشة: ((قد أوصيتك قبل اليوم، فاحفظي وصيتي، واحفظي أمري لك في لزوم بيتك ولا تبدي، يا عائشة تأخري عني)).

وقال لحفصة: ((قد أوصيتك قبل اليوم، فاحفظي وصيتي، ولا تبدي أمري، واحفظي أمري لك في لزوم بيتك، قومي عني))، وكلم نساءه امرأةً امرأةً مثلما كلمهما.

وجاء دور الأحفاد فليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوى حفيدين، هما ولداه وسبطاه، حان وقت وداعهما، فإذا بفاطمة عليها السلام جاءت بالحسن والحسين عليهما السلام وقالت لهما: ادنوا من جدكما فسلما عليه.

فدنوا منه وقالوا: يا جداه، ثلاثاً، ثم بكيا، وقال له الحسن عليه السلام: ألا تكلمنا كلمة وتنظر إلينا نظرة، فبكى علي عليه السلام والفضل وجميع من في البيت من النساء، وارتفعت أصواتهم بالبكاء ففتح رسول الله عينيه وقال: ((ما هذا الصوت))؟ فقالت فاطمة: يا رسول الله، هذان ابناك الحسن والحسين، كلماك فلم تجبهما فبكيا وبكى من في البيت لبكائهما.

فقال رسول الله: ((ادنوا مني))، فدنا منه الحسن عليه السلام فضمه إليه وقبله ودنا الحسين منه، ففعل به مثل ذلك، فبكيا ورفعوا أصواتهما بالبكاء، فزجرهما علي عليه السلام وقال: لا ترفعا أصواتكما، فقال له رسول الله: ((مه يا علي)).

وفي رواية: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعل يلثمهما ويقبلهما حتى أغمى عليه، فأراد علي عليه السلام أن يرفعهما، ففتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عينه وقال لعلي ((دعهما يتمتعان مني، وأتمتع منهما، فإنه سيصييهما بعدي أثره)).

ثم قال: ((اللهم إني أستودعكما وجميع المؤمنين من أمتي)).

وغمض عينيه فلم يدع علي عليه السلام أحداً يدنو منه.

بدأت لحظات الوداع الأخير تقترب كل يوم، فلما ارتفع النهار يوم الإثنين ودنت ساعة الإحتضار كان رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجر علي عليه السلام فشخص رسول الله بنظره فقال: ((مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى)).

فقال الفضل بن العباس لعلي عليه السلام: يا أبا الحسن، أغمض عين رسول الله وضمّ فاه، فوضع علي يده على فم رسول الله وقد خرجت نفسه من كف علي، فردّها إلى لحيته وأراد أن يغمض عينيه، فأبصر عينيه قد غُمضتا، وضمّ فوه، ويداه ورجلاه مبسوطتان، فإذا جبريل عليه السلام قد ولي ذلك منه، وهو في وسط البيت يسمعون حسّه ولا يرونه.

يالك من يوم عظيم، ومشهد جسيم، قلب السرور أحزاناً، وبدل الأفرح أتراحاً، إنا لله وإنا إليه راجعون، مات خير الخلق، مات حبيب الله، مات صفوة الله، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، قبضه الله إليه يوم الإثنين من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة، ودفن ليلة الأربعاء، وقيل: ليلة الثلاثاء، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين.

ثم تولى غسله علي عليه السلام وعمه العباس وابناه الفضل ووثم، وأسامة بن زيد، وشقران مولاه، وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية منسوبة إلى السحول وهي بلدة باليمن، وصلى عليه الناس فرادى لا يؤمهم أحد، لأن الصلاة عليه كانت فرض

عين على من حضر، ودفن حيث توفي حول فراشه وألحد له، وفي ذلك يقول
حسان بن ثابت:

بطيبة قبر للنبي ومعهد	منير وقد تعفو الرسوم وتهمدُ
فبوركت يا قبر النبي وبوركت	بلاد ثوى فيها الرشيد المُسدّدُ
لقد غيبوا حلماً وعلماً ورحمة	عشية يعلوه التراب يوسّدُ
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم	وقد وهنت منهم ظهور وأعضدُ
يبكون من أبكى السماوات يومه	ومن قد بكته الأرض فالناس أكمدُ
وهل عدلت يوماً رزية هالك	رزية يوم مات فيه محمدُ

فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله يوم ولد ويوم بعث، ويوم مات ويوم يعث
حياً، وجزاه الله عنا خير الجزاء، وحشرنا في زمرة، ورزقنا شفاعته.

الرابع:

الخطب المتعلقة

بشهر جماد الآخرة

١٨ - حول فاطمة الزهراء عليها السلام**الخطبة الأولى**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بأهل بيت النبوة، وجعلهم أدلة على الحق وقدوة، ورفع بهم منار الدين وأعلاه، وأشاد بهم بنيان الهدى وقواه، وأزال بهم ظلمات الجهل وعشاوته، ومحي بهم ضلالات الباطل وغشاوته، وقمع بهم أهل الزيغ والكفر والنفاق، وزلزل بهم عروش أهل الكبرياء والشقاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا عديل، ولا خلف لقوله ولا تبديل. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين المأمون، بلغ الرسالة كما أمره الملك الجليل، وأدى الأمانة بكل ما يمكنه من التبليغ، صلى الله وسلم عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: الشخصيات الإسلامية لها موقعها الكبير في قلوب المسلمين، والتأثر بها ومجوانبتها الأخلاقية له دوره في سلوك المؤمنين، سواء كان صاحب الشخصية ذكراً أو أنثى، رجلاً أو امرأة، فقد خلّد القرآن شخصيات عظيمة لها دورها، بعضها من الرجال وبعضها من النساء، وبما أننا في شهر جماد الآخرة، الذي كان فيه ولادة ووفاة شخصية من أهل البيت النبوي الطاهر، تلك الشخصية هي فاطمة البتول، بضعة الرسول، سيدة النساء، وخامسة أهل الكساء، فاطمة الزهراء عليها السلام.

فقد كان تاريخ ولادة الزهراء عليها السلام في يوم الجمعة العشرين من جمادى الآخرة، في مكة المكرمة، بعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد حادثة الإسراء والمعراج بثلاثة أعوام.

ونشأت فاطمة عليه السلام في بيت الوحي وأحضان النبوة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحبها حباً شديداً، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُكثر تقبيل فاطمة عليها السلام، فكانت إذا دخلت عليه ينهض إليها ويقبل رأسها ويديها، حتى أنكرت ذلك عائشة، وسألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن سبب هذا الحب البالغ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((يا عائشة لو علمت ما أعلم لأحببتُها كما أُحِبُّ، فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني، ومن سرَّها فقد سرَّني)).

وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا قَدِمَ من سَفَرٍ قَبَّلَ نَحْرَ فاطمة عليها السلام، فسألته عائشة عن ذلك فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((منها أشمُّ رائحة الجنَّة))، وفي رواية ((فما قَبَّلْتُها قطَّ إلاَّ وجدتُ رائحةَ شجرة طوبى منها)).

ولقد كانت الزهراء عليه السلام تشبه أباهما شبيهاً كثيراً حتى قالت عائشة: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً برسول الله صلى الله عليه وآله في قيامها وقعودها ومنطقها وحدثها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكانت فاطمة تحب أباهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم حباً شديداً، فعندما توفيت أمها خديجة الكبرى كان عمرها ست سنين فكانت تسعى ملئ الفراغ الذي نشأ عن رحيل والدتها، وتريد أن تهون الوجد والحزن الذي حزنه والدها محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكانت تشاركه محنته وهي في سنها الصغير عندما يواجه الأذى والمحنة من المشركين، فكانت تضمد جراحه، وتغسل ما يلقيه السفهاء من الأقدار عنه.

ولقد كان لفاطمة عليها السلام كثير من الأسماء الكريمة، والألقاب المباركة: فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسميها أمَّ أبيها لشدة حبه لها، وفرط حنانها وعطفها عليه.

وكان اسمها فاطمة: وسميت به لأن الله فطمها وذريتها ومحبيها من النار، كما

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وتسمى البتول: لأنها لم تكن ترى ما يراه النساء من الحيض.

وتسمى سيدة النساء: لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لها في مرض وفاته ((يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء المؤمنين)).

وتسمى خامسة أهل الكساء: لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أدخلها في الكساء مع علي والحسن والحسين لما نزلت آية التطهير وهي قوله تعالى {إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}، وتسمى الطاهرة والمطهرة والصديقة والزهراء، وغيرها من الأسماء.

ولما بلغت فاطمة عليها السلام سن الرشد، وآن لها أن تنتقل إلى بيت الزوجية، تقدم لخطبتها كثير من الصحابة منهم أبو بكر وعمر، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يردهم بقوله: إني أنتظر أمرها من السماء يأتيني من عند الله، فجاء الأمر من الله تعالى بواسطة جبريل الأمين إلى محمد خاتم النبيين، بأن يزوج فاطمة من علي، فإن الله قد زوجها في السماء من علي، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الهجرة بثلاث سنين، وكان زواجها في شهر صفر بعد غزوة بدر الكبرى، ودخل بها علي عليه السلام في شهر الحجة بعد غزوة أحد، وعمرها خمس عشرة سنة.

وفي السنة الرابعة ولد الإمام الحسن، وفي الخامسة ولد الإمام الحسين عليهما السلام. وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤} أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أمدنا بالنعم السوابغ، واحتج علينا بالحجج البوالغ، وأكرمنا بالآيات والبينات والبراهين القاطعة، وعرفنا بأهل البيت شمس الدنيا الساطعة، ونجوم الحق الطالعة، حمداً دائماً.

والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على سيد البشر، وقامع كل من عاند وأشرك وكفر، محمد المختار المصطفى وعلى آله الغرر، مصاييح الدجى، وأعلام الهدى، وأطواد التقى.
أما بعد: أيها المؤمنون:

عاشت فاطمة الزهراء عليها السلام تلحظها العناية الربانية، وتتشرف بالفضائل النبوية، وأبوها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبين فضلها للناس، ويبين مكانتها عند الله تعالى، فإنها كانت شريكة أهل البيت في الآيات النازلة فيهم، والأخبار المقولة على لسان أبيها في الوصية بهم ووجوب محبتهم واتباعهم، وحرمة معاداتهم، بل وورد فيها من الفضائل الخاصة بها الشيء الكثير، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَاطِمَةُ).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ: عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((فَاطِمَةُ خُلِقَتْ حَوْرِيَّةً فِي صُورَةِ إِنْسِيَّةٍ)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي وَهِيَ قَلْبِي وَهِيَ رُوحِي الَّتِي

بَيْنَ جَنَّتَيْيَ))، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أُمَّتِي)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤَلِّمُهَا مَا يُؤَلِّمُنِي

وَيَسِّرُنِي مَا يَسِّرُهَا)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي مَنْ أَذَاهَا فَقَدْ أَذَانِي)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((فَاطِمَةُ بَهْجَةٌ قَلْبِي وَابْنَاهَا ثَمَرَةُ فُؤَادِي)).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((فَاطِمَةُ لَيْسَتْ كَنِسَاءِ الْآدَمِيِّينَ)).
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((يَا فَاطِمَةَ إِنَّ اللَّهَ يَعْضِبُ لِعَضْبِكَ وَيَرْضَى لِرِضَاكَ))، وغيرها من الأحاديث والفضائل.

وقد روت الزهراء عليها السلام عن أبيها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعض الروايات، فمنها حديث التسبيح المشهور، والمعروف بتسبيح فاطمة، وهو أن فاطمة ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تطلب منه خادماً يعينها لأن يدها كانت قد مجلت من الرحي والطحن، فعلمها أن تقول سبحان الله - ثلاثاً وثلاثين -، والحمد لله - ثلاثاً وثلاثين -، والله أكبر - أربعاً وثلاثين -.

وقد عاشت الزهراء مع أبيها النبي وزوجها الوصي، حياة المؤمنات الصادقات الطاهرات الصابرات، فقد كانت حيتها حياة حافلة بالخيرات والبركات، وكانت قدوة وأسوة للنساء المؤمنات، تسهر على راحة أبيها، وترعى حرمة زوجها، وتربي أولادها، وتعلمهم حب الخير والفضيلة والأخلاق الكريمة، وتعطف على الضعفاء والمساكين، وتحسن العشرة والصحبة إلى غير ذلك من صفات الخير.

ولما أراد الله تعالى أن يريح نبيه من الدنيا وآلامها وأتاعبها، مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرض الموت، فكانت الزهراء تمرض أباهما وتلازمه، والحزن يعصر أحشاءها، والحرارات تقطع كبدها، والدموع تعتصر من عينيها، والأانات والحسرات تتابع من صدرها، فهي تود أنها تستطيع دفع الآلام عن أبيها بنفسها، أو أن تفدي أباهما من الموت فتموت بدلاً عنه، فكان رسول الله يغمى عليه الحين بعد الحين فإذا أفاق فتح عينيه فيرى فاطمة تبكي ودموعها تجري على خديها، فيقول: لما ذا تبكين يا بنية، فتقول: مما أراه ينزل بك يا أبتاه، فيمسكها بيده، ويضمها إلى صدره، ويقبل رأسها، ويهون عليها أساها قائلاً: لا كرب على أبيك بعد اليوم، فتقول وهي تتابع بكائها: وكأنك تنعي إلي نفسك يا أبتاه، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وآله وسلم لا يريد أن يفارق الدنيا وحبيبته وأغلى الناس عنده تتوجع، وتعتصر ألماً وحنناً لفراقه، فيهون عليها قائلاً: ألا يرضيك يا بنية أنك سيدة نساء العالمين، وأنتك أول أهل بيتي لحاقاً بي، عند ذلك تبسمت الزهراء، لأن أباهما أخبرها بسرعة التقائهما، وأنها أول أهله لحوقاً به.

ولما فارق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحياة، والتحق بالرفيق الأعلى، حزنت حزنًا لا مزيد عليه، وأخذت تبكي الليل والنهار، حتى اتخذت لها بيتاً خارج المدينة في البقيع يسمى بيت الأحزان، تبكي فيه على أبيها، الذي كان موته صدمة كبيرة على ابنته خصوصاً وعلى الناس عموماً.

لم يكن الحزنُ الذي يخيّم في قلب الزهراء عليها السلام على فراق أبيها مانعاً من الأذى والتعدي والظلم للزهراء عليها السلام، فقد كانت عليها السلام المظلومَ الثاني في الإسلام بعد زوجها الوصي عليه السلام، الذي أخذ عليه أمرُ الخلافة، ثم أتى دورها في المظلومية، فقد اغتصبوا فدكاً عليها، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أنحلها وأعطاهها لابنته الزهراء، فطالبت بحقها بكل قوة وشجاعة ولكن دون جدوى، فصبرت على الظلم، وتجرعت مرارات الغيظ، وكان صبرُها صبرَ غضبٍ على من غصبها نحلتهما وحققها وإرثها من أبيها، ولم يزل ذلك الغضب في نفسها، مع ما قد غامرها من فراق أبيها، وما تراه يعانیه زوجها من الإضطهاد والإستبداد بما هو أحق به وأولى، ولم تزل أحزانها تتجدد كل وقت ويوم كلما سمعت المؤذن يرفع اسم أبيها: أشهد أنّ محمداً رسول الله، حتى هزل جسمها، ودق عظمها، وخذ صوتها، وبلي حسننها، ولم تستطع أن تتحمل شوق الرحيل إلى أبيها، فلم تطل مدتها بعد أبيها فلم تبق بعد موت أبيها إلا ثلاثة أشهر على الرواية الصحيحة، حتى مرضت مرض الموت، وعلمت أنها ستفارق الحياة، فأخذت تودع أولادها، وتتعاهد صغارها، فودعت ولدها الحسن الذي لم يزل في السابعة من

عمره، والحسين في السادسة، وزينب في الخامسة، وأم كلثوم في الثالثة من عمرها، وكان أصعب ما في وداعها أن تودع زوجها، وشريك أبيها في جهاده وتضحياته، وشريك حياتها، وهي توصيه بأولادها الصغار، وتوصيه أن يدفنها سرّاً، وأن لا يشهد جنازتها أحد من الذين ظلموها وأغضبوها.

فما هو إلا أن أغمضت الزهراء عينيها مفارقة للحياة، حتى امتثل أمير المؤمنين عليه السلام وصيتها، فصلى عليها ودفنها ليلاً في نفر من خلص أصحابه وأتباعه، ولم يشهد أحد غيرهم جنازتها ولا الصلاة عليها، وهكذا يودع أمير المؤمنين عليه السلام شريكة حياته، حزيناً باكياً مفجوعاً بمصيتها، ويلحدها بيده ويضعها في قبرها وهو يقول:

(السلام عليك يا رسول الله، عني وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورق عنها تجلدي، أما نومي فمسهد، وأما ليلي فسرمد، وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها، فأخفها السؤال، واستخبرها الحال، والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم، ولا عن غير رضى بما وعد الله الصابرين).

وكانت وفاتها في الثالث من جماد الآخرة سنة ١١هـ، وعمرها ثمانية وعشرون عاماً، فرحمة الله ورضوانها وسلامه عليه وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها.

الخامس:

الخطب المتعلقة

بشهر رجب

١٩ - حول فضائل شهر رجب

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، الْجَوَادِ الْكَرِيمِ، الَّذِي أَنْشَأَنَا بِحِكْمَتِهِ،
وَعَدَّانَا بِنِعْمَتِهِ، وَأَوْلَانَا جَزِيلَ الْإِحْسَانِ، وَهَدَانَا سَبِيلَ الْإِيمَانِ، وَعَوَّدَنَا جَمِيلَ الْإِمْتِنَانِ،
فَأَقْرَرْنَا بِالْأَهْيَتِهِ، وَاعْتَرَفْنَا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَيَقْنَا بِحَشْرِهِ وَحِسَابِهِ، وَآمَنَّا بِرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مُدَبِّرُ الْأُمُورِ وَمُصَرِّفُ الْمَقْدُورِ.
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَالْيَقِينِ،
وَمَنْ بِهِ عَلَى كَافَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، فَبَشَّرَ التَّقِيَّ، وَأَنْذَرَ الْعَوِيَّ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَكَشَفَ الْعُمَّةَ،
وَجَاهَدَ حَتَّى كَمَلَ الدِّينُ، وَعَبَدَ إِلَهَهُ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ
بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون:

نعيش وإياكم في هذه الأيام المباركة الفاضلة، في أيام شهر الخير والبركة، في شهر
رجب الأصب، الذي هو من أشهر الحرم التي عظمها الإسلام تعظيماً كبيراً، كما
قال الله تعالى {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ}،
فهو المنفرد من الأربعة الحرم، وقد كانت الجاهلية تعظمه، وتستعظم انتهاك الحرمة
فيه بقتل أو غدر أو نحو ذلك، فلما شق ذلك عليها كانت إذا دخل شهر من الحرم
وهم في أثناء قتال انتهكوا فيه أياماً ثم جعلوا بدلاً عنها أياماً أخرى من شهر آخر
ويزيدون عليها ضعفاً، كما قال تعالى {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ
كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ

لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}، فلما جاء الإسلام زاده تعظيماً وتشريفاً، وعاب الله تعالى على المشركين انتهاكهم حرمة الأشهر الحرم.

وقد وردت الروايات الكثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فضل شهر رجب، وأنه من أوقات العبادة، وأيامه من أيام طلب الفضل والزيادة: فعن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((رجب شهر عظيم، تضاعف فيه الحسنات، ما لا تضاعف في غيره)).

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا دخل رجب قال: اللهم بارك لنا في رجب وشعبان، وبلغنا رمضان.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ألا إن رجب شهر الله الأصم، وإمّا سمّي الأصم لانفراده من الأشهر الحرم، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمّتي، ألا من صام في رجب يوماً إيماناً واحتساباً استوجب رضوان الله الأكبر)).

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((رجب من أشهر الحرم، وأيامه مكتوبة على أبواب السماء السادسة، فإذا صام الرجل منه يوماً وجود صومه بتقوى الله نطق الباب ونطق اليوم فقالوا: يا رب اغفر له، وإن لم يتم صومه بتقوى الله ولم يستغفر قالوا: خُدعت من نفسك)).

وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن رجب شهر الله ويدعا الأصم، وكان أهل الجاهلية إذا دخل رجب يعطلون أسلحتهم يضعونها، فكان الناس يأمنون وتأمّن السبل، ولا يخاف بعضهم من بعض حتى ينقضي)).

أيها المؤمنون: شهر رجب بستان من بساتين العبادة، وشجرة تحمل أنواع الثمار اليانعة، فيقتطف الصالحون والأولياء أنواع تلك الثمار، ويتنقلون تحت ظلال أشجار ذلك البستان، وقد وردت في رجب أنواع من العبادات، نذكر بعضها:

الأول: مندوبية الصيام فيه، فقد وردت أحاديث كثيرة في الترغيب في صيامه كله لمن استطاع ذلك، أو صيام بعضه:

منها: ما روي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من صام يوماً من رجب وقام ليلة من ليليه، بعثه الله آمناً يوم القيامة، ومَرَّ على الصراط وهو يهَلَل ويكَبِّر، ومن صام أكثر من ذلك وقام، أَمَرَ الله تبارك وتعالى المنادي يوم القيامة فينادي: ألا إنَّ فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها، ومن صام أكثر الشهر أعطاه الله تبارك وتعالى في الجنان مُدْناً وقصوراً لا يقدر وصفه الوصفون)).

وعن عبد العزيز بن سعيد، عن أبيه - وكانت له صحبة - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((رجب شهر عظيم يضاعف فيه الحسنات، فمن صام يوماً من رجب فكأنما صام سنةً، ومن صام منه سبعة أيام غلقت عنه سبعة أبواب جهنم، ومن صام منه ثمانية أيام فتحت له ثمانية أبواب من الجنة، ومن صام منه عشرة أيام لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، ومن صام منه خمسة عشر يوماً نادى من السماء: قد عُفِر لك ما مضى فاستأنف العمل، ومن زاد زاده الله، وفي رجب حمل الله -تعالى ذكره- نوحاً في السفينة، فصام رجب وأمر من معه أن يصوموا، فجرت بهم السفينة ستة أشهر، آخر ذلك يوم عاشوراء هبط على الجودي، فصام نوح ومن معه والوحش: شكراً لله تعالى ذكره.

وعن أنس بن مالك قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ((من صام يوماً من رجب إيماناً واحتساباً جعل الله تبارك وتعالى بينه وبين النار سبعين خندقاً عرض كل خندق ما بين السماء إلى الأرض)).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((إن في الجنة نهرًا يقال له رجب أبيضاً من اللبن، وأحلى من العسل، من صام يوماً من

رجب سقاه الله من ذلك النهر))، فهذه الرويات تدل على فضل صيامه، وما أعده الله من الأجر والثواب للصائمين فيه.

الثاني: مما يندب قيام أول ليلة من شهر رجب وصيام يومها الذي هو أول يوم من رجب:

فعن عطاء الخراساني، قال: خمس ليال من قامهن: أول ليلة من رجب يقومها ويصبح صائماً، وليلة النصف من شعبان يقومها ويصبح صائماً، وليلة الفطر يقومها ويصبح مفطراً، وليلة الأضحى يقومها ويصبح مفطراً، وليلة عاشوراء يقومها ويصبح صائماً، كتب الله له أجر شهيد في حياته وبعد مماته.

وعن الحسن قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((أربع ليال يفرغ الله تعالى الرحمة على عباده إفرغاً: أول ليلة من شهر رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، والأضحى)).

الثالث: من المندوبات في هذا الشهر الصدقة والذكر وهي تقوم مقام الصيام لمن لم يصم، كما روى الإمام المرشد بالله عليه السلام في آخر الحديث الطويل في فضل صيام كل يوم منه: فليل يا رسول الله فمن عجز عن صيام رجب لضعف أو علة في الرجال أو كانت امرأة غير طاهرة لينال ما وصفت؟

قال: ((يتصدق هذه الصدقة، كل يوم رغيف على المساكين، والذي نفسي بيده إنَّه إذا تصدق بهذه الصدقة كل يوم ينال ما وصفت وأكثر، إنَّه لو اجتمع جميع الخلائق كلهم من أهل السماوات والأرض على أن يقدروا قدر ثوابه ما بلغوا ما نصب في الجنان من الفضائل والدرجات))، قيل يا رسول الله: ومن لم يقدر على هذه الصدقة يصنع ما ذا لينال ما وصفته؟

قال: يسبح الله في كل يوم في شهر رجب إلى تمام ثلاثين يوماً هذا التسبيح مائة مرة:

((سبحان الإله الجليل، سبحان من لا ينبغي التسبيح الإله، سبحان الأعز الأكرم، سبحان من لبس العز وهو له أهل))، وهذا هو تسبيح رجب المشهور.

ومما يستحب من الصيام فيه: صيام يوم السابع والعشرين

فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب الله صيام ستين شهراً))، وهو يوم هبط جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة، أول يوم هبط إليه.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، وللمؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لا غاية له ولا انتهاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، والقائم بلا عناء، والدائم بلا فناء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين والأنبياء، صلوات الله عليه وعلى آله الأصفياء.

أما بعد أيها المؤمنون: لقد اعتاد الصالحون والعباد زيادة العناية بالعبادة في شهر رجب، فكانوا يصومونه ويصومون معه شهر شعبان، وتأخذ بعض عبادة الصالحين فيه، فلقد كان عابد اليمن إبراهيم بن أحمد الكينعي رحمة الله عليه يوظف لنفسه أوراذاً وعبادات في شهر رجب وشعبان، وإليك كلام السيد العلامة يحيى بن المهدي بن قاسم الحسيني في كتاب صلة الإخوان في حلية عابد الزمان، قال رحمه الله: وأمّا شهر الله المحرم، ورجب، وشعبان، وشهر رمضان الكريم فيلزم الخلوة في هذه الأربعة الحرم، ويوظف فيها وظائف:

منها: لا يتكلم فيها أبداً فيما عرفتُ وعلمتُ، فإن كُتِبَ إليه في حاجة مهمّة دينية جَوَّبَ في ظهر ورقة، أو في عصا أو في لوح لفظات يسيرة جواباً.

ومنها: لا يدخل إليه من بني آدم أحد والذي يأتيه بالوضوء والطعام يتركه على باب منزل خلوته المباركة، أو يهيء في مكان للتجمير والتدفية، فينزل له في أي وقت أحب.

ومنها: أنه لا يفرط في ساعات الليل والنهار، بل اللحظة فيما أحسب، ويقطع علائق الكتب لا تقف عنده في هذه الخلوات، فيقرأ في كل شهر ستين ختمة، يقرأ في كل يوم ختمتين، وفي شهر رمضان -عمت بركته- تسعين ختمة، في النهار

ختمتين، وفي الليل ختمة قياماً وتلاوة، ويضعف الصلوات والأذكار التي في سائر السنة، فإذا خرج من هذه العكفة المباركة شاهدت نوراً يلعب على وجهه، ولو كشط لحمه لما ملأ الكفين، والله أعلم، ويكاد يُدرُّك بياضُ العظم من رقة جلده، ثم قال: رَوَى لي بعض إخوان سيدي إبراهيم الكينعي رضي الله عنهما أنه شاهد إبراهيم صلى الشعبانية مائة ركعة بين العشاءين، وكانت الصلاة والتلاوة عليه سهلة يسيرة، وكان ذلك دأبه يصلّيها بين العشاءين في كل ليلة من الثلاثة الأشهر [شهر رجب، وشعبان، ورمضان].

قلت له يوماً: أئنّي يتهياً لك هذا الحتم؟ وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ((من قرأه دون ثلاثة أيام لم يفقه)) فقال: إن الله سهّل عليّ ذلك، وأجد خفة في لساني في الصلاة والتلاوة ولا أجدها في سائر الكلام، وإني لو أتدبر كتاب ربي لما استطعت أن أمرّ بآية وعيد.

أيها المؤمنون: فإنكم في شهر عظيم، ويوم عظيم، فنحن في شهر رجب، وفي أول جمعة منه، حيث كان لأهل اليمن وخاصة قبائل همدان في أول جمعة من رجب فضيلة لا توازيها الفضائل، ومنقبة لا تساويها المناقب، وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أرسل أمير المؤمنين علياً عليه السلام إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام والإيمان، فوصل إلى اليمن في غرة شهر رجب، فاجتمعت إليه قبائل همدان كلها في يوم الجمعة، وهي أول جمعة من رجب، فدعاهم إلى الإسلام، ووعظهم وذكرهم، فأسلموا جميعاً في يوم واحد، على يد أمير المؤمنين علي عليه السلام، فلما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك سجد لله شكراً، فلهذا نرى لأهل اليمن وخاصة همدان مزيدَ عناية بأول جمعة من رجب، لهذا السبب.

فأهل اليمن لم يحتاجوا في إسلامهم إلى السيف كغيرهم من أهل البلدان، بل أجابوا داعي الله مسرعين، فهم أهل السابقة والفضيلة، ولهم مناقب سامية ليست لغيرهم،

ووردت فيهم روايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما روي عنه أنه قال ((إذا هاجت الفتن فعليكم باليمن)) قالوا يا رسول الله: فإذا كانت باليمن، قال ((سيطفئها الله)).

وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((الروح والفرج من هاهنا)) وأشار بيده إلى اليمن. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((اللهم بارك لنا في يمننا وشامنا)) ثلاث مرات، قالوا: وفي نجدنا يا رسول الله، قال: منه يطلع قرن الشيطان، وفي رواية أنه أشار بيده إلى نجد: وقال هاهنا الفتنة، ثلاث مرات.

٢٠ - خطبة أخرى حول فضائل شهر رجب

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، الْجَوَادِ الْكَرِيمِ، الَّذِي أَنْشَأَنَا بِحِكْمَتِهِ،
وَعَدَانَا بِنِعْمَتِهِ، وَأَوْلَانَا جَزِيلَ الْإِحْسَانِ، وَهَدَانَا سَبِيلَ الْإِيمَانِ، وَعَوَّدَنَا جَمِيلَ الْإِمْتِنَانِ،
فَأَقْرَرْنَا بِالْأَهْيَتِهِ، وَاعْتَرَفْنَا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَيَقْنَا بِحُشْرِهِ وَحِسَابِهِ، وَآمَنَّا بِرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مُدَبِّرُ الْأُمُورِ وَمُصَرِّفُ الْمَقْدُورِ.
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَالْيَقِينِ،
وَمَنْ بِهِ عَلَى كَافَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، فَبَشَّرَ التَّقِيَّ، وَأَنْذَرَ الْعَوِيَّ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَكَشَفَ الْعُمَّةَ،
وَجَاهَدَ حَتَّى كَمَلَ الدِّينُ، وَعَبَدَ إِلَهَهُ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ
بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون: ها هي أيام الخير والبركة قد أقبلت، وأيام الفضل والأجر
قد استهلّت، في هذه الأيام المباركة الفاضلة، نستقبل أيامَ شهر الخير والبركة، شهر
رجب الأصب، الذي يصب الله فيه الرحمة على عباده صباً، ها هو الشهر الأصم
قد أقبل، الشهر الذي لا يقاربه ولا يدانيه في الفضل شهر من الأشهر غير رمضان،
شهر رجب الذي هو الشهر المنفرد من أشهر الحرم الأربعة التي عظمها الإسلام
تعظيماً كبيراً، كما قال الله تعالى {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي
كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا
تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ}، فثلاثة منها متتابعة وهي شعر القعدة والحجة ومحرم، وشهر
منفرد وهو شهر رجب، وقد كانت الجاهلية تعظمها، وتستعظم انتهاك الحرمة فيها
بقتل أو غدر أو نحو ذلك، فلما شق ذلك عليها كانوا إذا دخل شهر من الأشهر
الحرم وهم في قتال انتهكوا فيه أياماً ثم جعلوا بدلاً عنها أياماً أخرى من شهر آخر

ويزيدون عليها ضعفاً، كما قال تعالى {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}، فلما جاء الإسلام زاد هذه الأشهر تعظيماً وتشريفاً، وعاب الله تعالى على المشركين انتهاكهم لحرمة الأشهر الحرم.

أيها المؤمنون: شهر رجب هو شهر الخير والبركة، وهو العلامة على شهر رمضان، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستبشر بقدمه لفضله، ولأنه يبشر بقرب قدوم رمضان، كما روي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا دخل رجب قال: ((اللهم بارك لنا في رجب وشعبان، وبلغنا رمضان)).

وقد وردت روايات كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تبين فضل شهر رجب، وأنه من أوقات العبادة، وأن أيامه من أيام طلب الفضل والزيادة: فعن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((رجب شهر عظيم، تضاعف فيه الحسنات، ما لا تضاعف في غيره)).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ألا إن رجب شهر الله الأصم، وإنما سمي الأصم لانفراده من الأشهر الحرم، وشعبان شهري، ورمضان شهر أممي، ألا من صام في رجب يوماً إيماناً واحتساباً استوجب رضوان الله الأكبر)).

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((رجب من أشهر الحرم، وأيامه مكتوبة على أبواب السماء السادسة، فإذا صام الرجل منه يوماً وجَّودَ صَوْمَهُ بتقوى الله، نطقَ البابُ ونطقَ اليومُ فقالا: يا رب اغفر له، وإن لم يتم صومه بتقوى الله ولم يستغفر قالوا: خُدعتَ من نفسك)).

وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنَّ رجب شهر الله ويدعا الأصمَّ، وكان أهل الجاهلية إذا دخل رجب يعطلون أسلحتهم يضعونها، فكان النَّاسُ يأمنون وتآمن السَّبيل، ولا يخاف بعضهم من بعض حتَّى ينقضِي)).

أيها المؤمنون: فقد يسر الله تعالى لعباده سبيل الهدى، وسهل لهم طرق الأجر والثواب، فما على المسلم إلا أن يسلك واضححات المسالك، لينجو يوم الفرع الأكبر من الردى والمهالك، وينظمه الله في سلك أوليائه الأبرار المستوجبين بفضل الله رحمته، ومن تلك السبل شهر رجب، الذي فضَّله الله بما جعل فيه من الخير لمن حرص عليه، فهو بستان من بساتين العبادة، وشجرة تحمل أنواع الثمار اليانعة، يقتطف الصالحون والأولياء منها أنواع الثمار، ويتنقلون تحت ظلال أشجار ذلك البستان، فالعبادات فيه تتنوع، والطاعات فيه تتعدد، وكلُّ طاعة وعبادة فيه أجرها مضاعف، وثوابها مبارك، وقد وردت في رجب أنواع من العبادات، نذكر بعضها:

الأول: مندوبية الصيام فيه: فقد حرص أعداء أهل البيت عليهم السلام من النواصب أن يهونوا ويوهنوا ما روي في فضل شهر رجب من العبادات والطاعات، مع أنها قد وردت روايات وأحاديث كثيرة صحيحة في الترغيب في صيامه كلُّه لمن استطاع ذلك، أو صيام بعضه:

وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهتم بصيام شهر رجب فعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصوم حتَّى نقول: لا يفطر، ويفطر حتَّى نقول: لا يصوم.

ومن الروايات الدالة على فضل صيامه: ما روي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من صام يوماً من رجب وقام ليلة من لياليه، بعثه الله آمناً يوم القيامة، ومّر على الصراط وهو يهلل ويكبر، ومن صام أكثر من ذلك وقام، أمر الله تبارك وتعالى المنادي يوم القيامة فينادي: ألا إنَّ فلان بن فلان

سعد سعادة لا يشقى بعدها، ومن صام أكثر الشهر أعطاه الله تبارك وتعالى في الجنان مُدناً وقصوراً لا يقدر وصفه الواصفون)).

وعن عبد العزيز بن سعيد، عن أبيه - وكانت له صحبة - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((رجب شهر عظيم يضاعف فيه الحسنات، فمن صام يوماً من رجب فكأنما صام سنةً، ومن صام منه سبعة أيام غلقت عنه سبعة أبواب جهنم، ومن صام منه ثمانية أيام فتحت له ثمانية أبواب من الجنة، ومن صام منه عشرة أيام لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، ومن صام منه خمسة عشر يوماً نادى منادٍ من السماء: قد عُفِرَ لك ما مضى فاستأنف العمل، ومن زاد زاده الله، وفي رجب حمل الله - تعالى ذكره - نوحاً في السفينة، فصام رجب وأمر من معه أن يصوموا، فجرت بهم السفينة ستة أشهر، آخر ذلك يوم عاشوراء هبط على الجودي، فصام نوح ومن معه والوحش: شكراً لله تعالى ذكره.

وعن أنس بن مالك قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ((من صام يوماً من رجب إيماناً واحتساباً جعل الله تبارك وتعالى بينه وبين النار سبعين خندقاً عرض كل خندق ما بين السماء إلى الأرض)).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((إن في الجنة نهراً يقال له رجب أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر))، فهذه الرويات تدل على فضل صيامه، وما أعدّه الله من الأجر والثواب للصائمين فيه.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
كُفُوًا أَحَدٌ}، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة
إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لا غاية له ولا انتهاء. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، والقائم بلا عناء، والدائم بلا فناء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين والأنبياء، صلوات الله عليه وعلى آله الأصفياء الأتقياء.

أما بعد أيها المؤمنون:

الثاني: مما يندب ويستحب قيام أول ليلة من شهر رجب وصيام يومها الذي هو أول يوم من رجب: فعن عطاء الخراساني، قال: خمس ليالٍ من قامهن: أول ليلة من رجب يقومها ويصبح صائماً، وليلة النصف من شعبان يقومها ويصبح صائماً، وليلة الفطر يقومها ويصبح مفطراً، وليلة الأضحى يقومها ويصبح مفطراً، وليلة عاشوراء يقومها ويصبح صائماً كتب الله له أجر شهيد في حياته وبعد مماته.

وعن الحسن قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((أربع ليالٍ يفرغ الله تعالى الرحمة على عباده إفراغاً: أول ليلة من شهر رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، والأضحى)).

الثالث: من المندوبات في هذا الشهر الصدقة والذكر فيه تقوم مقام الصيام لمن لم

يصم

فقد روى الإمام المرشد بالله عليه السلام حديثاً طويلاً في فضل صيام كل يوم منه، وفي آخره: فقيل يا رسول الله فمن عجز عن صيام رجب لضعف أو علة في الرجال أو كانت امرأة غير طاهرة لينال ما وصفت؟

قال: ((يتصدق هذه الصدقة كل يوم رغيف على المساكين، والذي نفسي بيده إنَّه إذا تصدق بهذه الصدقة كل يوم ينال ما وصفت وأكثر، إنَّه لو اجتمع جميع الخلائق كلهم من أهل السماوات والأرض على أن يقدرُوا قدر ثوابه ما بلغوا ما نصب في الجنان من الفضائل والدرجات.

قيل يا رسول الله: ومن لم يقدر على هذه الصدقة يصنع ما ذا لينال ما وصفته؟ قال: يسبح الله في كل يوم في شهر رجب إلى تمام ثلاثين يوماً هذا التسبيح مائة مرة: ((سبحان الإله الجليل، سبحان من لا ينبغي التسبيح الإله، سبحان الأعز الأكرم، سبحان من لبس العز وهو له أهل))، وهذا هو تسبيح رجب المشهور.

ومما يستحب من الصيام فيه: صيام يوم السابع والعشرين

فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب الله صيام ستين شهراً))، وهو يوم هبط جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة، أول يوم هبط إليه.

أيها المؤمنون: قد اعتاد الصالحون والعباد زيادة العناية بالعبادة في شهر رجب، فكانوا يصومونه ويصومون معه شهر شعبان، وتأخذ بعض عبادة الصالحين فيه، فلقد كان عابد اليمن إبراهيم بن أحمد الكينعي رحمة الله عليه يوظف لنفسه أوراذاً وعبادات في شهر رجب وشعبان، قال السيد العلامة يحيى بن المهدي بن القاسم الحسيني في كتاب صلة الإخوان في حلية عابد الزمان حاكياً عبادة الكينعي:

وأما شهر الله المحرم، ورجب، وشعبان، وشهر رمضان الكريم فيلزم الخلوة في هذه الأربعة الحرم، ويوظف فيها وظائف:

منها: لا يتكلم فيها أبداً فيما عرفت وعلمت، فإن كُتِبَ إليه في حاجة مهمّة دينية جوّب في ظهر ورقة، أو في عصا أو في لوح لفظات يسيرة جواباً.

ومنها: لا يدخل إليه من بني آدم أحد والذي يأتيه بالوضوء والطعام يتركه على باب منزل خلوته المباركة، أو يهيء في مكان للتجمير والتدفية، فينزل له في أي وقت أحب. ومنها: أنه لا يفرط في ساعات الليل والنهار، بل اللحظة فيما أحسب، ويقطع علائق الكتب لا تقف عنده في هذه الخلوات، فيقرأ في كل شهر ستين ختمة، يقرأ في كل يوم ختمتين، وفي شهر رمضان -عمت بركته- تسعين ختمة، في النهار ختمتين، وفي الليل ختمة قياماً وتلاوة، ويضاعف الصلوات والأذكار التي في سائر السنة، فإذا خرج من هذه العكفة المباركة شاهدت نوراً يلمع على وجهه، ولو كشط لحمه لما ملأ الكفين، والله أعلم، ويكاد يُدْرِكُ بياضُ العظم من رقة جلده.

إلى قوله: رَوَى لي بعض إخوان سيدي إبراهيم الكينعي رضي الله عنهما أنه شاهد إبراهيم صلى الشعبانية مائة ركعة بين العشاءين، وكانت الصلاة والتلاوة عليه سهلة يسيرة، وكان ذلك دأبه يصلّيها بين العشاءين في كل ليلة من الثلاثة الأشهر [شهر رجب، وشعبان، ورمضان]، حكى لي هذا أخوه حسن بن موسى.

قلت له يوماً: أتى يتهياً لك هذا الختم؟ وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ((من قرأه دون ثلاثة أيام لم يفقه)) فجوّب عليّ بجوابين: أحدهما: أن الله سهّل عليّ ذلك، وأجد خفة في لساني في الصلاة والتلاوة ولا أجدها في سائر الكلام.

والثاني: أني لو أتدبر كتاب ربي لما استطعت أن أمر بآية وعيد. فعلينا أن نغتتم هذه الفرصة، بما نقدر عليه من أعمال الخير، وأن نقدم التوبة والرجوع والإنابة إلى الله تعالى.

٢١ - أول جمعة من رجب إسلام أهل اليمن**الخطبة الأولى**

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَأَكْرَمَنَا بِالْإِيمَانِ، وَبَصَّرَنَا فِي الدِّينِ، وَشَرَّفَنَا بِالْيَقِينِ، وَعَرَّفَنَا الْحَقَّ الَّذِي عَنْهُ يُؤْفَكُونَ، وَالتَّبَأَ الْعَظِيمَ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُحْتَلِفُونَ، الَّذِي لَهُ فِي كُلِّ صِنْفٍ مِنْ غَرَائِبِ فِطْرَتِهِ، وَعَجَائِبِ صَنَعَتِهِ، آيَةٌ بَيِّنَةٌ تُوجِبُ لَهُ الرُّبُوبِيَّةَ، وَ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنْ عَوَامِضِ تَقْدِيرِهِ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ وَشَاهِدٌ عَدْلٌ يَقْضِيَانِ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً مُقرِّ له بالعبودية خاشعاً، معترِفٍ له بالوحدانية طائعاً، مستجيبٍ لدعوته خاضعاً، متضرعٍ لمشيئته متواضعاً. وأشهدُ أنَّ محمداً عبده الكريم، ورسوله الطاهر المعصوم، بعثه والناس في غمرة الضلالة ساهون، وفي غرة الجهالة لاهون، فقام بتبليغ الرسالة أتم قيام، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله البررة الكرام.

أما بعد أيها المؤمنون:

تمر أيام شهر رجب الخير، وتكرنا أيامه بمناسباته وأحداثه، فقد وقعت في شهر رجب مناسبات عظيمة، وأحداث كبيرة كريمة، فمن تلك الأحداث والمناسبات الهامة، التي تعتبر من ذكريات الفرح والسرور، والغبطة والحبور، ما حصل في أول جمعة من شهر رجب من المنقبة السامية، والمفخرة الجليلة العالية، التي لا توازيها مزية، وتضاهيها فضيلة.

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أرسل إلى اليمن جماعة من الصحابة فيهم خالد بن الوليد يدعونهم إلى الإسلام فمكثوا ستة أشهر لم يجبهم أحدٌ من الناس، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسل إليهم

بالرجوع والعودة، وأرسل أمير المؤمنين علياً عليه السلام إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام والإيمان، وذلك في السنة الثامنة للهجرة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا رسول الله، تبعثني إلى قوم أسن مني، وأنا غلام حدث السن لا علم لي بالقضاء، فوضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره ثم قال ((اللهم ثبت لسانه، واهد قلبه)) ثم قال ((يا علي: إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر)) قال علي عليه السلام ((فوالله ما شككت في قضاء بين اثنين))، فلما وصل أمير المؤمنين عليه السلام اجتمعوا إليه، وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وذلك في أول جمعة من شهر رجب، فكتب أمير المؤمنين بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما قرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكتاب خَرَّ ساجداً شُكراً لله على إسلامهم، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ قَالَ: ((السَّلامُ عَلَى هَمْدَانَ -ثَلَاثَ مَرَّاتٍ-))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((نعم الحي همدان ما أسرعها إلى النصر، وأصبرها على الجهد، وفيهم أبدال، وفيهم أوتاد الإسلام))، ولا خلاف بين المؤرخين وأهل السير أنَّ همدانَ أَوَّلَ شَعْبٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ اعْتَنَقَ الْإِسْلَامَ، بدون قتل ولا قتال، ثم إن قبائل اليمن تتابعت في الدخول في الإسلام بعد همدان، ببركة أمير المؤمنين علي عليه السلام، فأقام أمير المؤمنين عليه السلام فيهم يعلمهم الإسلام، ويقضي بينهم بالحق، ودخل صنعاء وأقام بها أربعين يوماً، واختط مسجد صنعاء المعروف بالجامع الكبير، ودخل عليه السلام إلى بلاد حجة ووصل إلى عدن وخطب على منبرها.

ولما استقر صلوات الله عليه باليمن، نظر في الأمر الذي ندبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إليه، وهو الحكم بين الناس، والقضاء بينهم، فقام به أتم القيام، وحكم بما ألهمه الله من الأحكام، وقد حصلت له مسائلٌ عويصةٌ، وحكَّم في

قضايا مستعصية، أقره عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأجاز حُكمه فيها، ومدحه وأثنى عليه عليها، بما وفقه الله من حسن النظر، فمنها:

قضية الزُبَيْة -وهي الحفرة الكبيرة- التي وقع فيها أسد، فأصبح الناس ينظرون اليه ويتزاحمون ويتدافعون حول الزبية، فسقط رجل في الزبية وتعلق بالذي يليه، وتعلق الآخر بآخر، حتى وقع فيها أربعة، فجرحهم الأسد، وتناول رجل الأسد بجرية فقتله، فأخرج القوم موتى، فانطلقت القبائل الى قبيلة الرجل الأول الذي سقط وتعلق فوقه ثلاثة.

فقالوا لهم: ادوا دية الثلاثة الذين أهلكهم صاحبكم، فلولا هو ما سقطوا في الزبية. فقال أهل الأول: إنما تعلق صاحبنا بواحد فنحن نؤدي ديته، واختلفوا حتى أرادوا القتال، فصرخ رجل منهم إلى أمير المؤمنين وهو منهم غير بعيد، فاتأهم ولا مهم، وأظهر الغضب عليهم، وقال لهم: لا تقتلوا أنفسكم ورسول الله حي، وأنا بين أظهركم، فإنكم تقتلون أكثر ممن تختلفون فيه، فلما سمعوا ذلك منه استقاموا، فقال: إني قاض فيكم قضاء فإن رضيتموه فهو نافذ، وإلا فهو حاجز بينكم من جاوزه فلاحق له حتى تلقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكون هو أحق بالقضاء مني.

فاصطلحوا على ذلك، فأمرهم أن يجمعوا ديةً تامةً من القبائل الذين شهدوا الزُبَيْة ونصفَ دية، وثلث دية، وربع دية، فأعطى أهل الأول ربع الدية من أجل أنه هلك فوقه ثلاثة، وأعطى الذي يليه ثلث الدية، من أجل أنه هلك فوقه اثنان، وأعطى الثالث النصف من أجل أنه هلك فوقه واحد، وأعطى الرابع الدية تامة، لأنه لم يهلك فوقه أحد، فمنهم من رضي، ومنهم من كره.

فقال لهم علي عليه السلام: تمسكوا بقضائي إلى أن تأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكون هو القاضي فيما بينكم.

فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالموقف بعرفة، فثاروا إليه فحدثوه حديثهم، فاحتجى ببرد عليه، ثم قال: أنا اقضي بينكم إن شاء الله.

فناداه رجل من القوم: إن علي بن أبي طالب قد قضى بيننا.
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما هو؟ فأخبروه.
فقال: هو كما قضى، فرضوا بذلك.

ومن تلك القضايا والأحكام التي حصلت لأمير المؤمنين عليه السلام وهو في اليمن، ما روي أن فرساً لرجلٍ انفلتت من داره، فرمى الفرسُ رجلاً فقتله، فأخذه أولياؤه ورفعوه إلى علي عليه السلام، فأقام صاحب الفرس البيعة: أن الفرس انفلت من داره فرمى الرجلَ برجله، فأبطل علي عليه السلام دمَ الرجل، فجاء أولياء المقتول من اليمن إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشكون علياً عليه السلام فيما حكم عليهم، فقالوا: إِنَّ عَلِيًّا ظَلَمَنَا، وَأَبْطَلَ دَمَ صَاحِبِنَا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((إِنَّ عَلِيًّا لَيْسَ بِظَلَامٍ، وَلَمْ يَخْلُقْ عَلِيٌّ لِلظلم، وَإِنَّ الْوَلَايَةَ مِنْ بَعْدِي لِعَلِيٍّ، وَالْحُكْمَ حُكْمُهُ، وَالْقَوْلَ قَوْلُهُ، لَا يَرُدُّ حُكْمَهُ وَقَوْلَهُ إِلَّا كَافِرٌ، وَلَا يَرْضَى بِحُكْمِهِ وَوَلَايَتِهِ إِلَّا مُؤْمِنٌ)).

فلما سمعوا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: رضينا بقول علي وحكمه.
وبقي أمير المؤمنين عليه السلام في اليمن إلى أن جاءه الأمر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرجوع، فعاد صلوات الله عليه.

وليس هذا هو الإرسال الوحيد لأمير المؤمنين عليه السلام إلى اليمن، بل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسله أيضاً في السنة العاشرة للهجرة في شهر رمضان، إلى قبائل مذحج، وعقد له لواء، وأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمامته فلفها مثنياً مربعة فجعلها في رأس الرمح، ثم دفعها إليه، وعممه بيده المباركة، وقال له: امض ولا تلتفت، فقال علي عليه السلام: ما أصنع؟!!

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، وادعهم إلى قول لا إله إلا الله، فإن قالوا: نعم، فأمرهم بالصلاة، فإن أجابوا، فلا

تبغ منهم غير ذلك، والله لئن يهدي الله على يدك رجلاً واحداً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى مذحج في ثلاثمائة فارس، فلما انتهى إليهم، دعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا أصحابه عليه السلام بالنبل والحجارة، فصف عليه السلام أصحابه، وحمل عليهم فقاتلهم قتالاً شديداً، حتى قتل منهم عشرين رجلاً، وانهمزوا وتفرقوا، فكف عليه السلام عن طلبهم، ثم دعاهم بعدها إلى الإسلام مرة أخرى، فأسرع جماعة من رؤسائهم إلى إجابته ومتابعته، وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله تعالى، فجمع عليه السلام الغنائم، وجزأها على خمسة أجزاء، ثم أخرج الخمس، وقسم بقية الغنائم بين أصحابه، ثم كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمه بذلك، فكتب إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يوافيه الموسم للحج، فرجع أمير المؤمنين عليه السلام حتى وافى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة، وأحرم بما أحرم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى نجران من أرض اليمن ليأخذ الصدقات من المسلمين، ويأخذ الجزية من أهل الذمة من النصارى. وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} {١} {اللَّهُ الصَّمَدُ} {٢} {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} {٣} {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} {٤} أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الرِّحْمَةِ الواسِعَةِ، وَالنَّعَمِ السَّابِغَةِ، وَالْحُجَّةِ البَالِغَةِ، وَالْأَمْثَالِ العُلْيَا،
وَالْأَسْمَاءِ الحُسْنَى، له الحمد الدائم، والشكر اللازم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى
الله وسلم عليه وعلى آله.

أما بعد: أيها المؤمنون:

لما أسلم أهل اليمن على يد أمير المؤمنين علي عليه السلام، وكانت له المنة في
رقابهم بذلك، تأصل حُبُّه عندهم، وتعمق التشيع في وجدانهم، حتى نشأ وترعرع عليه
صغيرهم، وشب عليه غلامهم، وشاب عليهم شبابهم، ومات على ذلك كبارهم.
فلم يزلوا يتوارثون حب أمير المؤمنين عليه السلام، خلفاً عن سلف، وصاغراً عن
كابر، وقد بقي ذلك حتى تجسد في محبتهم ونصرتهم لأهل البيت عليهم السلام.
وكانت تلك الشجرة التي غرسها أمير المؤمنين عليه السلام مباركة الثمار، حلوة
المتنى، فقد صارت اليمن بعد ذلك مشتهرة بالتشيع، حتى كادت أرضها وأحجارها
أن تتشيع كما قال الشاعر:

من أين يأتيك العداؤ وأنت في بلد تكاد صخورها تشيع

ولهذا فقد حرص أعداء أمير المؤمنين علي عليه السلام على إزالة التشيع من اليمن
وأهله، وحاولوا جاهدين على محوه فما استطاعوا وبأؤوا بالفشل، فها هو معاوية
لعنة الله عليه يرسل بُسر بن أرطاة في جيش جرار عدده عشرون ألفاً لغرض الفتك
والقتل والإستئصال لشيعه أمير المؤمنين ومحبيه، وقتل منهم من قتل، من كبارهم
ومشائخهم ورجالهم وحتى من أطفالهم، ولكن لم يستطع أن يطمس ولا أن يهدم ما
قد أسسه أمير المؤمنين عليه السلام.

واليمن إنما حصلت على ما حصلت عليه من الفضائل لما قد سبق في علم الله تعالى من أنها ستكون مقراً لأهل البيت عليهم السلام، وأنها الأرض الخصبة التي ينتشر عليه مذهب الحق، ومنهج الصدق، وأن رجالها وأبنائها سيكونون أنصاراً للدين، وأنصاراً للأئمة الطاهرين من أهل البيت الأكرمين.

وقد بارك الله تعالى في الذرية النبوية التي سكنت اليمن حتى تفرقوا في المناطق اليمنية، وحلت بحلوهم البركات والخيرات، فقد انتشر أئمة أهل البيت عليهم السلام في ربوع بلاد اليمن، وطهروها من كل مبتدع وضال، وحموها من كل الغزاة والطامعين. الفضائل والمناقب التي وردت لأهل اليمن تدل دلالة واضحة على مكائبتهم في الإسلام، ولقد وردت المدائح النبوية في الثناء عليهم، فهم أهل السابقة والفضيلة، ولهم المناقب السامية التي ليست لغيرهم.

كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((إذا هاجت الفتن فعليكم باليمن)) قالوا يا رسول الله: فإذا كانت باليمن، قال ((سيطفئها الله)).

والمراد بالفتن هنا، هي فتنة الدين، والمعنى إذا التبس الحابل بالنابل، واختلط الحق بالباطل، ولم يدر المرء إلى أي مذهب يميل، ولا إلى أي فرقة يتجه، فإن الحق موجود في اليمن، وطريق النجاة من المحن والضلال باتباع من جعلهم الله تعالى الأمان من الضلال، وهم أهل البيت عليهم السلام، الذين هم طائفة الحق، ومذهبهم مذهب الصدق، وهم الفرقة الناجية، وهي تتمثل في أئمة الهدى عليهم السلام ومن سلك طريقتهم، وتتمثل في هذا الزمان في العلماء العاملين المخلصين ومن انتهج نهجهم، وسار على خطاهم، وأما الفتن التي بمعنى المحن فهي حاصلة في كل البلدان، ولكن طريق الخلاص منها في اليمن سهل بسبب وجود من جعلهم الله تعالى، سبباً للخلاص منها، واتباعهم نجاة منها، فمن أراد الخلاص فليتمسك بهم، ومن أراد التورط في حبال الضلال فليتمسك بغيرهم.

ومما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم ((الرَّوْحُ والْفَرْجُ من هاهنا)) وأشار بيده إلى اليمن، والمراد روح الحق، وطمأنينة الهدى، والفرج يكون من جهة اليمن. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((اللهم بارك في يمننا وشامنا)) ثلاث مرات، قالوا: وفي نجدنا يا رسول الله، قال: منه يطلع قرن الشيطان، وفي رواية أنه أشار بيده إلى نجد: وقال هاهنا الفتنة، ثلاث مرات.

فاليمن أرض الحكمة والإيمان، لأنه حلها وسكنها أهل الإيمان والحكمة، وهم أهل البيت النبوي الطاهر، لأن المراد بالحكمة هي العلم، وهم أهل العلم والعمل، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((اللهم اجعل العلم والحكمة في عقبي وعقب عقبي، وزرع زرعى))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((الإيمان يمان، والحكمة يمانية، وأنا يماني)) فهذا يدل على ما ذكرنا من أن المراد بذلك أهل البيت عليهم السلام، ولأهل اليمن مزية نصرتهم، ومحبتهم وتوليهم. جعلنا الله وإياكم من السالكين سبيل الهدى، المتجنبين طريق الضلالة والردى، ووقفنا لصالح الطاعة والعمل، وعصمنا من الزيغ والزلل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

٢٢- مولد أمير المؤمنين (ع) ودعاء الإستفتاح**الخطبة الأولى**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق أمشاج النَّسَم، ومولج الأنوارِ في الظُّلم، ومخرج الموجودِ من العدم،
والجوادِ على الخلق بسوايغ النَّعم، والعوادِ عليهم بالفضل والكرم، أحمدده على جزيل
إحسانه، وأعوذ به من حلول خذلانه، وأستهديه بنور برهانه، وأؤمن به حق إيمانه.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي أقرّ له بالعبودية كلُّ شيء
خاشعاً، معترفاً له بالوحدانية طائعاً، مستجيباً لدعوته خاضعاً، متضرعاً لمشيئته
متواضعاً، له الملك الذي لا نفاذ له ولا انقضاء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه والناس في غمرة الضلالة، وفي غرة الجهالة،
لا يقولون صدقاً، ولا يستعملون حقاً، فقام بعزم ثاقب، وحكم واجب، حتى أعز
الله جنده، وعُجِدَ وحدَه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله صلاة جليلة جزيلة، لا
انقطاع لمزيدها، تنتهي إلى مقر أرواحهم، ومقام فلاحهم.

أما بعد: أيها المسلمون:

تمر علينا في هذا الشهر الكريم مناسبات، وتأتينا في أثناءه أحداث وذكريات، فمن
الأحداث الهامة، والمناسبات الغالية التي يتناسق وقتها مع هذه الأيام، مناسبة ذكرى
مولد أمير المؤمنين وسيد الوصيين، علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد ولد عليه
السلام يوم الجمعة في الثالث عشر من شهر رجب الأصعب، سنة ثلاثين من عام
الفيل، قبل البعثة باثنتي عشرة عاماً، وقبل الهجرة بخمسة وعشرين عاماً، ولم تكن
ولادة أمير المؤمنين علي عليه السلام أمراً عادياً، كولادة غيره من الأطفال، بل إن
ولادته عليه السلام ذات مميزات عالية، وخصائص سامية، لم يشاركه فيها أحد قبله
ولا بعده، فقد أكرمه الله تعالى حال حملة وولادته بكرامات بينة، ودلائل على

الفضل واضحة، فلقد كان وهو في بطن أمه إذا أرادت السجود للأصنام، والإنحاء للأوثان يعترض في بطنها، ويرتكز في رحمها، ليمنعها من السجود لغير الله، أو الإنحاء لغير الله تعالى، إئذاناً من الله تعالى وإعلاماً، بأن هذا الحمل الطاهر، لا ينبغي أن يطأ رأسه لغير الله، ولا أن ينحني صلبه خضوعاً إلا لله، فلم تكن والدته فاطمة بنت أسد الهاشمية تستطيع أن تسجد للأصنام منذ أن حملت به، وكان حملاً مباركاً، لم تتعب أمه في حمله كتعبها فيمن قد حملت به قبّله.

ولما أن أراد الله تعالى خروج ذلك الحمل المبارك إلى الدنيا، كانت أمه تطوف بالبيت، فضربها الطلق، وجاءها المخاض، فلم تتمكن من الخروج من المسجد لشدة الألم، وصارت في حيرة وريبة من أمرها، فهي لا تريد أن يشعر بها أحد، ولا أن يعلم بها أحد ممن كان يطوف بالبيت، حشمةً وحياءً، فأخذت تدعو الله تعالى أن ييسر عليها ولادتها بحق البيت، ومن بناه، فلمّا زادت كُرْبَتُهَا، واشتدت مِحْنَتُهَا، أرادت الدخول تحت أستار الكعبة لتستتر بها حال وضعها، فاستجاب الله دعاءها، وهياً لها دخول الكعبة.

وروي أن العباس بن عبد المطلب ذهب لإحضار النسوة ليساعدن فاطمة بنت أسد على وضعها، فأردوا فتح باب الكعبة فلم يتهياً لهم ذلك، فهناك أمر عظيم يحصل داخل الكعبة، فقد يسر الله تعالى أمرها، فوضعت حملها في جوف الكعبة، إكراماً من الله لأمر المؤمنين علي السلام، أن لا يسقط إلا في أشرف البقاع وأطهرها، وأكرمها وأفضلها، تطهيراً من الله تعالى له، وإكراماً لوجهه، فكان عليه السلام المولود الأول والأخير في جوف الكعبة صلوات الله عليه، فلم يولد أحد قبله ولا بعده فيها.

وقد روي عن موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر الصادق، عن محمد بن علي الباقر، عن أبيه علي بن الحسين زين العابدين عليهم السلام قال: كنت جالساً مع أبي - ونحن زائرون قبر جدنا وهناك نسوان كثيرة - إذ أقبلت امرأة منهت فقلت لها:

من أنت يرحمك الله؟ قالت: أنا زيدة بنت قريبة بنت العجلان من بني ساعدة، فقلت لها: فهل عندك شيء تحدّثينا؟ فقالت: إي والله، حدثني أمي أم عمارة بنت عبادة ابن نضلة بن مالك بن العجلان الساعدي، أنها كانت ذات يوم في نساء من العرب، إذ أقبل أبو طالب كئيباً حزيناً، فقلت له: ما شأنك يا أبا طالب؟ قال: إن فاطمة بنت أسد في شدّة المخاض، ثمّ وضع يديه على وجهه، فبينما هو كذلك إذ أقبل محمّد صلّى الله عليه وآله فقال له: ما شأنك يا عمّ؟ فقال: إن فاطمة بنت أسد تشتكي المخاض، فأخذ بيده وجاء وهي معه، فجاء بها إلى الكعبة فأجلسها في الكعبة ثمّ قال: إجلسي على اسم الله، قال: فطلقت طلقه، فولدت غلاماً مسروراً نظيفاً منظفاً لم أر كحسن وجهه، فسّمّاه أبو طالب عليّاً، وحمله النبي حتى أدّاه إلى منزلها. قال علي بن الحسين: فو الله ما سمعت بشيء قط إلا وهذا أحسن منه.

جعل الله بيته لعلّي
لم يشاركه في الولادة فيه
علم الله شوقه لعلّي
إذ تمنيت لقاءه وتمنّي
مولداً ياله عللاً لا يضاها
أحد سابقاً ولا أخراها
علمه بالذي به من هواها
فأره حبيبه وأراها
وروي أن أمه فاطمة بنت أسد رضي الله عنها أرادت أن تسميه أسداً باسم أبيها،
كما قال علي عليه السلام: أنا الذي سمّني أمي حيدرة - وحيدرة من أسماء الأسد.
ولكنها سمعت نداء في جوف الكعبة يقول لها سميه عليّاً، فسّمته بذلك، ووافق
على تلك التسمية والدّه أبو طالب.

فأمير المؤمنين عليه السلام، ولد طاهراً من نسل طاهر، وضع في أشرف
البقاع وأفضلها فهذا في نهاية الفضل، ولا شركة لأحد فيه
فالحرم أشرف البقاع على وجه الأرض، والمسجد الحرام أشرف بقاع الحرم،
والكعبة المشرفة أشرف بقاع المسجد الحرام، فهي أول بيت وضع للناس، طهره الله

للطائفين والعاكفين والركع السجود، وهو فخر للعرب، وقبلة للعرب والعجم، قاسه الأمين جبريل، وبناه إبراهيم الخليل، وسكنه إسماعيل عليهم جميعاً الصلاة والسلام. وقد قيل: لما خاف آدم عليه الصلاة والسلام الشيطان استعاذ بالله تعالى فبعث الله تعالى ملائكة حفوا بمكة من كل جانب فوقفوا من جوانبها، فأوقف الله تعالى الحرم من حيث كانت الملائكة وقفت.

وعن وهب بن منبه: أن آدم عليه السلام بكى واشتد حزنه فبعث الله تعالى بخيمة من خيام الجنة وضعها له بمكة في موضع الكعبة، وهي ياقوتة حمراء فالركن يومئذ نجم من نجومه، فكان ضوء ذلك النور ينتهي إلى مواضع الحرم. فلما نشأ علي عليه السلام كانت نشأته مباركة، فقد أحبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم حباً شديداً، فكان يتولى أكثر تربيته، فكان يوجره اللبن عند شربه، ويحركه في المهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره ورقبته، ويطوف به جبال مكة وشعابها وأوديتها.

فلما صار غلاماً أخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورباه في حجره، كما قال علي عليه السلام: (وضعني في حجره وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه).

وكان علي عليه السلام لا يفارق مربيه العظيم، بل كان يتبعه اتباع الظل، كما قال صلوات الله عليه: (لقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالإقتداء، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيتاً واحداً غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة).

أيها المؤمنون: لقد أجمع المؤرخون من المؤلفين والمخالفين، وتواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بمكة المشرفة

بداخل البيت الحرام، في جوف الكعبة، ولم يولد في البيت الحرام قبله أحدٌ سواه، ولا يشك في ذلك منصف، ولا ينكره متعسف، فهي فضيلة خصّه الله تعالى بها إجلالاً له وإعلاءً لمرتبته وإظهاراً لتكريمته.

ولم تكن ولادة أمير المؤمنين علي عليه السلام في جوف الكعبة أمراً أتى مصادفة، أو حصل مجازفة، بل في ذلك من الدلائل والفضائل الشيء الكثير، فولادته في جوف الكعبة إيذان وإعلام من الله تعالى بأن من طهره الله بالولادة فيها، سيكون هو من يطهرها من الأصنام، ويقتلع أوثان الشرك من على ظهرها.

وكما قيل: أحبّ علي عليه السلام أن يكافئ الكعبة حيث ولد في بطنها، بوضع الصنم عن ظهرها، كما قال القائل:

لما دعاك الله قدماً بأن تولد في البيت فليتيه
شكرته بين قريش بأن ظهرت من أصنامهم بيته
وكيف لا يكون ذلك كذلك، وهو الذي بسيفه قام عمود الدين، وهو أمير المؤمنين، ويعسوب الدين والمسلمين، ومببر الشرك والمشركين، وعزة المهاجرين، وصفوة الهاشميين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، ومولى المؤمنين، وشبيه هارون، ونفس الرسول وأخوه، وزوج البتول، وسيف الله المسلول، وأبو السبطين، وأمير البررة، وقاتل الفجرة، وقسيم الجنة والنار، وصاحب اللواء، وسيد العرب والعجم، وكاشف الكرب، والصديق الأكبر.

أكرم من ارتدى، وأشرف من احتدى، وأعلم من اهتدى، وأفضل من راح واغتدى، وأشجع من ركب ومشى، وأهدى من صام وصلى، الذي ما صبأ في الصبأ، وسيفه عن قرنه ما نبأ، ونور هديه ما حبأ، ومهتر شجاعته ما كبأ، دعاه رسول الله إلى التوحيد فلبى، وسلك المحجة البيضاء، وأقام المحجة الزهراء، قد جنيت ثمار النصر من علمه، والتقطت جواهر العلم من قلمه.

وفيه يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله تعالى آدم، سلك ذلك النور في صلبه فلم يزل الله تعالى ينقله من صلب إلى صلب، حتى أقره في صلب عبد المطلب، فقسمه قسمين: قسماً في صلب عبد الله، وقسماً في صلب أبي طالب، فعلي مني وأنا منه، لحمه لحمي، ودمه دمي، فمن أحبه فبحي أحبه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه)).

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يَخْفِرُ من انتصر بدمته، ولا يَقْهَرُ من استتر بعظمته، ولا يُكْذِبُ مَنْ أذاعَ شكر نعمته، ولا يَهْلِكُ من تغمده برحمته. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، فرداً صمداً، ليس له ند ولا شبيهه.

ونشهد أن محمداً عبده المصطفى، ورسوله المجتبي، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الهداة لدينه.

أما بعد: أيها المؤمنون: قد اعتاد الأولياء والصالحون في هذا الشهر العظيم، أن يتوسلوا إلى الله تعالى فيه بالوسائل والأدعية المباركة، وكانوا يتحنون هجوم وقته للدعاء والإلتجاء إلى الله تعالى في تفريج كرباتهم، لا سيما الثلاث الأيام البيض منه فإنها من مواطن الإجابة والدعاء، فإن فيها دعاء يسمى دعاء الإستفتاح، وهو الدعاء المشهور بدعاء أم داوود، وقد توسل به الكثير من الأئمة والصالحين في كثير من قضاياهم وكرباتهم فاستجاب الله لهم وفرج عنهم.

وهذا الدعاء يسمى دعاء أم داوود واسمها فاطمة بنت عبد الله بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، ومن قصتها ما رواه الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام أنها قالت: لما قَتَلَ أبو جعفر الدوانيقي عبدَ الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، بعد أن قتل ابنه محمداً وإبراهيم، جعلت لابني مكتلاً فغاب عني حيناً في العراق لم أسمع له خبراً، فكنت أدعو الله تبارك وتعالى وأتضرع إليه، وأسأل أهل الجدد والإجتهد والعبادة معاونتي بالدعاء.

قالت: فدخلت يوماً على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه أعوده في مرض نزل به، فسألته عن حاله ودعوت له.

فقال: يا أم داوود ما فعل داوود. وكنت أرضعته بلبن بعض نسائه؟

فقلت: وأين داوود، وقد فارقتَه منذ مدة طويلة وهو مسجون بالعراق.
قال: وأين أنت من دعاء الإستفتاح، وإنه الدعاء الذي تفتح له أبواب السماء،
ويُلقي صاحبه بالإجابة من ساعته، وليس لصاحبه عند الله إلا الإجابة والجنة.
قلت: وكيف لي بذلك.

قال: يا أم داوود، قد دنا الشهر العظيم رجب، وهو شهر مسموع فيه الدعاء،
فصومي ثلاثة أيام، ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر، ثم اغتسلي في اليوم
الثالث، وصلي صلاة الزوال ثمان ركعات، تحسني قنوتهن، ثم تصلين الظهر، وبعد
الظهر ركعتين، ثم بعد الركعتين ثمان ركعات، ثم تصلي العصر، واستقبلي القبلة:
واقْرأي الحمد مائة مرة، وقل هو الله أحد مائة مرة، واقْرأي سورة الأنعام وسورة
الكهف ويس والصفات وحم السجدة وحم عسق وحم الدخان وسورة الفتح
وتبارك الذي بيده الملك، وإذا السماء انشقت وما بعدها إلى الحمد، فإذا فرغت من
ذلك فقولي: فعلمها الدعاء بطوله.

ثم قال لها: فلو أن السموات والأرض كانتا رتقا، والبحار من دونهما، وكانت
ذلك من وراء حاجتك لسهل الله تعالى الوصول لك إلى ذلك، ولو أن الجن والإنس
أعداؤك لكفأك الله تعالى مؤنتهم، وذلك لك رقابهم، إن شاء الله تعالى.

قالت فاطمة بنت عبد الله: فكتبت الدعاء وانصرفت، ودخل شهر رجب، ففعلت
كما أمرني، ثم رقدت، فلما كان آخر الليل رأيت في نومي كأن كل من صليت عليه
من الملائكة والنبين والشهداء والصالحين، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يا
أم داوود أبشري، فكل من ترين أعوانك وإخوانك، وكلهم يستغفرون لك، ويبشرونك
بنجح حاجتك، وأبشري فإن الله عز وجل يحفظ ولدك ويرده عليك.

قالت: فانتبهت من منامي، فما لبثت إلا مسافة الطريق من العراق إلى المدينة
للراكب المجد، حتى قدم علي داوود، فسألته عن حاله، فقال:

إني كنت محبوباً في أضييق حبس، وأثقل قيد حديد، فلما كان في النصف من رجب رأيت في المنام كأن الدنيا فتقت لي، فرأيتك على حصير صلاتك، وحولك رجال رؤوسهم في السماء وأرجلهم في الأرض، عليهم ثياب خضر، يسبحون الله تعالى حولك، فقال رجل منهم حسن الوجه، نظيف الثياب، طيب الرائحة، خلته جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا ابن العجوز الصالحة، أبشر فقد استجاب الله تعالى لأملك فيك دعاءها.

فانتبهت ورسول أبي الدوانيق على الباب، فأدخلت عليه في جوف الليل، فأمر بفك الحديد عني، والإحسان إلي، وأمر لي بخمسين ألف درهم، وخرجت من يومي. فعلينا أن نستغل هذا الشهر المبارك في التضرع إلى الله تعالى وعبادته ودعائه، فمن عنده يلتمس الفرج، ومنه الروح والمخرج.

٢٣- حول حادثة الإسراء والمعراج**الخطبة الأولى**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نعم ابتدائها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولها، جَمَّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدّها، وتفاوت عن الإدراك أبدها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في التفكير معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفتها، ومن الأوهام كفيته.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، ابتعثه إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير رحمته، فرأى الأمم فرقاً في أديانها، عُكُفاً على نيرانها، عَابِدَةً لأوثانها، مُنْكَرَةً لله مع عرفانها، فأنار الله بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ظلمتها، وكشف عن القلوب بُهْمَهَا، وجلى عن الأبصار عُمَمَهَا، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: من مناسبات العظيمة في شهر رجب، حادثة الإسراء والمعراج، المعجزة الخالدة التي تحدث عنها القرآن الكريم، في سورتين من سور القرآن، ولقد اشتملت هذه الحادثة على رحلتين عظيمتين، وآيتين كبيرتين، ومعجزتين خالدين، كل واحدة مستقلة بالإعجاز، وفيها آيات ودلائل واضحة لأهل العقول.

فأما الرحلة الأولى: رحلة أرضية من مكة المكرمة من حجر إسماعيل من الكعبة المشرفة، إلى أرض فلسطين إلى بيت المقدس القبلة الأولى، وكان ذلك بعد العشاء،

وقطع النبي تلك المسافة الطويلة الهائلة ذهاباً وإياباً في بعض ليلة، وهي مسافة لا تقطع في تلك المدة والفترة إلا في شهر ذهاباً وآخر إياباً، أما في هذه الأزمنة المتطورة، والعصور المتقدمة، فلا يصل إليها المسافر على أحدث المواصلات البرية، إلا في ليال وأيام، فهذه الرحلة تحدث الله عنها في سورة الإسراء، وقد سمى الله تعالى هذه السورة باسم هذه الحادثة، فقال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ﴾.

لتكون هذه الحادثة دليلاً كبيراً وآية واضحة على الرابطة المتصلة القوية بين دين النبي الخاتم ودين من سبقه من الأنبياء السابقين، وأنه من عند الله، أرسل به أنبياءه ورسله لهداية البشر.

وأما الحادثة والرحلة الثانية: فهي رحلة سماوية علوية، من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى، واختراقاً للسموات السبع العلى، مروراً بالأنبياء وتسليماً عليهم، وتعريجاً على الملائكة ومصافحة لهم، ومشاهدة لكثير من الآيات، واطلاعاً على أشياء كثيرة من المغيبات المخفيات، حتى وصل سدرة المنتهى، وبلغ الدرجة والمكانة التي لم يصل إليها أحد قبله من الأنبياء صلوات الله عليه وآله، وهذه الرحلة تسمى المعراج، ولقد كان الإعراف برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بروحه وجسده جميعاً، وليس معراجاً روحياً كما يقول ذلك بعض الجهلة الأفدام، الذين يحاولون إنكار شيء قد تحدث عنه القرآن، فلو كان إنما عرج بروحه فحسب، لكن ذلك مثل الرؤيا فقط، ولم يكن فيه الإعجاز العظيم على الحد الذي أخبر الله به، ولم يكن فيه الإكرام والتعظيم والتشريف على المستوى الذي أراده الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه الآية العظيمة تحدث عنها القرآن في سورة النجم، في قوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ،

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، أَفْتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}، وهذا الإعراب العلوي، يبين الإتصال الوثيق والإتفاق الأكيد في الإيمان والتوحيد والإخلاص للواحد المجيد فيما بين أهل السماء وأهل الأرض، وأن دين الله واحد فيهما، وأن الأنبياء والمرسلين يتلقون أوامرهم وتكالييفهم، من حيث يتلقى الملائكة أوامرهم وتكالييفهم، ولا نريد التعرض لتفصيل حادثة الإسراء والمعراج وكيفية، وقوعها، فالكلام يطول بنا لو أردنا ذلك، ولكن نريد أن نأخذ العبر والآيات، ونستفيد الدروس الدينية والعقائدية والتشريعية في حياتنا.

فقد كان في حادثتي الإسراء والمعراج تشريعات إسلامية، تؤذن بأن لتلك التشريعات مزيد عناية إلهية، حيث كان تشريعها سماوياً علوياً، كي يهتم المسلمون بها، ويحرصون عليها، وتلك التشريعات منها ما هو ترسيخ لمبادئ وقواعد الإسلام، ومنها ما هو من تكاليف الأحكام، ومنها ما هو داع ومرغب في صالح الأعمال، ومنها ما هو زاجر وواعظ عن قبيح الأفعال.

فمن القسم الأول: الذي هو من مبادئ وأسس العقيدة الإسلامية، إعلام الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بإمامة وخلافة ووصاية أخيه علي بن أبي طالب عليه السلام، وأن ذلك من كمال الدين، وأصول عقائد المسلمين، وقد رويت في ذلك الروايات الكثيرة على ذلك:

فمنها: ما رواه الإمام الأعظم زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((قال لي ربي ليلة أسري بي: من خلفت علي أمتك يا محمد؟ قال: قلت أنت أعلم يا رب. قال: يا محمد إني انتجتك برسالتك، واصطفيتك لنفسك، فأنت نبيي، وخيرتي من خلقي، ثم الصديق

الأكبر الطاهر المطهر الذي خلقته من طينتك، وجعلته وزيرك، وأبا سبطيك السيدين الشهيدين الطاهرين المطهرين سيدي شباب أهل الجنة، وزوجته خير نساء العالمين أنت شجرة وعلي أغصانها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها، خلقتكم من طينة عليين، وخلقت شيعتكم منكم إنهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف لم يزدادوا لكم إلا حبا، قلت: يا رب ومن الصديق الأكبر؟ قال: أخوك علي بن أبي طالب))، قال علي عليه السلام: ((بشرني بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابنائي الحسن والحسين منها وذلك قبل الهجرة بثلاثة أحوال)).

وعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لما أسري بي انتهي بي إلى قصر من لؤلؤ، فراشه ذهب، يتلألأ؛ فأوحى إلي ربي وأمرني في علي بثلاث: أنه سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين)).

وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لما أسري بي إلى السماء ثم من السماء إلى سدرة المنتهى ووقفت بين يدي ربي عز وجل قال الله: يا محمد إنك قد بلوت خلقي فمن وجدته أطوعهم لك؟ قلت: رب علي، قال: صدقت يا محمد هل اتخذت لأمتك خليفة يكون فيهم من بعدك ويعلمهم من كتابي ما لا يعلمون؟ قال: قلت رب اختر لي فإن خيرتك خيرتي، قال: اخترت لك علياً فاتخذته لنفسك خليفة ووصياً، إلى قوله: وهو أمير المؤمنين لم أسمم بها من كان قبله وليست لأحد بعده، يا محمد علي راية الهدى إمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني)).

وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لما أسري بي إلى السماء قيل لي: يا محمد من خلفت في الأرض؟ قلت: سبحانك أنت إلهي أعلم بذلك مني؛ ثم قيل لي الثانية: يا محمد من خلفت في الأرض؟ قلت: سبحانك يا إلهي أنت أعلم بذلك مني، ثم قيل لي الثالثة: يا محمد من خلفت في الأرض؟

قلت: سبحانك يا إلهي خلفت فيها خير أهلها لأهلها علي بن أبي طالب؛ فقال: يا محمد أتشتهي أن ترى علي بن أبي طالب في مقامك هذا؟ قلت: نعم إلهي، قال: فالتفت عن يمينك فالتفت فإذا بعلي يستمع ويرى)).

وعن ابن عمر، قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج؟ فقال: خاطبني بلغة علي بن أبي طالب؛ فألهمني أن قلت: يا رب خاطبني أم علي؛ فقال: يا أحمد أنا شيء ليس كالأشياء، لا أقاس بالناس، ولا أوصف بالشبهات، خلقتك من نوري وخلقته علياً من نورك، فاطلعت على سرائر قلبك فلم أجد إلى قلبك أحب إليك من علي بن أبي طالب خاطبتك بلسانه كيما يطمن قلبك)).

فهذه الأخبار واضحة في إمامة علي عليه السلام، ولأمر ما بينه الله لنبيه قبل الهجرة في بدايات الدعوة، إعلاماً أن اعتقاد نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يكون اعتقاداً صحيحاً تاماً كاملاً إلا باعتقاد إمامة علي عليه السلام، ومحبة وولاية أهل البيت الطاهرين، وفي هذا كفاية لمن كان له عقل أو ألقى السمع وهو شهيد. وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي الأعلى، رب الآخرة والأولى، خالق السماوات العلى، ومبدع الأرضين السفلى، الذي أسرى بعبدته ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ورفعته تشريفاً وتعظيماً حتى بلغ سدره المنتهى، ورأى من آيات ربه الكبرى.

وأشهد أن لا إله إلا الله الفاعل لما يشاء، وأن محمداً عبده ورسوله المصطفى، صلى الله عليه وآله الأصفياء، الهادي إلى الطريقة المثلى، والداعي إلى الخليفة الحسنى.

أما بعد أيها المؤمنون: نكمل الدروس والعقائد والتشريعات في حادثة الإسراء والمعراج:

ومن ذلك أيضاً: تنبيه الله تعالى لعباده أنه لا يُرى، ولا تجوز رؤيته لا في الدنيا ولا في الآخرة، وذلك أن الله تعالى لو كان يجوز رؤيته لراه أفضل الخلق وأحبهم لديه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلما لم يحصل ذلك علمنا أن انتفاء الرؤية عن الله تعالى أمر ذاتي، وأن ذاته العلية لا تطراً عليه عوارض الأجسام والأعراض، كما روي عن أبي ذرٍّ، قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: ((نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ)).

وما روي عن عائشة أنها قالت: ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ. قال مسروق: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ.

قال مسروق: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ}، {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى}، فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيْلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مِنْهُبِطاً مِنَ السَّمَاءِ سَادّاً عِظْمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ.

فَقَالَتْ: أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}، أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (إلى آخر الخبر)).

ومن القسم الثاني: الذي هو من تكاليف الأحكام، شرعية الصلاة والأذان، لأن المسلمين قد اختلفت أقوالهم في هذا لا سيما في أمر الأذان، فمنهم من يجعله رؤيا رآها رجل من الأنصار، ومنهم من يجعله أمر استشارياً بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين أصحابه فاختار هذه الألفاظ المعروفة حين أشار عليه بها أحد الصحابة، ومنهم من يقول بأنه تشريع إلهي بتعليم سماوي، كما هو رأي أهل البيت عليهم السلام ومما يؤكد ذلك:

ما روي أنه جاء رجلٌ إلى محمد بن علي المعروف بابن الحنفية فقال له بلغنا أنَّ الأذان إنما هو رؤيا رآها رجلٌ من الأنصار، فقَصَّها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأمر بلالاً فأذَّنَ بتلك الرؤيا ! فقال له محمد بن الحنفية: إِنَّمَا يَقُولُ بِهَذَا الجاهلُ من الناسِ، إِنَّ أَمْرَ الأذانِ أعظمُ من ذلك، إِنَّهُ لما أُسْرِيَ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فأنْتَهِيَ به إلى السماء السادسة، جمع الله له ما شاء من الرُّسلِ والملائكة، فنزل ملكٌ لم ينزل قبل ذلك اليوم، عرفتِ الملائكةُ أَنَّهُ لم ينزل إلا لأمر عظيم، فكان أولُ ما تكلم به حين نزل، قال: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ. فقال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا كَذَلِكَ، أَنَا الأَكْبَرُ لِأشياءِ أَكْبَرَ مِنِّي، ثُمَّ قال: أَشْهَدُ الأِلَهِ إِلاَّ اللهُ، فقال اللهُ: أَنَا كَذَلِكَ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، ثُمَّ قال: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فقال اللهُ: نعم هو رسولي بعثته برسالتي وائتمنته على وحيي، ثُمَّ قال: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، فقال اللهُ: أَنَا افترضتها على عبادي وجعلتها لي رضا، ثُمَّ قال: حَيَّ عَلَى الفَلاحِ، فقال اللهُ: قد أَفْلَحَ من مشى إليها وواظب عليها ابتغاء وجهي، ثُمَّ قال: حَيَّ عَلَى خَيْرِ العَمَلِ. فقال اللهُ: هي أَزْكَا الأَعْمالِ عندي، وأحبها إلي، ثُمَّ قال: قد قامت

المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإبلاغ الوضوء في المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه)).

ومن القسم الرابع: وهو الزجر عن المعاصي وقبائح الأفعال، وبيان عقوبات أهلها، فهي كثيرة جداً، ونورد منها بعضاً يدل على ما سواه:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم)).

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقارض من نار كلما قرضت رجعت، فقلت لجبريل: من هؤلاء، قال هؤلاء خطباء من أمتك كانوا يأمرون الناس بالير وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون)).

وعن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((لما عرج به إلى السماء نظر في سماء الدنيا فإذا رجال بطونهم كأمثال البيوت العظام قد مالت بطونهم وهم منضدون على سائلة آل فرعون يوقفون على النار كل غداة وعشي يقولون ربنا لا تقم الساعة أبداً قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء أكلة الربا من أمتك لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس)).

وعن أبي سعيد قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله عن ليلة أسري به قال: ((نظرت فإذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الإبل، وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم، ثم يجعل في أفواههم صخراً من نار، فيقذف في في أحدهم حتى يخرج من أسافلهم، ولهم خوار وصراخ، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟، قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً)). وغير ذلك من الروايات، التي فيها المواظ بالبعثات، وفقني الله وإياكم لمرضاته، وأعاننا على طاعته، وعصمنا من معصيته.

السادس:

الخطب المتعلقة

بشهر شعبان

٢٤- في فضل شعبان والإعداد لرمضان

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي العزة القاهرة، والألاء الغامرة، والنعم الباطنة والظاهرة، المختص بصفات الكمال، ذي العظمة والجلال، والمن والإفضال، المتعالي عن الأنداد والأمثال، رافع السماء بغير عماد، ومرسي الأرض بشوامخ الأطواد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عارف معترف، لا مُنكر ولا منحرف، يَرُحُّ بِهَا مِيزَانُهَا، وَيَشْهَدُ بِهَا دِيْوَانُهَا.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأمينه وصفيه، المبعوث بجوامع الكَلِم، وبدائع الحِكَم، وأنه أدى الأمانة، ونصح الأمة، وَعَبَدَ اللهُ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: انقضى موسمٌ من مواسم فضل الله تعالى ورحمته بعباده هو شهر رجب، وها نحن نعيش وإياكم في أوائل أيام موسم جديد هو شهر شعبان، الذي هو وقت من أوقات فضل الله ومغفرته، وباب من أبواب رحمته، فهو الشهر الذي يسمى شهرُ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، كما قال صلوات الله عليه وآله ((شعبانُ شهري))، وسمي شعبان بهذا الاسم، لأنه يتشعب فيه خير كثير لرمضان، وهو شهرٌ تُؤَدِّنُ أَيَّامُهُ وَلِيَالِيَهُ، بِاسْتِقْبَالِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَبِمُرُورِ أَيَّامِهِ يَقْتَرِبُ مِنَّا شَهْرُ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ، فَكُلُّ يَوْمٍ يَمْضِي مِنْهُ يَقْرُبُنَا وَيُذْنِبُنَا مِنْ شَهْرِ التَّوْبَةِ وَالْغُفْرَانِ، فَهَامِي السَّاعَاتِ وَالْأَيَّامِ وَالْأَسَابِيعِ وَالْأَشْهُرِ وَالْأَعْوَامِ تَمُرُّ وَتَنْقُضِي، وَحَالُنَا لَمْ يَتَّغَيَّرْ، وَلَمْ نَتَقَدَّمْ إِلَى الْأَحْسَنِ، بَلْ بِمُرُورِ الْأَيَّامِ تَتَدَهْوَرُ حَالُنَا، عَلَى كَافَةِ الْمَسْتَوِيَّاتِ، فَفِي الْمَسْتَوَى الدِّينِيِّ لَا زِدَادَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بَعْدًا، وَمِنَ الدُّنْيَا إِلَّا قُرْبًا، وَلَا زِدَادَ مِنَ الطَّاعَاتِ إِلَّا نَفُورًا، وَلَا مِنَ الْعِبَادَاتِ إِلَّا فُتُورًا، وَلَا تَزْدَادُ الْقُلُوبَ إِلَّا قَسْوَةً، وَلَا الْأَلْبَابَ إِلَّا حَيْرَةً وَغَشْوَةً.

وها هو شهر رمضان على الأبواب، فقد بدت تباشيره، ولاحت في الأفق تعابيره، فلو نظرنا في أنفسنا ماذا قدمنا في العام الماضي منذُ خروج رمضان الأول إلى هذا الشهر الذي قربت أيامه، لرأينا أن أنفسنا لم نتقدم إلى الأفضل خطوةً واحدة، بل لو حاسبنا أنفسنا حساباً صحيحاً، وخطابناها خطاباً صريحاً، لوجدنا أننا رجعنا إلى الوراء خطواتٍ وخطوات، بل مراحلٍ ومسافات، فالواجبُ علينا أن نحسِّنَ علاقتنا مع الله تعالى، وأن نهيئ أنفسنا تهيؤاً كاملاً لاستقبال شهر الخير والبركات.

أيها المؤمنون: شهر شعبان هو شهر التحضير والإستعداد لشهر رمضان، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكثر الصيام في شعبان استعداداً وتهيؤاً لرمضان، بل كان ربما صام شعبان كله، ولم يكن يصوم في شهر من الأشهر مثل ما يصوم في شعبان، وكان السلف الصالح قبلنا يروضون أنفسهم في شهر شعبان على العبادات والطاعات استعداداً لرمضان، وكانوا يحرصون على أن يُفرِّغوا أنفسهم في شهر شعبان من كل عمل وشغل وجهد يسبب في انشغالهم في شهر رمضان، فكل عمل يتحسبون أنه يعيقهم عن العبادة، أو يحتاج إلى وقت منهم في رمضان يقومون به في شهر شعبان، كما روي عن أنس بن مالك قال: (كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذا استهل شعبان أكَّبوا على المصاحف، وأخذ المسلمون في زكاة أموالهم فقووا بها الضعيفَ والمسكين على صيام شهر رمضان، ودعا المسلمون مملوكيهم فَحَطُّوا عنهم ضرائب شهر رمضان، ودعت الولاةُ أهلَ السجون، فمن كان عليه حدٌّ أقاموا عليه، وإلاَّ خلوا سبيله).

أيها الأحبة المؤمنون: قد يقول القائل: ما هي الأعمال والترتيبات التي ينبغي أن نعدّها في شعبان لاستقبال شهر رمضان؟

فالجواب: هو أن المعلوم أن الواحد منا إذا علم بأن ضيفاً عزيزاً سيأتي إليه، فإنه بلا شك يهيئ الأمور الحسنة والجميلة التي تدل على فرحته ومحبته بوفود ذلك الضيف عليه، ويجهز الترتيبات التي تدل على كرم الضيافة وحسن الإستقبال، وإذا قصر

الإنسان في الإكرام وفي واجب الضيافة دلّ ذلك على لؤم الطبيعة وسوء المعاملة، فليُنظر الواحد منا ما هو الذي يليق به أن يقدمه لاستقبال ضيف كريم سينزل به، ضيف ينزل علينا ليربحنا لا ليخسرنا، لينفعنا لا ليضرنا، ليؤنسنا لا ليسوءنا.

وسندكر بعض الأمور الهامة التي ينبغي لنا أن نحصر عليها في هذه الأيام القليلة، حتى يقدم رمضان ونحن على أتم الأهبة والإستعداد:

الأول: يجب علينا أن نقدم التوبة النصوح، والرجوع الصحيح إلى الله تعالى، من جميع الذنوب والخطايا، وأن نتخلص من جميع الحقوق التي تكون بين العبد وربّه، وبين العبد وأبناء جنسه، سواء كانت نذوراً أو كفارات أو ديوناً، وأن يتخلص من ذلك على حسب الإمكان والقدرة، وإذا لم يكن قادراً في الحال فعليه أن يعزم بعزم صادق، ونية صحيحة على التخلص منها عند التمكن.

الثاني: أن ينظر المكلف سواء كان ذكراً أو أنثى إلى ما عليه من صيام من رمضان الأول، فيبادر بقضائه وصيامه، قبل تعذر ذلك عليه، أو هجوم رمضان وهو لم يصم، وعلى الرجل أن ينبه زوجته أو ابنته أو أخته أو من يهمله أمرهم على ذلك، وإلا توجه إلى سؤال أهل العلم مع عدم التمكن من ذلك.

ولا يقول الإنسان: لا زال الوقتُ متسعاً، فسأقضي قبل رمضان بأيام، فأنت لا تدري ماذا سيصير لك؟ وهل ستصح أو تمرض؟ بل إن شهر شعبان يمر مروراً سريعاً فلا ينتبه الإنسان إلا وقد انقضت أيامه، وتصرمت أوقاته، فإذا به يندم ويتحسر على تقصيره وتلاعبه وإهماله، ومع ذلك لا يسلم من الإثم والذنوب.

الثالث: ينبغي في هذه الأيام أن نحضر إلى مجالس العلم لتعلم أحكام الصيام، وكيف يكون الصيام المقبول؟، وما هي مفطرات الصوم؟، ومتى يمسك؟ ومتى يفطر؟ إلى غير ذلك من الأحكام الهامة، التي يلزم المكلف أن يعرفها، حتى لا يكون ممن قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((رُبَّ صائمٍ ليس له من صيامه إلا الجوع

والعطش، ورُبَّ قائم ليس له من قيامه إلا السهر))، وأن لا يستكبر الإنسان عن السؤال فيما لا يعلم، فإن الله تعالى يقول {فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}، فالسؤال هو الطريق إلى العلم والمعرفة.

الرابع: أن يُعَدَّ لنفسه جدولاً يوظف لنفسه فيه الأعمال والأوراد التي ينبغي أن يحرص عليها في شهر رمضان، ويجهز ما يحتاج إليه من ذلك، وأن يقسم أوقات ليله ونهاره، كي لا يفوته هذا الشهر العظيم، فيقسم أوقاته بين وقت للصلاة الواجبة والنوافل، ووقت للذكر، ووقت لقراءة القرآن، ووقت لاستماع المواعظ وحضور مجالس العلم، ووقت لقضاء حاجته وحاجة أهله.

الخامس: أن يُعَوِّدَ نفسه على الصلوات في أوقاتها في جماعة، وأن يُعَوِّدَ لسانه على ذكر الله تعالى، والقول الطيب، والكلمة الحسنة، حتى لا يدخل رمضان إلا وقد هيا نفسه في أجواء من العبادة والطاعة، وأن يتعود على كَفِّ لسانه عن الغيبة والنميمة والكذب، وأن يمنعه عن السب والشتم والكلام الفاحش الذي قد يبطل صومه، أو ينقص من ثوابه، أو يحبط أجره بالكلية.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يَخْفِرُ من انتصر بدمته، ولا يَقْهَرُ من استتر بعظمته، ولا يُكْذِبُ مَنْ أذاعَ شكر نعمته، ولا يَهْلِكُ من تغمدته برحمته.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، فرداً صمداً، ليس له ند ولا شبيه.

ونشهد أن محمداً عبده المصطفى، ورسوله المجتبي، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الهداة.

أما بعد: أيها المؤمنون: نكمل ما تبقى من الترتيبات والإستعدادات التي نقدمها قبل شهر رمضان:

السادس: يجب أن يتابع الآباءُ أبناءهم ويتعاهدوهم ويراقبوهم، فمن كان منهم قد بلغ بلوغاً شرعياً إما ببلوغ خمسة عشرة سنة، أو إنبات أو احتلام، أجبروه على الصيام سواء كان ذكراً أو أنثى، ومما يختص النساء أن المرأة قد تبلغ بالحيض في سن التاسعة أو العاشرة.

وكذلك إذا كان الصبي قد بلغ اثني عشرة سنة فما فوق وهو في بنية قوية، وصحة جيدة، ويستطيع أن يصوم فعلى وليه أن يجبره على الصيام، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إذا أطاق الغلام صيام ثلاثة أيام وجب عليه الصوم))، فإذا شق به ذلك فليصم يوماً ويفطر يوماً، ونحو ذلك.

ولا بد أن نتابع أبناءنا لا سيما في هذه الأيام، وهي فترة العطلة الصيفية، وأن ندفع بهم إلى التعلم والتفقه في دين الله تعالى، وتعلم القرآن والإيمان، ومحبة العلم وأهله، ومحبة المساجد والعبادة.

السابع: أن يعد نفسه للتفرغ من الأعمال التي تلهيه وتشغله عن العبادة، أو تضيع أكثر وقته، فالإنسان الذي يلحق شهر رمضان ببقية أشهر السنة في الإهمال والتضييع والتفريط، لا شك أنه قد بلغ في الخذلان إلى غاية كبيرة، فعلى أن نتدارك إهمالنا وتضييعنا وتقصيرنا، فإذا كان الإنسان طوال السنة يكذب ويتعب خادماً للدنيا، وحريصاً على جمعها، أفلا يكفيه الجمع والإدخار مدة سنة كاملة، ليتفرغ لعبادة ربه في شهر واحد، أليست سنة كاملة كفيلاً بأن تخدم شهراً واحداً، أم أن من تعود خدمة الدنيا لا يستطيع أن يترك خدماتها ليخدمه ربه وخالقه لشهر واحد، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وليعلم المسلم أن رمضان يعتبر كآخر محطة أو سوق يتزود منها المسافر في نهاية طريقه، أو كأول سوق أو محطة يتزود منها لسفره، فعمله في خلال طريقه لا يعثر على محطة يتزود منها، فليكثر من الزاد من خشى الإنقطاع، فأنت لا تدري متى ستموت وينقطع عملك.

الثامن: أن يحرص على اختيار المكان المناسب والجلس المناسب الذي يكون معيناً له على الطاعة والعبادة، ولا مكان أفضل من المساجد بيوت الله التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، ولا جلس أفضل من الجلساء الصالحين المؤمنين الذين إذا نسي ذكروه، وإذا غفل وعظوه، وإذا زاغ أرشدوه، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إنما مثل المجلس الصالح وجليس السوء حامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك - أي يعطيك هدية منه - وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه رائحة خبيثة))، فليترك المسلم المجالس التي كان يألفها قبل رمضان، وليألف أماكن العبادة، ومجالس الذكر، لعله أن يحظى بلطف وتوفيق وتسديد يكون معيناً له خلال السنة كلها.

وأن يبعد نفسه وأهله عن كل الملهيات عن اكتساب الخيرات، والمضيغات للأوقات، كالدشات والتلفزيونات، وغيرها من الأشياء التي تهدر وقت الإنسان، وتضيع حياته، ولا سيما في مثل شهر الخير، شهر رمضان، وليحرص على أن يتعلم ويعلم أهله وأولاده ويدفع بهم إلى حلقات الذكر، وإلى بيوت الله عز وجل، وأن يتأدب بآداب بيوت الله، وأن يعظّمها في قلبه كما ينبغي لها من التعظيم والتبجيل.

التاسع: أن يكون حريصاً على صفاء قلبه من الأمراض القلبية المحبطة للأعمال، من الحسد والحقد والغل والنفاق والكبر، وأن يزيل من قلبه تلك الأمراض الخبيثة التي تكون سبباً في إبعاده عن بيوت الله تعالى، وعن الجمع والجماعات، وليحرص على سلامة قلبه من هذه الآفات والعلل الخطيرة، التي إذا تشبثت بقلب أردت صاحبه وأهلكته.

وعلى الأقل أن نزيح أعراض الناس وأحوالهم وشؤونهم من أذيتنا، ومن أكل لحومهم بغير حق، ونشتغل بأنفسنا وعبوبها، ولو لم يكن إلا في رمضان.

٢٥ - في فضل ليلة النصف من شعبان والعبادة فيها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يَخْفِرُ من انتصر بدمته، ولا يَقْهَرُ من استتر بعظمته، ولا يُكْدي من أذاع شكر نعمته، ولا يَهْلِكُ من تغمده برحمته.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، فرداً صمداً، ليس له ند ولا شبيهه.

ونشهد أن محمداً عبده المصطفى، ورسوله المجتبي، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الهداة لدينه.

أما بعد أيها المؤمنون: لقد أكرم الله هذه الأمة بهذا الشهر العظيم شهر شعبان، واختصه بليلة عظيمة، لا توازيها ليلة في الفضل، ولا تجاري ساعاتها ساعات ليل ولا نهار في العمل والفعل، فهي من ليالي المغفرة والإحسان، ومواعيد الرحمة والرضوان، وقد وردت في فضلها الروايات الكثيرة، والأخبار الشهيرة:

فقد ورد في تفسير قوله تعالى {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}، روي أن الليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان، وأن الله تعالى يقدر فيها ما شاء من أحوال عباده في كل سنة، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل ما في ليلة النصف من شعبان؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((فيها أنه يُكتب كلُّ مولود من بني آدم في هذه السنة، وفيها يُكتب كلُّ هالك من بني آدم في هذه السنة، وفيها ترتفع أعمالهم، وفيها تنزل أرزاقهم)).

وروي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أربع لياليهن كأيامهن وأيامهن كلياليهن، يُجْزَلُ اللهُ فيها القِسَمَ، ويعطي فيها الجزيل: ليلة الجمعة

وصبيحتها، وليلة النصف من شعبان وصبيحتها، وليلة القدر وصبيحتها، وليلة عرفة وصبيحتها)، فهذا الحديث يدل على أن فضل يوم الخامس عشر كفضل ليلته، ولهذا ينبغي إحياء ليلها بالعبادة، ونهارها بالصيام.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((أتاني جبريل فقال: هذه الليلة ليلة النصف من شعبان والله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم كلب - أي بني كلب - لا ينظر الله فيها إلى مشرك، ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مسبل - أي متكبر -، ولا إلى عاق والديه، ولا إلى مدمن خمر)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((إذا كان ليلة النصف من شعبان، نادى منادٍ: هل من مستغفر فاغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟ فلا يسأل أحد شيئاً إلا أعطي، إلا زانية بفرجها، أو مشرك)).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من أحيا ليلة العيدين وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب))، وموت القلب عبارة عن غفلته، وكناية عن قسوته وحيرته في اتباع الحق واجتناب الباطل.

أيها المؤمنون: من أراد إحياء هذه الليلة على الشكل المطلوب، والعمل المحبوب، وأن ينال الأجر والثواب المأثور، فعليه أن يبدأ بإزالة ما يكون سبباً في عدم القبول، لأن الروايات الواردة في فضل هذه الليلة قد تضمنت أموراً تمنع من الإجابة والقبول، فلا بد من الحرص على القيام ببعض الأعمال المحبوبة، والبعد عن الأعمال المكروهة:

الأول: الإخلاص لله تعالى:

فهو عمود الأعمال وأساسها، وأصلها ورأسها، وهو مطلوب من العبد في كل فعل وعمل يقوم به، ليس في هذه الليلة فحسب، وإنما نص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أنه وعلى آله وسلم على المشرك، وهو المرآئي والمنافق، لأن فيها أعمالاً كثيرة من صلاة

وتلاوة وذكر ودعاء وغيرها، فإذا لم يكن المقصود بها وجه الله كانت هباء منثوراً، فلا تنظر إلى أن تمدح أو يسمع بك الناس، أو يشاهدوك، أو نحو ذلك.

الثاني: التوبة النصوح من جميع المعاصي:

فلا بد لمن يطلب فضل هذه الليلة أن يكون خالياً من الذنوب والمعاصي، لأن هذه الليلة ليلة من ليالي المغفرة والرحمة، ومغفرة الله ورحمته لا ينالها العصاة المصرون على معاصيهم، فلا يليق بمن أراد ذلك أن يكون ملطخاً بالذنوب والمعاصي، لذلك يجب عليه تقديم التوبة النصوح، والرجوع الصحيح إلى الله تعالى قبل دخول هذه الليلة المباركة.

الثالث: بر الوالدين:

بر الوالدين من أعظم القرب المقربة إلى الله تعالى، وهو أعظم من الليلة كلها، فبر الوالدين باب من أبواب الجنة، ومن كان عاقاً لوالديه فلا يرجو رحمة الله ولو قام الليل وصام النهار، فبهيات أن ينظر الله لقلب لم ينظر إلى والديه بعطف وحنان، ورأفة وإحسان، لذلك عليك أن تحرص على رضاهما، وطلب دعائهما، واحرص على وصلهما وبرهما هذا إن كانا حيين، وإن كانا ميتين أو أحدهما فحاول زيارتهما والدعاء للميت منهما وإهداء ما تيسر إلى روحه من التلاوة والإستغفار ونحو ذلك.

الرابع: صلة الأرحام:

حاول أن تراجع نفسك في أرحامك وأقاربك، وأن لا تدخل عليك هذه الليلة إلا وقد وصلت أرحامك بقدر استطاعتك ولو بالسلام أو الزيارة، فعداوتك لأرحامك من أجل الدنيا وشؤونها تؤثر على أعمالك التي تتقرب بها إلى ربك، وأما إذا كانت عداوتك لهم لأجل الدين أو لأجل تقصيرهم في حقوق الله تعالى فلا تبخل عليهم بدعوة في هذه الليلة أن يهدي الله ضالهم، ويرشد عاصيهم، وإذا كان هناك ما يحول بينك وبين الصلة والمواساة بسبب أو بآخر فحاول أن تسامح وأن تعفو عنهم واجعل ذلك قرينة إلى الله تعالى في أن يعفو عنك ويسامحك.

فأما القطيعة فإنها من موجبات السخط، وموانع القبول، عصمنا الله وإياكم من ذلك.

الخامس: المصالحة مع كل من له خصومة معه:

من أحب أن يشمل العفو الإلهي في هذه الليلة المباركة فعليه أن يقدم المصالحة مع كل مسلم بينه وبينه خصومة، فلقد علمنا فيما ورد عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الله لا ينظر إلى المشاحن))، فاتق الله في نفسك ولا تحرمها فضل هذه الليلة بسبب عداوات وإحن لا علاقة لها بالدين، ولا صلة لها به، وإنما هي ناشئة عن أمراض قلبية، أو أعراض دنيوية، أو نحو ذلك.

السادس: التواضع وترك الكبر:

فالكبر من أسباب الرد وعد القبول في هذه الليلة، لأن الله تعالى لا ينظر إلى قلب يتعالى على الناس، ويغمطهم حقوقهم، ويعرض عن الحق وقبوله تكبراً وتعصباً، وأنفة وحمية، لأن الكبر يتنافى مع الخشوع والإخبات، والتواضع يتوافق مع ذلك، فإذا كان القلب محبتاً منيباً فهو متواضع لله ولخلقه، والعكس في العكس.

السابع: الصدقة:

ينبغي أن يقدم المسلم قبل هذه الليلة ما استطاع أو تمكن منه من الصدقة، لأنها تطفئ غضب الربّ، وهي سبب من أسباب القبول، وباب من أبواب الصلح مع الله، فحاول أن تتصدق بقدر المستطاع.

الثامن: قضاء حاجة مسلم:

كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من قضى لمؤمن حاجة من حوائج الدنيا قضى الله له حوائج كثيرة، إحداهن الجنة))، وكما يقول صلى الله عليه وآله ((من مشى في حاجة أخيه وبالغ فيها، قضيت أو لم تقض، كان خيراً من صوم شهر واعتكافه)) إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة في هذا الباب، فهي من أسباب تيسير القبول وتقريبه.

التاسع: صيام أيام البيض:

وهي يوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((من صام ثلاثة أيام من الشهر أذهب الله عنه وحر الصدر)) قيل: وما وحر الصدر يا رسول الله؟ قال ((إثمته وغلته))، فإذا صام المسلم يومين قبل هذه الليلة وصام اليوم الذي بعدها كان قد حاز خيراً وفيراً، وأجرأ كثيراً، والصيام مما يعين على العبادة ويقوي عليها.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} * حم *
وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ
حَكِيمٍ * أَمْراً مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}،
أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين
والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،
صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون:

من العبادات التي وردت بالروايات الصحيحة في ليلة النصف من شعبان،
صلاة مائة ركعة، يسلم في كل ركعتين، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، وقل
هو الله أحد عشر مرات، ونذكر بعض الروايات في ذلك:

منها ما أخرجه الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني في الأمالي بسنده إلى
كميل بن زياد، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم: ((من صلى ليلة النصف من شعبان مئة ركعة بألف مرة ((قُلْ هُوَ
اللَّهُ أَحَدٌ)) لم يمت قلبه يوم تموت القلوب، ولم يمت حتى يرى مئة مَلَكٍ يؤمنونه من
عذاب الله، ثلاثون منهم يبشرونه بالجنة، وثلاثون كانوا يعصمونهم من الشيطان،
وثلاثون يستغفرون له أثناء الليل والنهار، وعشرة يكيدون من كاده)).

وروي عن بعض أهل البيت عليهم السلام: أن مما ينبغي في ليلة النصف من
شعبان أن تُقرأ بعد صلاة المغرب سورة يس ثلاث مرات: الأولى بنية طول العمر،
والثانية بنية دفع البلاء، والثالثة بنية الإستغناء عن الناس.

وقد رويت فيها صلاة أخرى، وهي لمن لم يستطع صلاة المائة لمرض أو كبر أو
عذر، فقد روي عن علي عليه السلام قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ليلة النصف من شعبان قام فصلى أربع عشرة ركعة، ثم جلس بعد الفراغ فقرأ بأمر
القرآن - وهي الفاتحة- أربع عشرة مرة، و((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)) أربعة عشر مرة، و((قُلْ

أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)) أربع عشرة مرة، و(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) أربع عشرة مرة، وآية الكرسي مرة، و(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}).
وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من صلى ليلة النصف من شعبان اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب و(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)) عشر مرات، محبت عنه سيئاته، وبورك له في عمره).

وفي فضل العبادة في هذه الليلة ما روي أن عيسى بن مريم عليه السلام مرّ على جبل فرأى فيه صخرة بيضاء، فطاف بها عيسى وتعجب منها، فأوحى الله إليه: أتريد أن أُبَيِّنَ لك أعجب مما رأيت، قال: نعم، فانفلقت الصخرة عن رجل بيده عكازة خضراء، وعنده شجرة عنب، فقال: هذا رزق كل يوم، فقال له عيسى: كم تعبد الله في هذه الحَجَر، فقال منذ أربعمئة سنة، فقال: عيسى يا رب ما أظن أنك خلقت خلقاً أفضل منه.

فأوحى الله إليه: (من صلى ليلة النصف من شعبان من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ركعتين فهو أفضل من عبادته أربعمئة عام)، فقال عيسى: ليتني من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وينبغي في هذه الليلة الإكثار من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، ومن لم يقدر على هذه الصلاة المروية فعلى الأقل لا يفوته أن يصلي ما كتب الله له، ويجرّص على قراءة سورة الإخلاص ألف مرة، ويجرّص على صيام يومها، فقد ورد أن مَنْ أصبح في ذلك اليوم صائماً كان له كصيام سنتين سنة ماضية وسنة مستقبلة).

ومما ورد من الفضل في صيام بعض أيام شعبان، ما روي في فضل صيام آخر يوم اثنين من شهر شعبان، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من صام آخر يوم اثنين من شعبان عُفِرَ له))، وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه.

السابع:

الخطب المتعلقة

بشهر رمضان

٢٦- في استقبال شهر رمضان

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِحَمْدِهِ، وَجَعَلَنَا مِنْ أَهْلِهِ، لِنَكُونَ لِإِحْسَانِهِ مِنَ الشَّاكِرِينَ،
وَلِيَجْزِيَنَا عَلَى ذَلِكَ جَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَبَانَا بِدِينِهِ، وَاخْتَصَّنَا بِمِلَّةِهِ،
وَسَبَّلَنَا فِي سُبُلِ إِحْسَانِهِ، لِنَسُلكَهَا بِمَنِّهِ إِلَى رِضْوَانِهِ، حَمْدًا يَتَقَبَّلُهُ مِنَّا، وَيَرْضَى بِهِ
عَنَّا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ شَهْرَهُ شَهْرَ رَمَضَانَ، شَهْرَ الصِّيَامِ،
وَشَهْرَ الْإِسْلَامِ، وَشَهْرَ الطَّهُّورِ، وَشَهْرَ التَّمْحِيصِ، وَشَهْرَ الْقِيَامِ، الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ
الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ، وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يوافق فيها القلب اللسان،
والسر الإعلان.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ابتعثه الله لتبليغ الرسالة والإيمان، وأيده بالمعجزات
والقرآن، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة وكشف الغمة، صلى الله وسلم
عليه وعلى آله الطيبين الأخيار، الصادقين الأبرار.

أما بعد: أيها المسلمون:

فإن الله تعالى اختص هذه الأمة بشهر رمضان، تكريماً لها، ورفعاً من قدرها، وتعظيماً
لنبيها محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وجعل الله هذا الشهر العظيم عيداً من أعياد الله
المباركة على عباده، وموعداً من مواعيد المغفرة، ووقتاً من أوقات إفاضة الرحمة، وريعاً
تنزل فيه البركات والخيرات، فيه تضاعف الحسنات، ويتجاوز عن السيئات، وتقال
العترات، وتمحى الخطيئات، وتقبل التوبات، وتغفر الزلات، وتجاب الدعوات، وترفع
الطاعات، وتسهل الطرق إلى الخيرات، فهو لكل خير وفضل وثواب موعداً، ومن كل

شر وسوء وعقاب مُّبْعِد، كما قال تعالى {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}.

وقد جعل الله تعالى هذا الشهر الكريم وقتاً تؤدي فيه عبادة من أفضل العبادات، وقربة من أعظم القربات، وتقام فيه فريضة من الفرائض الواجبات، وركن من أركان الإسلام اللازمة المتحتمة على كافة المكلفين من المسلمين والمسلمات، التي لا يتم لأحد اسم الإسلام إلا بالقيام بها، ولا يكمل إيمان عبد إلا بتأديتها، ألا وهي الصوم، الذي افترضه الله تعالى على عباده طهرة لهم من السيئات وزكاة، وطريقاً مقربة إلى تقواه ورضاه.

وقد جعل الله تعالى ما شرع لعباده وكلفهم بتأديته من التكاليف والتشريعات، موافق لمصالحهم، مطابق لما فيه فوائدهم ومنافعهم، لعلمه تعالى بالمصالح، ولغناه أيضاً عما كلفهم به وأمرهم به، وإنما أراد تعالى بذلك أن يزيدنا من نعمه، وأن يتلينا لينظر كيف نؤدي شكره، فالصيام واحد من تلك التشريعات التي فيها فوائد عظيمة للعباد في دينهم ودنياهم وآخرتهم:

فمن فوائده الدينية ما يلي:

الأول: أنه يقرب العبد من الله تعالى حيث أن الصيام يروض النفس ويؤدها، ويكبح جماحها فتكون معه أقرب إلى الهدى والتقوى، وأبعد عن المعصية والردى، كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، لأن مع قلة الأكل تضعف الشهوات واللذات، فيكون الصائم أضعف من أن يقوم بمعصية، ومع قلة الأكل أيضاً ينشط العبد على الطاعات، لأن الشبع يورث الكسل والملل والخمول، بسبب الطعام الذي قد كثر في بطن الإنسان، ومع التقرب بالطاعات والإبتعاد عن المعاصي، يكون العبد قد اتقى الله تعالى، فالصيام من أعظم الوسائل إلى نيل التقوى، وإذا نال العبد التقوى،

وصار في عداد المتقين فقد بلغ درجة عظمى عند الله تعالى، لأن المتقين هم أهل الفضائل، الذين تلين لهم الصعاب، ويضاعف لهم الثواب، وينجون في يوم القيامة من العقاب.

الثاني: أنه يجعل العبد خائفاً من الله تعالى، بما يكون فيه من الجوع والعطش اللذين يذكران العبد جوع يوم القيامة وعطشه، مما يجعل العبد كثير الطاعات، فاعلاً للخيرات، حتى يكون يوم القيامة من الأمنين.

الثالث: الصيام من أعظم الوسائل والطرق التي تقوي العلاقات الإجتماعية الإسلامية، فجوع الصوم وعطشه يتذكر الإنسان جوع المساكين والفقراء، والأرامل والأيتام، فيبادر إلى بذل الصدقات والصلوات لهم، لسد جوعتهم، ودفع بعض الحاجة عنهم، وذلك يكون دليلاً على العلاقات الإسلامية المتينة التي يشعر بها المسلمون تجاه بعضهم الآخر.

الرابع: أن مع الصوم تكون النفوس أكثر رقة وعطفاً وحناناً، فهو سبب في اكتساب مكارم الأخلاق، والصفات الحميدة، لأن مع قلة الأكل تضعف الشراسة والشدة في الإنسان، فيدفعه ذلك إلى طيب الكلام، ولين الجنب، وخفض الجناح، والسكينة والوقار، والإشتغال بنفسه عن الآخرين، فيكون قد اكتسب بالصيام كثيراً من الأخلاق. وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم، يهتمون بهذا الشهر العظيم اهتماماً كبيراً، فيعدون العدة له قبل دخوله، ويحاولون تفرغ أنفسهم من الأشغال الدنيوية، للتفرغ للأعمال الأخروية، كي لا تكون أعمال الدنيا مثبطة لهم عن اكتساب الطاعات، واغتنام الفرصة في هذا الشهر الكريم.

فعن علي عليه السلام، قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في آخر جمعة من شهر شعبان، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((أيها الناس إنه قد أظلكم شهرٌ فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهرٍ وهو شهر رمضان، فرض الله عز وجل صيامه، وجعل قيام

ليلة منه بتطوع صلاة كمن تطوع سبعين ليلة فيما سواه من الشهور، وجعل لمن تطوع فيه بخصلة من خصال الخير والبر كأجر من أدى فريضة من فرائض الله عز وجل فيما سواه، ومن أدى فريضة من فرائض الله عز وجل فيه كمن أدى سبعين فريضة من فرائض الله عز وجل فيما سواه من الشهور، وهو شهر الصبر وإن الصبر ثوابه الجنة، وهو شهر المواساة وهو شهر يزيد الله تعالى فيه في رزق المؤمن، ومن فطر فيه مؤمناً صائماً كان له عند الله عز وجل بذلك عتق رقبة ومغفرة لذنوبه فيما مضى)).

فقيل له: يا رسول الله ليس كلنا يقدر على أن يفطر صائماً.

فقال: ((إن الله تعالى كريم يعطي هذا الثواب من لا يقدر إلا على مذقة من لبن يفطر بها صائماً، أو بشرية من ماء عذب أو تمرات لا يقدر على أكثر من ذلك، ومن خفف فيه عن مملوكه خفف الله عز وجل حسابه، فهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره إجابة وعتق من النار، ولا غنى بكم عن أربع خصال: حصلتان ترضون الله تعالى بهما، وحصلتان لا غنى بكم عنهما.

أما اللتان ترضون الله تعالى بهما، فشهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله تعالى فيه حوائجكم والجنة، وتسألون الله تعالى العافية وتتعوذون به من النار)).

عن أنس بن مالك قال: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذا استهل شعبان أكبوا على المصاحف، وأخذ المسلمون في زكاة أموالهم فقووا بها الضعيف والمسكين على صيام شهر رمضان، ودعا المسلمون مملوكيهم فحطوا عنهم ضرائب شهر رمضان، ودعت الولاة أهل السجون، فمن كان عليه حد أقاموا عليه، وإلا خلوا سبيله، حتى إذا نظر المسلمون إلى شهر رمضان اغتسلوا واعتكفوا، وبعث الله عز وجل ملائكته في أول ليلة من شهر رمضان، فغلوا فيه أعفار الجن، - وفتحت فيه أبواب السماء، وأغلقت أبواب النار وبسط فيه الرزق للعباد، ورفع فيه العذاب عن

أهل القبور، فمن صام يوماً من شهر رمضان، تباعد من النار مسير مائة عام، ومن قام ليلة من شهر رمضان كان له مثل أجر ليلة القدر، ومن قام ليلة القدر كانت صلاة ليلته تلك ثلاثة وثمانين سنة وأربعة أشهر يعني عبادة، وكان المسلمون أما النهار فصيام وتسييح وصدقة، وأما الليل فتلاوة الوحي والسجود والقيام.

قال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن رمضان شهر افترض الله عز وجل صيامه، وإني سنتت للمسلمين قيامه، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه، كيوم ولدته أمه)).

اللهم رب شهر رمضان أدخله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، وأعتقنا فيه من النيران، واغفر لنا فيه كل زلل وعصيان، وتجاوز عن كل تقصير أو نسيان، إنك على كل شيء قدير.

بسم الله الرحمن الرحيم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} {١٨٣} أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {١٨٤} شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}، بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، إنه تعالى مَلِكٌ بر رؤوف رحيم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بشهر رمضان من بين سائر الأمم، وأفاض علينا فيه عوائد النعم، وأجاد علينا فيه أنواع الإحسان والكرم، وجنبنا فيه الأسواء والنقم، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين، ودليل المهتدين، وقدوة المتعبدين، ونور المسترشدين، وأقرب الخلق وسيلة عند رب العالمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون:

فضائل شهر رمضان كثيرة، وهي واضحة منيرة، فإذا ذكرنا شيئاً منها فإنما هو على سبيل التأكيد، وزيادة الفائدة للمسترشد المستفيد.

عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال يوماً وحضر شهر رمضان: ((أتى شهر رمضان، شهر بركة وخير، يغشيكم الله فيه الرحمة ويحط فيه الخطايا ويستجاب فيه الدعاء، ينظر الله فيه إلى تنافسكم وتباهيكم فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي كل الشقي من حرم فيه رحمة الله)).

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الجنة لتزين من الحول إلى الحول لشهر رمضان، فإذا دخل شهر رمضان قالت الجنة: اللهم اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك سكناً، ويقلن الحور العين: اللهم اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك أزواجاً)).

وعن أنس، قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا جاء شهر رمضان قال للناس: ((قد جاءكم شهر رمضان تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتغل فيه

الشياطين، ويعطى المؤمن فيه من القوة للقيام والصلاة، وهو نقمة للفاجر يغتنم فيه غفلات الناس، من حرم خيره فقد حرم)).

وعن أبي جعفر محمد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من هجم عليه شهر رمضان صحيحاً سليماً فصام يومه، وصلى ورداً من ليله، وحفظ فرجه ولسانه، وكفَّ يده، وغَضَّ بصره، وحافظ على صلاته مجموعة، وشهد جُمُعته، ثم بَكَرَ إلى عيده حتى يشهده، فقد استكمل الأجر، وصام الشهر، وأدرك ليلة القدر، وانصرف بجائزة الرب عزَّ وجلَّ»، قال أبو جعفر عليه السلام: أما إنها ليست كجائزة الأمراء.

وَحَافِظَ عَلَى شَهْرِ الصِّيَامِ فَإِنَّهُ	لْخَامِسَ أَرْكَانَ لِدِينِ مُحَمَّدٍ
تَغْلِقُ أَبْوَابَ الْجَحِيمِ إِذَا أَتَى	وَتَفْتَحُ أَبْوَابَ الْجَنَانِ لِعِبَادِ
تَزْخَرُفُ جَنَّاتِ النِّعِيمِ وَحُورِهَا	لِأَهْلِ الرِّضَا فِيهَا وَأَهْلِ التَّعْبُدِ
وَقَدْ خَصَّهُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِلَيْلَةٍ	عَلَى أَلْفِ شَهْرِ فَضَلَتْ فَتُودِدُ
فَقَمَّ لَيْلَهُ وَاطْوَى نَهَارَكَ صَائِماً	وَصَنَّ صَوْمَهُ عَنْ كُلِّ مَوْهٍ وَمُفْسَدِ

أيها الإخوة المسلمون: هذه قطرة من مطرة، وغيض من فيض، في فضل هذا الشهر العظيم، فهيا بنا أخي المسلم الكريم إلى اغتنام الفرصة، والمبادرة بالأعمال الصالحة قبل الغصة، وفقنا الله وإياكم للخير، ودفع عنا دواعي الشر، إنه قريب مجيب.

٢٧ - كيف نقضي شهر رمضان (مختصرة)

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ أَمْرُهُ وَمَشِيئَتُهُ، النَّافِذِ حُكْمُهُ وَقَضِيَّتُهُ، الدَّائِمِ مُلْكُهُ وَسُلْطَانُهُ، الْعَامِرِ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ، الَّذِي صَوَّرَ الْخَلْقَ بِلَا اسْتِزْشَادٍ، وَقَدَّرَ الرِّزْقَ بِعَيْزِ اسْتِمْدَادٍ، وَدَبَّرَ الْأُمُورَ بِلَا مُشِيرٍ، وَصَرَفَ الْمُقْدُورَ بِلَا ظَهِيرٍ، بَلْ بِقُدْرَتِهِ الْعَالِيَةِ، وَحِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ، وَأَمْرِهِ الْحَزْمِ، وَحُكْمِهِ الْحُتْمِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً يُبْرِهُنُ بِهَا بُرْهَانُهُ، وَكَلِمَةً بَيَّنَّهَا سُلْطَانُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُصْطَفَى، وَأَمِينُهُ الْمَجْتَبَى، أَرْسَلَهُ إِلَى أُمَّةٍ ضَالَّةٍ، يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَيُجِلُّونَ الْحَرَامَ، فَنَصَحَ الْعَوِيَّ، وَأَفْصَحَ الْحَفِيَّ، وَشَرَعَ الْمَلَّةَ، وَأَقَامَ الْأَدْلَةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَتَّى ظَهَرَ الدِّينُ، وَعَبَدَ رَبَّهُ حَتَّى أَنَاهُ الْيَقِينُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون: هذا شهر رمضان قد أظللنا بركاته، وهببت علينا من ربنا خيراته، وتواترت علينا فيه النعم الجسام، والمنن العظام، وما هو إلا هدية أهداها الله لنا نعوض فيه ما فات من تقصيرنا، ونصلح فيه ما فسد من أمورنا، ونحيي ما أماتته المعاصي من قلوبنا، ونجلبو به الغشوة التي قد غطت على ألبابنا، والغفلة التي قد اشتملت علينا، فهيا بنا أيها الإخوة المؤمنون لنستغل الفرصة، ونشغل أوقاتنا بالطاعات، حتى يكون شاهداً لنا لا علينا، وحجة لنا لا علينا، فقد ورد الترهيب والتهديد، والوعيد الشديد، على من فرط فيه وقصر، وخرج عنه الشهر وهو في لهوه وباطله، فقد روى الإمام الشهيد السعيد زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المنبر فقال: ((يا أيها الناس، إن جبريل أتاني فاستقبلني وقال: يا محمد، من أدرك شهر رمضان فلم يغفر

له، فمات فدخل النار، فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين، ثم قال: من أدرك إماماً عادلاً فلم يغفر له فلعهن الله، قل: آمين، فقلت: آمين، ثم قال: من لحق والديه فلم يغفر له فلعهن الله، قل: آمين، فقلت: آمين)).

أيها المؤمنون: هناك أمور لا بد أن نتنبه لها في هذا الشهر العظيم، ونذكرها على وجه النصيحة والتبيين:

الأول: لا بد أن نعلم أن الصيام مدرسة روحية، نستفيد منها ترويض النفس على الأخلاق الإسلامية، والشمائل القرآنية، فعلى الصائم أن يعلم أن صيامه ليس من الأكل والشرب فقط، فهذه نظرة قاصرة، وفهم خاطئ للصيام، فلا بد من حفظ البدن عموماً عما يكون مبطلاً للصيام، إما يكون مفطراً للصائم، أو محبطاً لثوابه وأجره الذي يعمل من أجل أن يحصل عليه، وقد نبه على هذا النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فيما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان إذا جاء شهر رمضان خطب الناس فقال: ((إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: إن هذا الشهر المبارك الذي افترض الله صيامه قد أتاكم، ولم يفترض قيامه قد أتاكم، ألا إن الصوم ليس من الطعام والشراب وحدهما، ولكن من اللغو والكذب والباطل)).

الثاني: على الصائم أن يتحرى وقت إفطاره، فلا يستعجل بالفطر قبل دخول الليل، فيبطل صيامه، ويمحق عبادته، فإن الصائم يمسك عن الطعام والشراب والشهوات نهاره كله، أكثر من اثني عشر ساعة، أما في أيام الصيف فيمسك أربع عشرة ساعة تقريباً، ثم يستعجل في إفطاره قبل دخول وقته فلا هو أفطر ولا هو صام.

الثالث: على المؤذن أن يتحرى في دخول وقت الصلاة، لا سيما في وقت المغرب والفجر، فإنه إذا أذن قبل المغرب فقد أحل للناس الإفطار قبل وقته، وأجاز الصلاة في غير وقتها، وإذا أذن قبل الفجر فقد حرم على الناس ما يحل لهم من الأكل والشرب، وأحل لهم ما لا يجوز وهو الصلاة في غير وقتها، ولهذا قال الإمام زيد بن

علي عليه السلام (من أذن قبل الفجر فقد أحل ما حرم الله -أي صلاة الفجر في غير وقتها- وحرّم ما أحل الله -وهو الأكل والشرب-)، ولا ينسى المؤذنون أن في البيوت من النساء والضعفة من إذا سمعوا الأذان سارعوا إلى الإفطار، أو إلى صلاة الفجر مبادرة للنوم، فاتقوا الله أيها المؤذن فإنك مؤتمن، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (المؤذن مؤتمن)، فلا تخن الأمانة التي استرعاك الله تعالى إياها، وإذا لم يكن عندك بصيرة بالأوقات فاتركها لمن يعرفها، أو تعلم من أهل المعرفة.

الرابع: على الصائم أن يحرص كل الحرص على إدراك الصلوات في أوقاتها جماعة، فإن الفريضة في رمضان ثوابها يعدل ثواب سبعين فريضة في غير رمضان، فكيف إذا كانت جماعة في المسجد في وقتها، فإن الأجر يتضاعف، والثواب يتزايد ويتكاثر، فلو فرضنا تقديراً أن عدد من يصلي في المسجد جماعة هم عشرة أشخاص، فالجماعة تزيد على الفرادى بسبع وعشرين درجة، فنضرب ٢٧ في ١٠ يكون الناتج مائتين وسبعين درجة، ثم نضربها في ٧٠ يكون الناتج يساوي ١٨٩٠٠ ثمانية عشر ألف وتسعمائة درجة، وما زاد فالله يضاعف لمن يشاء.

وإذا كنا في غير رمضان نقصر في الجماعات، ونعتاد الجمع بين الصلوات، فلنجعل رمضان موعداً للصلوات في أوقاتها في جماعة، ومما يجدر التنبيه عليه صلاة الجمعة، فلا يجوز التهاون بها، والتقصير فيها وتضييعها، والتعلل والتعذر بالنوم والتكاسل.

الخامس: من فضل الله ورحمته بعبده الصائم أن جعل نومه كالعبادة، ونفسه كالتسبيح، ولكن من هو الصائم الذي نومه عبادة ونفسه تسبيح؟

هل هو الصائم الذي يتعب نفسه ويجهدا في الطاعة، وينوع لها العبادة، فتارة يصلي، وتارة يقرأ القرآن، وتارة يذكر الله، وأخرى يدعو الله، فهو في بستان الطاعة متنقل، وفي رياضها منشغل، فينام للراحة واستعادة النشاط، فهذا هو الذي يكون

نومه عبادة، أما من يقطع ليله على القنوات والتلفزيونات، وفي الأسواق ومجالس اللهو واللذات، ثم يتعلل بأن نومه عبادة، فقد منى نفسه بالأمانى الكاذبة.

جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}، بارك الله لي ولكم في القرآن ونفعي وإياكم بما فيه من الذكر والبيان، إنه ولي الجود والإحسان، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنعم المحسن المحمل المفضل ذي الجلال والإكرام، ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة، وقاضي كل حاجة.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن. وأشهد أن محمداً عبده المصطفى، ورسوله المرتضى، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأخيار المتقين.

أما بعد: أيها المؤمنون: نكمل ما تبقى في كيفية استغلال شهر رمضان، وعدم تضييع أيامه ولياليه، فإن الهدية من حقها أن ترعى وتحفظ:

من رحمة الله بنا وتعطفه علينا، وتودده إلينا، جعل أجر النافلة في شهر رمضان كأجر فريضة في غيره، فلنحرص على التزود من النوافل والإكثار منها، لا سيما النوافل المأثورة وهي كما يلي:

الأول: مكملات الخمسين صلاة: وهي كما رواها الإمام الأعظم زيد بن علي قال: كان أبي علي بن الحسين عليهما السلام لا يفرط في صلاة الخمسين ركعة في يوم وليلة، ولقد كان ربما صلى في اليوم واللييلة ألف ركعة، قلت: وكيف صلاة الخمسين ركعة؟ قال عليه السلام: (سبعة عشر ركعة الفرائض، وثمان قبل الظهر، وأربع بعدها، وأربع قبل العصر، وأربع بعد المغرب، وثمان صلاة السحر، وثلاث الوتر وركعتا الفجر) قال الإمام زيد عليه السلام: وكان علي بن الحسين عليهما السلام يعلمها أولاده.

الثاني: صلاة التسبيح: وهي أربع ركعات موصولة، لا يسلم إلا في آخرهن، وإن شاء أن يصلي كل اثنتين بتسليمتين فعل، وجائز أن يصليها بالليل والنهار ما لم يكن وقت نُهي عن الصلاة فيه، وقد ورد في فضلها شيء كثير، وأجر كبير، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعمة العباس ولجعفر بن أبي طالب

رضي الله عنهم في صلاة التسبيح: (وهي أن تقرأ فاتحة الكتاب وسورة معها ثم تسبح خمس عشرة مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ثم ترقع وتسبح بها عشراً، وإذا رفع رأسه من الركوع عشراً، وإذا سجد عشراً، وإذا رفع رأسه من السجود عشراً، وإذا سجد الثانية عشراً، وإذا رفع من السجود قبل القيام عشراً، فيكون ذلك خمساً وسبعين في كل ركعة)، قال: وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (فلو كانت ذنوبك مثل عدد نجوم السماء وعدد قطر الماء وعدد أيام الدنيا وعدد رمل عالج لغفرها الله لك تصليها في كل يوم مرة واحدة) قال العباس رحمه الله تعالى: ومن يطيق ذلك يا رسول الله قال: (فصلها كل يوم جمعة) قال: ومن يطيق ذلك يا رسول الله قال: (فصلها في كل شهر مرة) قال: ومن يطيق ذلك يا رسول الله حتى قال: (فصلها في عمرك مرة واحدة).

ولقد كان الصالحون قبلنا يواظبون عليها ويحافظون، فقد روي عن إبراهيم الكينعي عابد اليمن رحمه الله أنه كان يصليها بالليل مرة وبالنهار مرة، وكان شيخه حاتم بن منصور الحملائي رحمه الله يصليها كذلك، ولم يتركها حتى وهو في مرض موته، فقد فاضت روحه إلى الله وهو في أثناء صلاة التسبيح وهو مريض، فيالله من رجال عرفوا للطاعة قدرها، وطلبوا من ربهم ثوابها وأجرها، ولم يتكاسلوا في نيل ما أعد الله ووعد بل تنافسوا فيها تنافساً عظيماً.

الثالث: صلاة الليل: وهي ثمان ركعات في الثلث الأخير من الليل، ثم تصلي بعدها الوتر، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من صلى ثمان ركعات في جوف الليل يواظب عليهن حتى يلقي الله بهن، فتح الله له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء)).

فأما صلاة التراويح في جماعة فبدعة، ولكن لا مانع من أن تصلي بعد العشاء ما شاء الله من الصلوات، فإن النوافل خير وبركة، وتقرب العبد من ربه، كما روي عن رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إن الله عز وجل قال: من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فمَن سألني عبدي لأعطينه، ولمن استعاذني لأعيذنه)، نسأل الله أن يعيننا على ما يرضيه، ويجنبنا معاصيه، وأن يجعل صيامنا صيام الصائمين، وقيامنا قيام القائمين، إنه على ذلك قدير.

٢٨ - خطبة أخرى حول استغلال شهر رمضان

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِحَمْدِهِ، وَجَعَلَنَا مِنْ أَهْلِهِ، لِنَكُونَ لِإِحْسَانِهِ مِنَ الشَّاكِرِينَ،
وَلِيَجْزِيَنَا عَلَى ذَلِكَ جَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَبَانَا بِدِينِهِ، وَاخْتَصَّنَا بِمِلَّةِهِ،
وَسَبَّلَنَا فِي سُبُلِ إِحْسَانِهِ، لِنَسْلُكَهَا بِمَنِّهِ إِلَى رِضْوَانِهِ، حَمْدًا يَتَقَبَّلُهُ مِنَّا، وَيَرْضَى بِهِ
عَنَّا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ شَهْرَهُ شَهْرَ رَمَضَانَ، شَهْرَ الصِّيَامِ،
وَشَهْرَ الْإِسْلَامِ، وَشَهْرَ الطَّهْوَرِ، وَشَهْرَ التَّمْحِيصِ، وَشَهْرَ الْقِيَامِ، الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ
الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ، وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يوافق فيها القلب اللسان،
والسر الإعلان.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ابتعثه الله لتبليغ الرسالة والإيمان، وأيده بالمعجزات
والقرآن، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة وكشف الغمة، صلى الله وسلم
عليه وعلى آله الطيبين الأخيار، الصادقين الأبرار.

أما بعد: أيها المؤمنون: أيام شهر رمضان ولياليه من أفضل الأيام والليالي
والساعات، فهي جواهر نفيسة، ودرر غالية ثمينة، وهو هدية من الله لهذه الأمة،
وتكرمة لها، ومن حق الهدية أن تُقَدَّرَ وتعظم، والكرامة أن تصان وتحفظ،
فاستغلاله دليل على الوعي الديني الكامل، فلا بد أن تجدول لأيام وليالي شهر
رمضان جدولاً يكون معيناً لك، ومنظماً لوقتك، كما يلي:

الأول: الحرص على تأدية الصلوات في أوقاتها في جماعة، فأجر الفريضة في
رمضان يعدل أجر وثواب سبعين فريضة في غيره، فأما مع الجماعة فإن ذلك
يتزايد بعدد المصلين في الجماعة، مضروباً في فضل الجماعة وهو سبع وعشرون،

فلو فرضنا تقديراً أن عدد من يصلي في المسجد جماعة هم عشرة أشخاص، فالجماعة تزيد على الفرادى بسبع وعشرين درجة، فنضرب ٢٧ في ١٠ يكون الناتج مائتين وسبعين درجة، ثم نضربها في ٧٠ يكون الناتج يساوي ١٨٩٠٠ ثمانية عشر ألف وتسعمائة درجة، فيكون أجر صلاة فريضة واحدة في رمضان في جماعة عدد المصلين فيها (١٠) أشخاص يعدل صلوات (٣٧٨٠) ثلاثة آلاف وسبعمائة وثمانين يوماً، وهي تعدل إحدى عشر سنة ونصف سنة غير رمضان، وما زاد فالله يضاعف لمن يشاء، فانظر ما أوسع رحمة الله، وأعظم فضله.

وهناك عملية حسابية أخرى: بأن نقول لو حافظ الإنسان على الصلوات الخمس كلها في جماعة طيلة شهر رمضان، وفرضنا أن عدد المصلين في الجماعة عشرة أشخاص مثلاً، فإننا نضرب خمس صلوات في ثلاثين يوماً يكون الناتج مائة وخمسين صلاة، نضربها في سبعين يكون الناتج (١٠٥٠٠) عشرة آلاف وخمسمائة درجة، ثم نضربها في (٢٧) سبعة وعشرين فضل الجماعة على الفرادى يكون الناتج (٢٨٣٥٠٠) مائتي ألف وثلاثة وثمانين ألفاً وخمسمائة درجة، نضربها في عدد المصلين وهم (١٠) عشرة مثلاً، يكون الناتج (٢٨٣٥٠٠٠) مليونين وثمانمائة ألف وخمسة وثلاثين ألف درجة، لو نظرنا في كم سنة يحصل المسلم على هذا الثواب، فلو قسمنا هذا العدد الأخير على عدد أيام السنة غير رمضان وهو (٣٣٠) ثلاثمائة وثلاثون يوماً، يكون الناتج (٨٥٩٠) ثمانية آلاف وخمسمائة وتسعين سنة، فانظر أخي المسلم ما أوسع فضل الله وما أعظم كرمه، كيف يعطيك في خلال شهر واحد كأجر من حافظ على الصلوات مدة ثمانية آلاف وخمسمائة وتسعين صلاة، وما زاد فالله يضاعف لمن يشاء.

فإذا كنا طوال السنة أو أكثرها نجتمع الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، وصار الجمع بين الصلاتين خلقاً وعادة، سواء كنا مشغولين أم فارغين، بعذر أم بغير

عذر، فلنحاول في رمضان أن نغير من عاداتنا السيئة إلى العادات الحسنة، وأن نفتح مع الله صفحة جديدة نتعامل من خلالها بصدق وإخلاص، ونحافظ على عبادتنا وواجباتنا، ونحرص على أن لا تفوتنا صلاة جماعة في وقتها، ولنترك الكسل والتواني، فإن الكسل والتواني يسبب في فوات الخير الكثير، والأجر الكبير.

أيها المؤمنون: من رحمة الله بنا، وتعطفه علينا، وتودده إلينا، أن جعل أجر النافلة في شهر رمضان كأجر فريضة في غير رمضان، فكل ركعتين تصليهما في ليل أو نهار فإن الله يثيبك عليها كثواب من صلى فريضة في سائر الشهور، فلنحرص على التزود من النوافل، والإكثار منها، لا سيما النوافل المأثورة، وهي كما يلي:

أولها: مكملات الخمسين صلاة، وهي كما رواها الإمام الأعظم زيد بن علي قال: كان أبي علي بن الحسين عليهما السلام لا يفرط في صلاة الخمسين ركعة في يوم وليلة، ولقد كان ربما صلى في اليوم واللييلة ألف ركعة، قلت: وكيف صلاة الخمسين ركعة؟ قال عليه السلام: (سبعة عشر ركعة الفرائض، وثمان قبل الظهر، وأربع بعدها، وأربع قبل العصر، وأربع بعد المغرب، وثمان صلاة السحر، وثلاث الوتر وركعتا الفجر) قال الإمام زيد عليه السلام: وكان علي بن الحسين عليهما السلام يعلمها أولاده.

فعلينا أن نعلم أنفسنا ونعوّدها هذه الصلوات، ونعلم أولادنا وأهلينا.

ثانيها: صلاة التسبيح: وهي أربع ركعات إما موصولة، لا يسلم إلا في آخرهن، وإما أن يصلي كل اثنتين بتسليمتين فعل، وجائز أن يصليها بالليل والنهار ما لم يكن وقت نُهي عن الصلاة فيه، وقد ورد في فضلها شيء كثير، وأجر كبير، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعمة العباس ولجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم في صلاة التسبيح: (وهي أن تقرأ فاتحة الكتاب وسورة معها ثم تسبح خمس عشرة مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر،

ثم تركع وتسبح بها عشراً، وإذا رفع رأسه من الركوع عشراً، وإذا سجد عشراً، وإذا رفع رأسه من السجود عشراً، وإذا سجد الثانية عشراً، وإذا رفع من السجود قبل القيام عشراً، فيكون ذلك خمساً وسبعين في كل ركعة)، قال: وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (فلو كانت ذنوبك مثل عدد نجوم السماء وعدد قطر الماء وعدد أيام الدنيا وعدد رمل عالج لغفرها الله لك تصليتها في كل يوم مرة واحدة) قال العباس رحمه الله تعالى: ومن يطيق ذلك يا رسول الله قال: (فصلها كل يوم جمعة) قال: ومن يطيق ذلك يا رسول الله قال: (فصلها في كل شهر مرة) قال: ومن يطيق ذلك يا رسول الله حتى قال: (فصلها في عمرك مرة واحدة).

ولقد كان الصالحون قبلنا يواظبون عليها ويحافظون، فقد روي عن إبراهيم الكينعي عابد اليمن رحمه الله أنه كان يصلها بالليل مرة وبالنهار مرة، وكان شيخه حاتم بن منصور الحملائي رحمه الله يصلها كذلك، ولم يتركها حتى وهو في مرض موته، فقد فاضت روحه إلى الله وهو في أثناء صلاة التسبيح وهو مريض، فيالله من رجال عرفوا للطاعة قدرها، وطلبوا من ربهم ثوابها وأجرها، ولم يتكاسلوا في نيل ما أعد الله ووعد بل تنافسوا فيها تنافساً عظيماً.

ثالثها: صلاة الليل: وهي ثمان ركعات في الثلث الأخير من الليل، ثم تصلي بعدها الوتر، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من صلى ثمان ركعات في جوف الليل يواظب عليهن حتى يلقي الله بهن، فتح الله له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء)).

فأما صلاة التراويح في جماعة فبدعة، ولكن لا مانع من أن يصلي الإنسان بعد العشاء ما شاء الله من الصلوات، فإن النوافل خير وبركة، وهي تُقرب العبد من ربه، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إن الله عز وجل قال: من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء

أفضل من أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فلإن سألتني عبدي لأعطينه، ولإن استعاذني لأعيذته).
 رابعها: صلاة الفرقان: وهي كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من صلى ركعتين بين العشاءين يقرأ في إحداهما من الفرقان الآيات من {تبارك الذي جعل في السماء بروحاً} حتى يحتم السورة، وفي الركعة الثانية من أول سورة المؤمنین حتى يبلغ {فتبارك الله أحسن الخالقين}، ثم يقول في كل ركعة: (سبحان الله العظيم وبحمده) ثلاث مرات، ومثل ذلك (سبحان الله الأعلى وبحمده) في السجود أعطاه الله عشرين خصلة: فيؤمن من شر الجن والإنس، ويعطيه الله كتابه يمينه يوم القيامة، ويؤمن عذاب القبر، ومن الفرع الأكبر، ويعلمه الكتاب وإن لم يكن عليه حريصاً، وينزع منه الفقر، ويذهب عنه هم الدنيا، ويؤتيه الله الحكمة، ويبصره كتابه الذي أنزل على نبيه، ويلقنه حجته يوم القيامة، ويجعل النور في قلبه، ولا يحزن إذا حزن الناس، ولا يخاف إذا خافوا، ويجعل النور في بصره، وينزع حب الدنيا عن قلبه، ويكتب عند الله من الصديقين)).

جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} {١} {اللَّهُ الصَّمَدُ} {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} {٤}، بارك الله لي ولكم في القرآن ونفعي وإياكم بما فيه من الذكر والبيان، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

في فضل الصدقة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنعم المحسن المحمل المفضل ذي الجلال والإكرام، ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة، وقاضي كل حاجة.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن. وأشهد أن محمداً عبده المصطفى، ورسوله المرتضى، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأخيار المتقين.

أما بعد: أيها المؤمنون: روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبنا ذات يوم فقال ((أيها الناس إنه أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، وشهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة، وقلوب طاهرة، أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم، وذكروا بجوعكم وعطشكم جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدقوا على فقراءكم ومساكينكم، ووقروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم، وغضوا عما لا يجل الاستماع إليه أسماعكم، وتحننوا على أيتام الناس كما يتحنن على أيتامكم، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم، فإنها أفضل الساعات، ينظر الله عز وجل فيها

بالرحمة إلى عباده يجيبهم إذا ناجوه، ويلبيهم إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه))، فهذا الحديث قد نبه على أمور هامة من فوائد الصوم:
 منها: الحث على الصدقة والعطاء، والرحمة بالفقراء والمساكين:
 لأن الإنسان بجوعه وعطشه أثناء صومه يتذكر جوع وعطش الفقراء والمساكين، فيدفعه ذلك إلى البذل والعطاء، وفي هذا تقوية للعلاقات الأخوية، وربط للأواصر الإيمانية، التي تسبب في تماسك المجتمعات الإسلامية.

وشهر رمضان شهر الجود والعطاء، وأفضل الجود والعطاء وأكرمه هو الجود على الفقراء والمحتاجين، لأنه جود وعطاء خالص من تبادل المصالح والرد بالمثل، لأنك لا تنتظر من الفقير والمحتاج أن يرد بالمثل أو يكافئك على صنيعك، وإنما تنتظر الأجب والثواب والعوض من الله تعالى، فالصدقة تمثل روح التكافل الاجتماعي الذي حث عليه الإسلام، وهي سفينة النجاة للمسلم في بحار الدنيا المتلاطمة الأمواج، المختلفة الأعاصير.

كما روي عن النبي صلى الله عليه ووله وسلم أنه قال ((أفضل الصدقة: صدقة رمضان)).

فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان، وكان صلى الله عليه وآله وسلم أجود من الريح المرسله، كما روي ذلك عن ابن عباس.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل شهر رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل، وكان لا يسأل شيئاً إلا أعطاه،

فالصدقة تطفئ غضب الرب، وتقي مصارع السوء، وتدفع البلاء والمصائب، وتداوي المرضى، والصدقة برهان للعبد على إيمانه ويقينه بخلف ربه، ومحبه لخالقه حيث جاد بما يحبه في محبة ربه.

والصدقة تزكية للمعطي وتطهرة له في أخلاقه من الشح والبخل ورزائل الأخلاق، وتنمية له وزيادة في أخلاقه وثوابه، فهي تشرح الصدر، وتعظم الأجر، وتجلب الخير، وتدفع الضر والشر، وتجلب الرزق، وتجلب النعم، وتدفع النقم، وتشفي من الألم، وتبرئ من السقم، وكم جلبت من صداقة، ودفعت من عداوة، وكم أجيب بها من دعوة.

وهي ظل لصاحبها يوم القيامة من شدة الحر، وجواز على الصراط، وثقل في الميزان، وخفة في الحساب، وزيادة في رفع الدرجات في الجنان. وهي سبب في بركة المال ونموه، وزيادته وبركته، فما من شيء تنفقه إلا وهو يزيد ولا ينقص، يزيد في أجره وثوابه، ويزيد في بركة أصله وتنميته.

كم سدت خلة فقير، وقضت من حاجة محتاج، وأشبعت جوعة جائع، وفرجة كربة مكروب، وأفرحت قلب صغير، وأزاحت هم عائل قد أهمته نفقة عياله، وكم أدخلت السرور على فقير ومسكين.

هذا في سائر السنة أما في رمضان فكل شيء يتضاعف، فالدرهم يتضاعف إلى سبعين ضعفاً، وإلى سبعمائة ضعف، وإلى أكثر من ذلك.

فإذا تصدقت بألف مثلاً كان لك كثواب من يتصدق بسبعين ألفاً في غير رمضان، وما زاد فأنت ترابح مع الله جل جلاله الذي لا تنقص خزائنه.

ومن أهم الأمور التي تتعلق بالصدقة: أن تراعي إيمان الفقير، فتؤثر ذا الإيمان والعمل الصالح على غيره، لأنك تعينه بها على العلم والعمل ومواصلة الطاعة، فتكون شريكاً له في أعماله الصالحة، وتراعي الأرحام والأقارب فتؤثرهم على غيرهم، فإن الصدقة على ذي الرحم صدقتان: صدقة وصلة، وتراعي الجيران فتؤثرهم على الأبعد، وتراعي أهل العفة الذين لا يسألون الناس فتؤثرهم على الذي يسأل الناس،

وتراعي ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتؤثرهم على غيرهم، إلى غير ذلك من الأمور الهامة التي لها دور كبير في مضاعفة الأجر والثواب.

وليست الصدقة محصورة على أهل الأموال الكثيرة، بل كل على قدره، بل قد تكون من أهل القليل أكثر ثواباً، وأعظم نفعاً، كما يقول الله تعالى {لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون}، فصاحب القليل حاجته ومحبته لما ينفق أكثر من حاجة الغني إلى ما ينفق، لأن صاحب القليل ينفق عن حاجة، وصاحب الكثير ينفق عن استغناء، وكما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((سبق درهم مائة ألف درهم)) فقال رجل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((رجل له مال كثير أخذ من عرضه مائة ألف درهم تصدق بها، ورجل ليس له إلا درهماً فأخذ أحدهما فتصدق به)).

أيها الإخوة المسلمون: هذه قطرة من مطرة، وغيض من فيض، في فضل هذا الشهر العظيم، فهيا بنا أخي المسلم الكريم إلى اغتنام الفرصة، والمبادرة بالأعمال الصالحة قبل الغصة، وفقنا الله وإياكم للخير، ودفع عنا دواعي الشر، إنه قريب مجيب.

٢٩- في فضل القرآن وتلاوته الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل القرآن وسيلة إلى نيل منازل الكرامة، وسبباً نجزي به النجاة في عرصة القيامة، وذريعة نقدم بها على نعيم دار المقامة، حمداً دائماً متسقاً، ومتوالياً مستوسقاً، يملأ الأرض والسماء، يكون لحقه أداء، ولشكره قضاء، نستزيد به النعم، ونستدفع به النقم، ليس لأوليته انتهاء، ولا لآخريته انقضاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي عمّ الخلائق جدواه، وتمّ حكمه فيمن أضل منهم وهداه، وأحاط علماً بمن أطاعه وعصاه، شهادة مقرّ له بالعبودية خاشع، معترفٍ له بالوحدانية طائع، مستجيبٍ لدعوته خاضع، متضرعٍ لمشيئته متواضع. وأشهد أن محمداً عبده الكريم، ورسوله الطاهر المعصوم، بعثه والناس في غمرة الضلالة ساهون، وفي غرة الجهالة لاهون، فقام صلوات الله عليه وآله فيهم مجّداً في الإنذار، آناء الليل وأطراف النهار، بعزم ثاقب، وحكم واجب، حتى انتشر الإيمان، وتفرق حزب الشيطان، وأعز الله جنده، وعُبدَ وحده، صلى الله عليه وعلى آله في كل وقت وحين.

أما بعد: أيها المؤمنون: يقول الله تعالى: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان}، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((رمضان ربيع القرآن))، أي وقته وموسمه، فرمضان شهر القرآن، فيه أنزل، وفيه يتلى ويرتل، ويبين ويفسر ويفصل، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهتم بالقرآن اهتماماً كبيراً، ويعلمه أصحابه، ويعلمهم تفسيره، وكان يتدارس القرآن مع جبريل الأمين في كل سنة في شهر رمضان، يعرض عليه ما قد نزل عليه في كل عام، فلما كان العام الذي توفي فيه صلى الله عليه وآله وسلم قرأ القرآن مع جبريل مرتين، وعرضه عليه مرتين.

كما روي عن ابن عباس قال: (كان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن)، وفي رواية أخرى (فيدارسه القرآن)، وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسر إلى ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام فقال لها: ((إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي)).

وقد اقتدى الصحابة المخلصون، والأئمة المهتدون، والأولياء والصالحون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجعلوا القرآن قوت أبدانهم، وراحة قلوبهم، وقووا به إيمانهم، وصححوه به يقينهم، فقاموا به آناء الليل، وتلوه أطراف النهار، وخشعت له جوارحهم، وسالت من الخوف والفرع مدامعهم.

وكانوا يكثرون من تلاوته في رمضان، فكان بعضهم يختم المصحف في كل ثلاثة أيام، وبعضهم في كل خمسة أيام وبعضهم في كل سبعة أيام، بل بعض العباد الذين تخلوا للعبادة كان يقرأ في كل يوم ختمتين، ختمة في الليل وختمة في النهار، فكان يختم القرآن في رمضان ستين ختمة، كما روي ذلك عن عابد اليمن إبراهيم بن أحمد الكينعي رحمة الله عليه، والله القائل:

فشمروا وُلْدُ بِاللَّهِ وَاقْرَأْ كِتَابَهُ	ففيه الهدى حقاً وللخير جامع
هُوَ الذَّخْرُ لِلْمَلْهُوفِ وَالْكَنْزُ	ومنه بلا شك تنال المنافع
بِهِ يَهْتَدِي مَنْ تَاهَ فِي مَعْمَةِ الْهُوَى	به يتسلى من دهته الفجائع

أيها المؤمنون: إن فضائل تلاوة القرآن كثيرة لا تحصى، فعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((خير الناس من تعلم القرآن وعلمه، وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)).

وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن هذا القرآن مآدبة الله فتعلموا مآدبة الله ما استطعتم؛ إن هذا القرآن حبل الله المتين

وهو النور المستنير والشافع الدافع عصمة من تمسك به، ونجاة من تبعه، لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيثبت، ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الترداد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرفٍ منه عشر حسناتٍ، أما إني لا أقول: ألفٌ ولا مٌ، ولكن ألفٌ عشرًا ولا مٌ عشرًا)).

وعن أبي أمامة، قال: حثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على تعليم القرآن وحدثنا من فضله فقال: ((تعلموا القرآن واتلوه فإن القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة أحوج ما كان إليه، فيأتيه في صورة حسنة فيقول: هل تعرفني؟ فيقول لعلك القرآن؟ فيقول: أنا القرآن، فيتقدم بين يدي ربه فيعطيه الملك يمينه، والخلد بشماله، ويوضع تاج السكينة على رأسه، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا أضعافاً مضاعفة، فيقولان: إن هذا لم تبلغ أعمالنا، فيقال لهما: بفضل ولدكما قرأ القرآن)).

ولابد أخي المؤمن من العمل والتطبيق للقرآن الكريم، والوقوف عند حدوده، والتأدب بأدابه، حتى تظهر على صفات قارئ القرآن، وتنعكس على سلوكياته وأخلاقه ومعاملاته وعباداته، فإن القرآن كما أنه حجة لك، فهو حجة عليك، فلا بد أن يكون حامل القرآن متميزاً بصفات الفضل والفضيلة، بعيداً كل البعد عن الرذيلة، بل لا بد أن يكون أحرص على الطاعات من غيره، كما روي عن علي عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن أحق الناس بالصلاة الكثيرة في السر والعلانية حامل القرآن، وإن أحق الناس بالخشوع الكثير في السر والعلانية حامل القرآن، وإن أحق الناس بالصوم الكثير.

وينبغي لحامل القرآن أن يعرف في ليله إذا الناس نيامً، وفي نهاره إذا الناس يتبطلون، وفي بكائه إذا الناس يضحكون، وفي حزنه إذا الناس يفرحون، وفي صمته إذا الناس يخلطون. يا حامل القرآن تواضع لله يرفعك الله، ولا تتعزز فذلك الله، وتزین لله يُزینك الله، ولا تتزین للناس فيمُتكَ الله، الله أفضل لك من كل شيءٍ هو دون الله، ومن وقَّر

القرآن فقد وَقَّرَ الله، ومن استخف بحق القرآن فقد استخف بحق الله، وحرمة القرآن عند الله كحرمة الوالد على ولده.

وحملة القرآن يدعون في التوراة المخصوصين برحمة الله، الملبسين نور الله المعلمين كتاب الله، من والا هم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عاد الله، يدفع الله عن مستمع القرآن بلوى الدنيا، ويدفع الله عن تالي القرآن بلوى الدنيا والآخرة))، فحامل القرآن إما أن يحسن حمل تلك المسؤولية العظيمة المنوطة على عاتقه فيكون له ثواب لا يعلمه إلا الله، وإما أن يفرط ويقصر فيكون من الهالكين الخاسرين، أما إذا جعل القرآن ذريعة ووسيلة إلى نيل الدنيا، وأكل الأموال، فهي الداهية العظمى والمصيبة الكبرى، فقد روي التهديد الشديد، والوعيد الأكيد:

فعن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((والذي نفس محمد بيده للزبانية من الملائكة أسرع إلى فسقة حملة القرآن منهم إلى عبدة النيران والأوثان فيقولون: يا رب بدئ بنا سورع إلينا يا رب يا رب، قال: فيقول الرب تبارك وتعالى: ليس من يعلم كمن لا يعلم)).

وعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((القرآن شافع مشفع، وما حل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار)).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قرأ القرآن كان حقاً على الله عز وجل أن لا تطعمه النار، ما لم يقل فيه، ما لم يأكل فيه، ما لم يراء به، ما لم يدع إلى غيره)).

أيها المؤمنون: إن القرآن الكريم شفاء الصدور، والكاشف لما أبهم والتبس من الأمور، وهو فصل الخصام والخطاب، وأشرف قول وخطاب، وهو المرجع عن الاختلاف، والمخرج عند الفتن، كما روي عن الحارث بن حوط أحد أصحاب علي عليه السلام أنه قال: دخلت المسجد، فإذا الناس قد وقعوا في الأحاديث فأتيت علياً

عليه السلام، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى أنّ الناس قد وقعوا في الأحاديث، قال: وقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: ((ستكون فتنة))، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: ((كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته إلا أن قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُديّ إلى صراطٍ مستقيم)) خذ هذا إليك يا أعور.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا في هذا الشهر الكريم من عتقائه وطلقائه ونقذائه من النار، بسم الله الرحمن الرحيم {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}،
بارك الله لي ولكم في القرآن ونفعي وإياكم بما فيه من الذكر والبيان، إنه ولي الجود والإحسان، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْإِيمَانِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْقُرْآنِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِهِ وَعِزِّ جَلَالِهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن. وأشهد أن محمداً عبده المصطفى، ورسوله المرتضى، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأخيار المتقين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

قارئ القرآن إما أن يجيد القراءة ويتلوه كما أنزل، ويحفظه غيباً، فهذا لا شك في بلوغه مرتبة عظيمة، ومنزلته عند الله عالية.

وإما أن يجيد القراءة إلا أنه لا يحفظه جميعه غيباً، وهذا في الدرجة الثانية في الفضل. وإما أن يجد بعض الصعوبة في نطق بعض الآيات أو الكلمات، ولكنه يتعلم ويتعاهد القرآن، ويجهد نفسه في الإتقان، ويبدل وسعه، فهذا له أجران. كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إن الذي يتعاهد القرآن ويشد عليه له أجران، والذي يقرأه وهو خفيف عليه مثل السفر الكرام البررة)). وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرأ يتتبع فيه وهو عليه شاق فله أجران)).

والقارئ للقرآن يجب عليه أن يحافظ على القرآن من التفلت من صدره، وأن يتعاهده حتى لا يزول من حفظه، لأن الشيطان يحرص على محو القرآن من صدور المؤمنين، كما روي عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهب)).

وعن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((تعاهدوا القرآن فهو أشد تفصيلاً من صدور الرجال من النعم من عُمَّلِهَا)).

وعن سعد بن عباد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم)).

أيها المؤمنون: إن قارئ القرآن لا بد أن يطبق ويعمل بالقرآن، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقف عند حدوده، يعمل الطاعة، ويحْتَنِبُ المعصية، فهذا هو الذي نال الثواب وأمن العقاب.

وأما من يقرأ القرآن ولكنه يترك العمل به: لا يعمل بأوامره، ولا يحْتَنِبُ نواهيه، ولا يقف عند حدوده، فقد باء بالوبال والخسران.

وقد بين النبي صلوات الله عليه وعلى آله جزء من يعمل وعقوبة من يترك، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ((يأتي القرآن يوم القيامة وله لسانٌ طلقٌ ذلقٌ قائلاً مصداقاً، وشفيعاً مشفعاً، فيقول: يا رب جمعي فلانٌ عبدك في جوفه؛ فكان لا يعمل في بطاعتك، ولا يحْتَنِبُ في معصيتك، ولا يقيم في حدودك، قال: فيقول: صدقت؛ فتكون ظلمة بين عينيه وأخرى عن يمينه، وأخرى عن شماله، وأخرى من خلفه تبتزه هذه وتدفعه هذه حتى تذهب به إلى أسفل درك في النار.

قال: ويأتي فيقول: يارب جمعي فلانٌ عبدك في جوفه؛ فكان يعمل في بطاعتك، ويحْتَنِبُ في معصيتك، ويقيم في حدودك، فيقول: صدقت، فيكون له نوراً يصدع ما بين السماء والأرض حتى يدخل الجنة، ثم يقال له: اقرأ وارق فلك بكل حرفٍ درجةً في الجنة حتى تساوي النبيين والشهداء هكذا وجمع بين المسبحة والوسطى)).

قال الحسن البصري رحمه الله في كلام له في أقسام قراء القرآن:

قرأ هذا القرآن ثلاثة رجال:

فرجل قرأه فاتحده بضاعة فنقله من بلد إلى بلد ومن مصر إلى مصر بيتغي ما عند الناس.

وقوم قرأوه فَتَقَفُوهُ كما يثقف القدح، أقاموا حرفه، وضيعوا حدوده، واستدُرُّوا به ما عند الولاية، واستطالوا به على الناس، يقول أحدهم: والله ما أسقط من القرآن حرفاً، ومتى كانت القراءة كذا؟! ما لهم كثر الله بهم القبور، وأحلى منهم الدور. وقوم قرأوا القرآن فوضعوه على القلوب فهملت لذلك أعينهم، وذبلت شفاههم، وأسهروا ليلهم، وأظموا نهارهم وخنوا في برانسهم، وبكوا في محاريبهم، فبهم يسقى الغيث، وبهم يدفع الله الأواء، وبهم يقضي الله على الأعداء، والله لهذا الضرب من القراءة أعز من الكبريت الأحمر.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إن أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر المال لهم فيتحاسدوا ويقتتلوا، ويفتح لهم القرآن فيقرأه البر والفاجر والمنافق، فيجادلون به المؤمن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به، والناس في القرآن ثلاثة:

فرجل يقرؤه بلسانه ولا يسوغ به الحنجرة، فهو له إصر وعذاب وعقاب.
ورجل يقرؤه فخرأً ورياءً ليأكل به في دنياه فليس له منه يوم القيامة شيء.
ورجل يأخذه بسكينة ووقار فهو له حجة يوم يلقى ربه)).

فعلينا أيها المؤمنون أن نستغل هذا الشهر الكريم في قراءة القرآن وتعلمه، وتدبره وتفهمه، والعمل به وتطبيقه، وأن لا نجعل الدنيا نصب أعيننا، أو سبب تلاوتنا، ولا بد أن نخلص لله أعمالنا، ونظهرها من كل رياء وسمعة، وغرور وعجب، حتى ننال من الله الرضاء، ونفوز بالدرجات العلياء.

نسأل الله أن يعيننا على ما يرضيه، وأن يجنبنا معاصيه، وأن يجعل صيامنا في هذا الشهر صيام الصائمين، وقيامنا قيام القائمين، إنه على كل شيء قدير.

٣٠- في العشر الأواخر واعتكافها وليلة القدر

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يهتك حجائبه، ولا يغلق بائنه، ولا يرد سائله، ولا يخيب آمله، الحمد لله الذي يؤمن الخائفين، وينجي الصالحين، ويرفع المستضعفين، ويضع المستكبرين، يُهلك ملوكاً ويستخلف آخرين، الذي من خشيته ترعد السماء وسكاتها، وترجف الأرض وعمارها، وتموج البحار ومن يسبح في غمراتها، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَوْجَبَتْهَا شَوَاهِدُ بَقَائِهِ وَقَدَمِهِ، وَكَلِمَةً حَبَّبَهَا إِلَيْنَا عَوَائِدُ آيَاتِهِ وَنِعَمِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ، وَأَنْطَقَهُ بِالصِّدْقِ، بَشِيرًا لِلْمُتَّقِينَ، وَنَذِيرًا لِلْمُعْتَدِينَ، فَشَرَعَ الدِّينَ، وَهَدَى الضَّالِّينَ، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد أيها المؤمنون: ها هو شهر رمضان تنقضي أيامه ويُؤذَنُ بالدواع، وتنصرم لياليه ونحن لا زالنا في غفلة عن الله وضياع، قد مضت أيام الرحمة، وتلتها أيام المغفرة، وهاهي أيام العتق من النار، فإنا من قد قصر في ما مضى، أدرك نفسك فيما بقي، وويا من فرط في الأيام التي انقضت، لا زال بإمكان أن تتلافى وضعك، وتصلح أمرك.

فهيا بنا لننظر ماذا كان يفعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الأيام المباركة، لنجعلها لنا القدوة، ولنأخذ منه الأسوة، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها، فكان يشد المنزر، ويشمر في الطاعات، فمن السنن النبوية، والعبادات العظيمة التي تتعلق بالعشر الأواخر من

رمضان، هي الإعتكاف، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهتم بها، فكان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى.

والإعتكاف فرصة ثمينة للتفرغ في طاعة الله، وتربية النفس، وجهاد الهوى والشهوة، والبعد عن الشواغل والصوارف عن الطاعة، وحبس النفس على عبادة الله، وترويضها وتأديبها وتعليمها كيف تتخلى للعبادة من الصلاة والدعاء والذكر وقرآءة القرآن والإستغفار وقيام الليل وغيرها من القربات، ومما ورد في فضله:

ما روي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((من أعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان كان عدل حجّتين وعمرتين)).

وعن علي عليه السلام: (أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان، وأحيا الليل، وشد المنزر، وبرز من بيته، وكان يغتسل كل ليلة بين العشاءين).

والإعتكاف: هو لزوم المسجد واللبث فيه، طاعة وقرية لله تعالى، ومن أحكامه:

الأول: لزوم النية، لأنه عبادة، فلا بد من أمر يحصل به التفريق بين اللبث للإعتكاف وغيره.

الثاني: أن يكون في مسجد، لقوله تعالى {وأنتم عاكفون في المساجد}، فلا يصح في غير مسجد، والأفضل أن يكون في مسجد تقام فيه الجمعة، حتى لا يضطر إلى الخروج إليها.

الثالث: الصوم، فلا يصح الإعتكاف إلا بصوم.

الرابع: يبطله مبطلات الصوم، والجماع، والخروج من المسجد لغير حاجة.

الخامس: يجوز الخروج لقضاء الحاجة، وتشيع الجنابة، وزيارة المريض، وغيرها من الطاعات التي تكون خارج المسجد، ولا يقعد إن كفى القيام، ويبادر الرجوع إلى المسجد، ولا يكون الخروج في أول النهار أو آخره، أو أول الليل أو آخره، بل في

وسطه، فعن علي عليه السلام، قال: (إذا اعتكف الرجل فلا يرفث، ولا يجهل، ولا يقاتل، ولا يساب، ولا يماري، ويعود المريض، ويشهد الجنائز، ويأتي الجمعة، ولا يأتي أهله إلا لغائط، أو لحاجه فيأمرهم بها، وهو قائم لا يجلس).

السادس: ينقسم الإعتكاف إلى قسمين: إعتكاف عام: وهو ما يعم النهار والليل، وهو أفضل.

واعتكاف خاص: وهو اعتكاف النهار واستثناء الليل، وهو جائز، ويجوز أن يعتكف أياماً والليالي أكثر، كأن ينوي اعتكاف خمسة أيام وسبع ليالٍ، فهذا من أنواع الإعتكاف.

تقبل الله منا منكم صالح الأعمال، ووفقني وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا في هذا الشهر الكريم من عتقائه وطلاقه ونقذائه من النار، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ليس له منازع يعادله، ولا شبيه يشاكله، ولا ظهير يعاضده، قهر بعزته الأعداء، وتواضع لعظمته العظماء، فبلغ بقدرته ما يشاء.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد يحيى ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً، صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: هذه الأيام والليالي المباركات تتزاحم فيها ملائكة الله في أماكن العبادات، ونحن نتزاحم في الأسواق، الملائكة يدعوننا إلى بيوت الله وأماكن طاعته، والشياطين يخرجوننا إلى الأسواق وأماكن اللهو واللعب، الأولياء والصالحون يتاجرون فيها مع الله، تجارة رابحة لا خسارة فيها، ونحن نتاجر مع الناس، تجارة معرضة للخسران والضياع، المساجد من الناس خالية، والأسواق منهم مكتظة ومليئة.
ها نحن في أيام وليالي ليلة القدر، ولكن أين أهلها الحريصون عليها؟، وأين الرجال المهتمون بها؟، وأين العباد المشتاقون إلى ما أعد الله فيها لأهلها؟.

قد أنزل الله تعالى في فضل ليلة القدر سورة في القرآن الكريم، تتلى آناء الليل وأطراف النهار، فهي رحمة من الله تعالى لهذه الأمة، ومن رحمته أن جعل إحياءها وقيامها خيراً من عبادة ألف شهر، ومن رحمة الله تعالى أن جعل وقتها محصوراً على رمضان، ومحصوراً على العشر الأواخر منه، بل وفي الأفراد من لياليه، وهذا من تمام النعمة والرحمة، وليلة القدر من أولها إلى آخرها في الفضل سواء، وقد ورد في فضلها أخبار كثيرة فمنها:

ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إذا كان ليلة القدر أمر الله عز وجل جبريل عليه السلام يهبط في كوكبة من الملائكة إلى الأرض ومعه لواء أخضر،

فيركز اللواء على ظهر الكعبة، وله ستمائة جناح منها جناحان لا ينشرهما إلا في ليلة القدر، فينشرهما في تلك الليلة، فيجاوزان المشرق والمغرب، ويث جبريل عليه السلام الملائكة في هذه الأمة، فيسلمون على كل قائم وقاعد، ومصل وذاكر، ويصافحونهم ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر قال جبريل عليه السلام: يا معشر الملائكة الرحيل الرحيل، فيقولون: يا جبريل ما صنع الله في حوائج المؤمنين؟ فيقول: إن الله نظر إليهم في هذه الليلة وعفا عنهم وغفر لهم إلا أربعة: رجل مدمن خمر وعاق والديه وقاطع رحم ومشاحن)) قيل: وما المشاحن يا رسول الله؟ قال: ((المصارم)). وعن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((إن فوق السماء السابعة حضيرة يقال لها: حضيرة القدس فيها قومٌ يقال لهم: الروح، فإذا كانت ليلة القدر استأذنوا ربهم تبارك وتعالى في النزول إلى الدنيا فلا يمرون بأحدٍ يصلي أو يستقبلونه إلا أصابته منهم بركة)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إذا كان ليلة القدر نزل جبريل صلى الله عليه في كوكبة من الملائكة عليهم السلام يسلمون على كل قائم وقاعد يدعون الله إلا لمدمن على خمر أو قاطع رحم)).

وعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((اطلبوا ليلة القدر في العشر الأواخر، وهي ليلة ثلاث وعشرين، أو سبع وعشرين إن شاء الله)).

فلا بد أن نفرغ أنفسنا لهذه الليلة المباركة، ولا نضيعها في الأسواق والشوارع، وأماكن اللهو والشهوات، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)).

وعن جابر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((أعطي أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن من قبلي: أما واحدة فإذا كان أولى ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً، وأما الثانية: فإنهم يمسون وخلوف

فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة: فإن الملائكة تستغفر لهم في ليالهم ونهارهم، وأما الرابعة: فإن الله يأمر جنته أن استعدادي وتزيني لعبادي فيوشك أن يذهب نصب الدنيا وأذاها عنهم وبصيرون إلى جنتي وكرامتي، وأما الخامسة: فإذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعاً، قال فقال قائل: أهي ليلة القدر يا رسول الله؟ قال: ألم تر إلى العمال إذا فرغوا من أعمالهم وُقُوا أجورهم)).

ومما ينبغي التنبيه عليه أمور:

منها: أن اليوم الذي يصبح عن ليلة القدر يكون فضله كفضلها، فعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أربع لياليهن كأيامهن وأيامهن كليااليهن يجزل الله فيها القسم، ويعطي فيها الجزيل: ليلة الجمعة وصبيحتها، وليلة النصف من شعبان وصبيحتها، وليلة القدر وصبيحتها، وليلة عرفة وصبيحتها)).

ومن علامات وأمارات ليلة القدر: أنها صافية بلجة كأن فيها قمراً ساكنة ساجية، لا برد فيها ولا حر، ولا يحل لكوكب أن يرمى به حتى تصبح، وإن أماراتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس فيها شعاع مثل القمر ليلة البدر لا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ.

وينبغي المحافظة على صلاة العشاء والفجر، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله ((من صلى ليلة القدر العشاء والفجر في جماعة فقد أخذ من ليلة القدر بالنصيب الوافر)).

مما يحسن من الأدعية فيها أن يكثر من هذا الدعاء وهو: (اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعفو عنا)، ودعاء كميل، وغيرها من الأدعية المأثورة.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من عتقائه وطلقائه من النار.

٣١- في التوبة ووداع رمضان

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يهتك حجائبه، ولا يغلق بائنه، ولا يرد سائله، ولا يخيب آمله، الحمد لله الذي يؤمن الخائفين، وينجي الصالحين، ويرفع المستضعفين، ويضع المستكبرين، يُهلك ملوكاً ويستخلف آخرين، والحمد لله قاصم الجبارين، مبير الظالمين، مدرك الهاربين، نكال الظالمين، صريح المستصرخين، موضع حاجات الطالبين، معتمد المؤمنين، الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكاتها، وترجف الأرض وعمارها، وتموج البحار ومن يسبح في غمراتها، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا إن هدانا الله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَوْجَبَتْهَا شَوَاهِدُ بَقَائِهِ وَقَدَمِهِ، وَكَلِمَةً حَبَّبَهَا إِلَيْنَا عَوَائِدُ آيَاتِهِ وَنِعَمِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ، وَأَنْطَقَهُ بِالصِّدْقِ، بَشِيرًا لِلْمُتَّقِينَ، وَنَذِيرًا لِلْمُعْتَدِينَ، فَشَرَعَ الدِّينَ، وَهَدَى الضَّالِّينَ، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون: نعيش هذه الأيام في أواخر شهر رمضان الكريم، الموسم لكل الطاعات، والوقت الصالح لجميع العبادات، وإن من أعظم العبادات التي يتقرب بها العباد في هذا الشهر الكريم، هي التوبة، وهي صالحة في كل وقت، في رمضان وفي غيره، وإنما لشهر رمضان مزيد عناية وخصوصية في قبول التوبة، لأن أبواب السماء والدعاء والخير فيه مفتوحة، وأبواب الشر فيها مغلقة، والإنسان أقرب ما يكون إلى الله مع الصيام، لأن الصيام يروض النفس ويؤدبها، ويكبح جماحها فتكون معه أقرب إلى الهدى والتقوى، وأبعد عن المعصية والردى، كما قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ

عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، ويكون الصائم أضعف من أن يقوم بمعصية، فالصيام من أعظم الوسائل إلى نيل التوبة، فهو يجعل العبد خائفاً من الله تعالى، بسبب الجوع والعطش اللذين يذكران العبد جوع يوم القيامة وعطشه، مما يجعل العبد يخاف يوم القيامة فيتوب عن معاصيه.

أيها المؤمنون: إن فتح باب التوبة نعمة من نعم الله تعالى علينا، فإن العاصي والمتعدي لحدود الله، والمقصر في أوامر الله تعالى يكون قد أخلّ بشكر النعم التي أنعم الله عليه، والمخل بشكر النعمة، يستحق العقاب، ولكن الله تعالى لا يريد أن يعذبنا، بل يريد بنا الخير، ويجب لنا ما فيه فائدتنا وصلاحنا في دنيانا وآخرتنا، ففتح لنا باب التوبة ودعانا إليه، ولو كثرت ذنوبنا، وتعددت خطايانا، وتنوعت سيئاتنا فهو تعالى يمحو ويعفو، كما قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ}.

ومن رحمة الله بهذه الأمة أن يسر لها طرق التوبة، وسهلها عليها، فلقد كانت الأمم السابقة، لا تقبل منهم التوبة إلا بأن يقتلوا أنفسهم بأيديهم، بأن يأخذ السيف أو آلة القتل بيده فيقتل نفسه بها، وكان الرجل منهم يصبغ وقد كتب الله تعالى توبته على جبهته، توبتك أن تخرج عينك، أو تقطع أذنك، أو تقتل نفسك، كما قال الله تعالى: {فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}، أما هذه الأمة فقد يسر الله لها السبيل إلى التوبة.

كما روي عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((من أخطأ خطيئة أو أذنب ذنباً ثم ندم فهو كفارة له)).

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((الندم توبة)).
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((التوبة من الذنب الندم والإستغفار، فإن العبد إذا استغفر الله من ذنب غفر له)).

أيها المؤمنون: التوبة هي الرجعة، فرض الله التوبة على الخلق إذا ذهلوا عنه، واشتغلوا بالمعاصي، بأن يرجعوا إليه عما ذهلوا به عنه، لأن التائب هو الراجع. ولكن المشكلة التي نعاني منها في قضية التوبة هي التسويف، فإن الرجل منا يغتر بصحته، وشبابه وصغر عمره، ويحدث نفسه بأن الوقت للتوبة لا زال متسعاً، فنؤخر التوبة إلى أن نشيب ونكبر، ونسينا أن الموت يأتي فجأة، وأن المنية تهجم بغتة. فعن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((النادم ينتظر الرحمة، والمعجب ينتظر المقت، وكل عامل سيقدم على ما قد سلف عند موته، فإن ملائكة الأعمال حواتمها، والليل والنهار مطيتان فاركبوهما بلاغاً إلى الآخرة، وإياك والتسويف بالتوبة، وإياك والغرة بحلم الله عليك)).

وعن لقمان أنه قال لابنه: (يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة).
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((من سَوَّفَ التوبة لم يوفق إليها)).
فعلينا أن بادر بالتوبة، إذا لم نتب في رمضان فمتى سوف نتوب؟! إذا لم نتخلص في رمضان فمتى سنتخلص؟! إذا لم نرجع إلى الله في رمضان فمتى سنرجع؟!
من لم يوفق للتوبة في رمضان فقد حُرِمَ رحمة الله، وهو من الأشقياء، ودخل ضمن دعاء جبريل الأمين الذي أمّن عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله ((من أدرك رمضان ولم يغفر له فأبعده الله قل آمين)) فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((آمين))، ومعنى أبعده الله: أي طرده عن جنته ورحمته ورضوانه.

فما بالك بدعاء دعا به جبريل الأمين، وأمّن عليه محمد خاتم النبيين، أليس مستجاباً بدون أدنى شك ولا ريب.

فهي بنا أيها الإخوة المؤمنون لنفتش عن أنفسنا، لنصلح فسادها، ونقوم أعوجاجها، فهذا موسم الخير يودعنا، وأيامه تتولى عنا، وهو ينذر بالفراق، ويعلم الله من منا يدركه في عام مقبل.

بسم الله الرحمن الرحيم { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ليس له منازع يعادله، ولا شبيه يشاكله، ولا ظهير يعاضده، فهر بعزته الأعزاء، وتواضع لعظمته العظماء، فبلغ بقدرته ما يشاء.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً، صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: ها هو رمضان يؤذن بالخروج، فماذا قدمنا فيه؟!، وما هي أيامه في أواخرها فهل قد أحسنا العمل الصالح فيه؟!، أنت أخي المؤمن شهيد على نفسك، ومؤاخذ بفعلك، ليس فعل غيرك يحسب لك، ولا فعلك يحسب لغيرك، وليست إساءتك على غيرك، ولا إساءة غيرك عليك، كل نفس بما كسبت رهينة.
فالناس في فراق رمضان على قسمين: رجل يحزنه فراقه، لما يعلم أنه يفوته من ثوابه، وهذا هو المؤمن، الذي يؤثر فيه الصيام، ويستفيد من رمضان.
ورجل يفرح لفراقه، لأنه لم يذق حلاوة الصوم والعبادة، ولم يجهد نفسه في الطاعة ليتذوق حلاوة المناجاة لله تعالى، وهذا هو الذي ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ومن قيامه إلا السهر.

أيها المؤمنون: إن كل عامل يوفى أجره إذا أكمل عمله، والله تعالى يقول في الحديث القدسي ((الصوم لي وأنا أجزي به، يترك العبد طعامه وشرابه من أجلي، وعزتي وجلالي لأرضينه))، قرب وقت تسليم أجرة العمال، طوبى لمن كلن عمله كثيراً مباركاً خالصاً مقبولاً، ويا أسفاً على من كان عمله قليلاً، وسعيه قليلاً، ويا حسرتاً على من كان عمله قبيحاً.

فعن عبد الله بن مسعود أنّه كان يقول في آخر ليلة من شهر رمضان: من هذا المقبول منا فنهنته، من هذا المحروم المردود فنعزّيه، أيها المقبول هنيئاً هنيئاً، أيها المحروم جبر الله مصيبتك.

ليت شعري من هو المقبول منا فيهنّا ليت شعري من هو المردود منا فيعزّي

إن آخر ليلة من رمضان هي ليلة الجائزة التي يوفى العباد فيها أجورهم، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إذا كان آخر ليلة منه - أي من رمضان - نظر الله إليهم جميعاً، ومن نظر إليه لم يعذبه أبداً)) قيل يا رسول الله: أهى ليلة القدر يا رسول الله؟، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ألم تر إلى العمال إذا فرغوا من أعمالهم ووفوا أجورهم))، وهي ليلة الجائزة، التي يستلمها العاملون من ربهم، وليست كجوائز الملوك والسلطين، بل هي جائزة العتق من النار، ففيها يعتق الله رقاباً كثيرة من النار.

ولقد كان الصالحون والعباد يعطون هذه الليلة حقها، ويعرفون قدرها، فقد روي أن زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، كان إذا دخل رمضان إذا كان ليلة العيد، جمع عبيده وأرقاءه، وقال لهم: نادوا جميعاً بأعلى أصواتكم، وادعوا الله تعالى. واعلموا أيها المؤمنون: أن الله تعالى جعل لأبداننا زكاة كما جعل لأموالنا زكاة، فزكاة الأبدان هي زكاة الفطر وصدقته، وهي رحمة من الله تعالى يتمم الله بها ما نقص من أجر الصيام، ويجبر بها ما حصل من خلل في الصيام، فعن أبي سعيد الخدري، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشية التي تقال لها ليلة الفطر، فقال: ((إن زكاة الفطر واجبة على كل صغيرٍ وكبير، على كل حرٍ وعبد ذكر وأثنى، صاعاً من تمر أو صاعاً من أقط أو صاعاً من زبيب)).

ويجوز تقديمه قبل يوم العيد، فعلينا أن تفقد الضعفاء والمحتاجين، والفقراء والمساكين في هذه الليالي والأيام المباركة المتبقية من هذا الشهر، فكم من ضعيف مسكين لا يجد لنفسه ولا لأهله نفقة، ولا كسوة عيد، وكم فقير تنهمل دموعه على

أولاده وعوائله لا يجد لهم كسوة ولا نفقة، وكم من محتاج متعفف لا يسأل أحداً قد
عصر الفقر ثيابه، وطوى الجوع بطنه، فلنغتنم هذه الأيام المتبقية في تفقد أحوال
المحتاجين، والنظر في حوائج المساكين، فإن الدرهم بسبعين درهماً، والله تعالى
يضاعف لمن يشاء، كيف لو صادفت محتاجاً مملقاً، وفقيراً عائلاً، فأجرها عند الله
كبير، وثوابها كثير، والله تعالى لا يضيع أجر العاملين، ولا يفوته شيء من أعمال
المؤمنين، وقد وعد من أنفق بالخلف، وتوعد من أمسك بالتلف، فإن الله تعالى
جعل في كل ليلة من هذه الليالي المباركة منادياً ينادي ((اللهم اعط كل ممسك مالاً
تلفاً، واعط كل منفق مالاً خلفاً)).

جعل الله صيامنا في هذا الشهر صيام الصائمين، وقيامنا قيام القائمين إنه على
كل شيء قدير.

٣٢ - حول مواضيع متعددة في شهر رمضان**الخطبة الأولى**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل القرآن وسيلة إلى نيل منازل الكرامة، وسبباً نجزي به النجاة في عرصة القيامة، وذريعة نقدم بها على نعيم دار المقامة، حمداً دائماً متسقاً، ومتوالياً مستوسقاً، يملأ الأرض والسماء، يكون لحقه أداء، ولشكره قضاء، نستزيد به النعم، ونستدفع به النقم، ليس لأوليته انتهاء، ولا لآخريته انقضاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي عمّ الخلائق جدواه، وتمّ حكمه فيمن أضل منهم وهداه، وأحاط علماً بمن أطاعه وعصاه، مقرأً له بالعبودية خاشعاً، معترفاً له بالوحدانية طائعاً، مستجيباً لدعوته خاضعاً، متضرعاً لمشيتته متواضعاً، له الملك الذي لا نفاذ لديموميته، ولا انقضاء لعدته.

وأشهد أن محمداً عبده الكريم، ورسوله الطاهر المعصوم، بعثه والناس في غمرة الضلالة ساهون، وفي غرة الجهالة لاهون، فقام صلوات الله عليه وآله فيهم مجداً في الإنذار، آناء الليل وأطراف النهار، بعزم ثاقب، وحكم واجب، حتى انتشر الإيمان، وتفرق حزب الشيطان، وأعز الله جنده، وعُبد وحده، صلى الله عليه وعلى آله في كل وقت وحين. أما بعد أيها المؤمنون: شهر رمضان موسم لكل طاعة، ووقت لكل عبادة، فالسعيد من حرص عليه واهتم به، والشقي من غفل عنه وضيعه، و نذكر بعض الأمور الهامة التي ينبغي أن نتنبه لها في هذا الشهر الكريم:

الأول: التوبة والرجوع:

من أعظم العبادات التي يتقرب بها العباد في هذا الشهر الكريم، هي التوبة، وهيصالحة في كل وقت، في رمضان وفي غيره، وإنما لشهر رمضان مزيد عناية وخصوصية في قبول التوبة، لأن أبواب السماء والدعاء والخير فيه مفتوحة، وأبواب الشر فيها مغلقة،

والإنسان أقرب ما يكون إلى الله مع الصيام، لأن الصيام يروض النفس ويؤدبها، ويكبح جماحها فتكون معه أقرب إلى الهدى والتقوى، وأبعد عن المعصية والردى، كما قال تعالى {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون}، ويكون الصائم أضعف من أن يقوم بمعصية، فالصيام من أعظم الوسائل إلى نيل التوبة، فهو يجعل العبد خائفاً من الله تعالى، بسبب الجوع والعطش اللذين يذكران العبد جوع يوم القيامة وعطشه، مما يجعل العبد يخاف يوم القيامة فيتوب عن معاصيه. التوبة هي الرجعة، فرض الله التوبة على الخلق إذا ذهلوا عنه، واشتغلوا بالمعاصي، بأن يرجعوا إليه عما ذهلوا به عنه، لأن التائب هو الراجع.

ولكن المشكلة التي نعاني منها في قضية التوبة هي التسوية، فإن الرجل منا يغتر بصحته، وشبابه وصغر عمره، ويحدث نفسه بأن الوقت للتوبة لا زال متسعاً، فتؤخر التوبة إلى أن نشيب ونكبر، ونسينا أن الموت يأتي فجأة، وأن المنية تهجم بغتة. فعن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((النادم ينتظر الرحمة، والمعجب ينتظر المقت، وكل عامل سيقدم على ما قد سلف عند موته، فإن ملاك الأعمال خواتمها، والليل والنهار مطيتان فاركبوها بلاغاً إلى الآخرة، وإياك والتسوية بالتوبة، وإياك والغرة بحلم الله عليك)).

وعن لقمان أنه قال لابنه: (يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة). وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((من سَوَّفَ التوبة لم يوفق إليها)). فعلياً أن بادر بالتوبة، إذا لم نتب في رمضان فمتى سوف نتوب؟! إذا لم نتخلص في رمضان فمتى سنتخلص؟! إذا لم نرجع إلى الله في رمضان فمتى سنرجع؟! من لم يوفق للتوبة في رمضان فقد حُرِمَ رحمة الله، وهو من الأشقياء، ودخل ضمن دعاء جبريل الأمين الذي آمن عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله ((من

أدرك رمضان ولم يغفر له فأبعده الله قل آمين)) فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((آمين))، ومعنى أبعده الله: أي عن جنته ورحمته ورضوانه.

فما بالك بدعاء دعا به جبريل الأمين، وأمن عليه محمد خاتم النبيين، أليس مستجاباً بدون أدنى شك ولا ريب.

فهيأ بنا أيها الإخوة المؤمنون لنتفتش عن أنفسنا، لنصلح فسادها، ونقوم أعوجاجها، فهذا موسم الخير يودعنا، وأيامه تتولى عنا، وهو ينذر بالفراق، ويعلم الله من منا يدركه في عام مقبل.

الثاني: القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان}، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((رمضان ربيع القرآن))، أي وقته وموسمه، فرمضان شهر القرآن، فيه أنزل، وفيه يتلى ويرتل، ويبين ويفسر ويفصل، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهتم بالقرآن اهتماماً كبيراً، ويعلمه أصحابه، ويعلمهم تفسيره، وكان يتدارس القرآن مع جبريل الأمين في كل سنة في شهر رمضان، يعرض عليه ما قد نزل عليه في كل عام، فلما كان العام الذي توفي فيه صلى الله عليه وآله وسلم قرأ القرآن مع جبريل مرتين، وعرضه عليه مرتين.

كما روي عن ابن عباس قال: (كان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن)، وفي رواية أخرى (فيدارسه القرآن)، وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسر إلى ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام فقال لها: ((إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي)).

وقد اقتدى الصحابة المخلصون، والأئمة المهتدون، والأولياء والصالحون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجعلوا القرآن قوت أبدانهم، وراحة قلوبهم، وقوا به

إيمانهم، وصححوها به يقينهم، فقاموا به آناء الليل، وتلوه أطراف النهار، وخشعت له جوارحهم، وسالت من الخوف والفرع مدامعهم.

وكانوا يكثرون من تلاوته في رمضان، فكان بعضهم يجتم المصحف في كل ثلاثة أيام، وبعضهم في كل خمسة أيام وبعضهم في كل سبعة أيام، بل بعض العباد الذين تخلوا للعبادة كان يقرأ في كل يوم ختمتين، ختمة في الليل وختمة في النهار، فكان يجتم القرآن في رمضان ستين ختمة، كما روي ذلك عن عابد اليمن إبراهيم بن أحمد الكينعي رحمة الله عليه، والله القائل:

فشمروا وُلدُ بالله واقراً كتابه
هو الذخر للملهوف والكنز والرجا
به يهتدي من تاه في مسلك الهوى
به يتسلى من دهته الفجائع

غفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إن أحسن الحديث وأبلغ المواعظ، وأنفع الذكر كتاب الله جل وعز، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو الفتاح العليم، بسم الله الرحمن الرحيم { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٍ مِّسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }، أستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ليس له منازع يعادله، ولا شبيه يشاكله، ولا ظهير يعاضده، قهر بعزته الأعداء، وتواضع لعظمته العظماء، فبلغ بقدرته ما يشاء.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد يحيى ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً، صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: الثالث: الإهتمام بالمساجد:

المساجد بيوت الله في الأرض، أذن في عمارتها بالبناء والعمران، وأمر بعمارتها بالطاعات والعبادة، فهي أماكن التجمع للعبادات، فعن جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((المساجد سوق من أسواق الآخرة، من دخلها كان ضيف الله، قرآؤه المغفرة، وتحيته الكرامة، فعليكم بالرتاع، قيل يا رسول الله: وما الرتاع؟ قال: الدعاء والرغبة إلى الله عز وجل)).
وعن الإمام الحسن السبط عليه السلام قال: سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((من أدمن الاختلاف إلى المساجد أصاب أرحم رطباً من الرطب، أو أرحم لبناً من اللبن)).

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أحب الله عز وجل أحب القرآن، ومن أحب القرآن أحبني، ومن أحبني أحب قرابتي وأصحابي، ومن أحب الله وأحب القرآن وأحبني وأحب قرابتي وأصحابي أحب المساجد فإنها أفنية الله وأبنيته، أذن في رفعها وبارك فيها، مباركة مبارك أهلها، محفوظ أهلها،

ميمونة ميمون أهلها، هم في مساجدهم والله عز وجل في حوائجهم، هم في صلاتهم وفي ذكرهم، والله عز وجل يحوط من ورائهم وتكفل بأرزاقهم)).

فالناس في رمضان يتوافدون إلى المساجد بشكل أكثر من تواجدهم في غير رمضان، وقد تقع أخطاء كثيرة بسبب ذلك التجمع، فنريد أن ننبه على بعض الأخطاء، حتى تتمكن جميعاً من معالجتها، وحتى لا ينقلب ذلك التجمع إلى العكس مما حصل من أجله، ومن تلك الأخطاء:

الأول: رفع الأصوات فيها، وهو من الأخطاء الشائعة، والتي ورد النهي عنها، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم، وبيعكم وشراكم، ورفع أصواتكم)).

الثاني: البيع والشراء، والمراد به عقد البيع، أو الإتفاق على ذلك، أو المساومة في السلعة، أو نحو ذلك مما هو من مقدمات البيع والشراء.

الثالث: وتجنيب المساجد الصبيان والمجانين، لأنهم عرضة للتنجيس، وشغلة المصلين، والمراد بالصبيان الذين لم يبلغوا حد التمييز وليس في حضورهم فائدة من تعليم أو غيره، فأما إذا كان الصبي يحضر للتعلم، أو التمرين على الصلاة، مع كونه نظيف البدن والثوب، وقد بلغ سن الثامنة، فلا مانع من ذلك.

الرابع: وأحاديث الدنيا، وما أكثر الإجماع في المساجد في هذا الزمان لأجل أحاديث الدنيا، بل أصبح البعض من الناس لا يأتي إلا لأنه يلقي من يتناول معهم أطراف الحديث، ويتناقل معهم الأخبار، وقد ورد التهديد الشديد على ذلك، كما روي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم، ليس لله فيهم حاجة)).

وعن الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم في أمر دنياهم فلا تجالسوهم، فليس لله فيهم حاجة)).

الخامس: نظافة المساجد وصيانتها من الأوساخ والأقذار، وتجنّبها من البصاق والمخاط والنخامة، وقص الأظفار، وحلق الشعر وغيرها، وقد ورد في إزالة وإخراج الأذى منها الأجر الكثير، والثواب العظيم.

فعن علي عليه السّلام قال: (أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بيناء المساجد، وأن تطيّب، وتطهر، وتنظّف، وأن تجعل على أبوابها المطاهر)، وقال عليه السلام: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنّة)).

وعن علي عليه السّلام قال: كانت جارية خالسية تلتقط الأذى من مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ففقدتها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ فسأل عنها، فقيل: توفيت، فقال: ((لذلك رأيت لها الذي رأيت، كأنها في الجنّة تلتقط من ثمرها))، ثم قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((من أخرج أذى من المسجد كانت له حسنة، والحسنة عشر أمثالها، ومن أدخل أذى في مسجد كانت عليه سيئة، والسيئة سيئة واحدة)).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((عُرِضَتْ عَلَيَّ أَجْوَرُ أَعْمَالِ أُمَّتِي، حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ)).

فأما النخامة أو البصاق في المسجد فقد ورد التهديد والوعيد عليها، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها)) أي إزالتها، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من نفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفله بين عينيه)) وفي رواية أخرى ((جاء يوم القيامة ونخامته بين عينيه)).

وعن علي عليه السلام قال: (إن المسجد ليلتوي عند النخامة، كما يلتوي أحدكم إذا وقع به) - يعني إذا وقع به ما يكرهه -.

وكفارة النخامة إزالتها وضمخها بالطيب أو الزعفران أو الرائحة الطيبة، كما روي عن علي عليه السلام عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((من وَفَّرَ المسجد بنخامته لقي الله يوم القيامة ضاحكاً، وأعطاه كتابه بيمينه))، أي من عظم المسجد بإزالة النخامة.

السادس: تجنب أكل ما يؤذي وينتج منه رائحة كريهة كالثوم والبصل ونحوهما، لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، وقد ورد النهي عن ذلك، فعن عن علي عَلَيْهِ السَّلَام، قال: دخل رجل من أهل اليمن وقد أكل الثوم؛ فتأذى به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا))، وفي رواية عن جابر ((من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا، - أو فليعتزل مسجدنا)).

ولا يعني هذا تحريم أكل البصل والثوم والكرات ونحوها، وإنما كره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذلك لمن حضر الجماعات في المسجد؛ لئلا يتأذى به أحد من المسلمين.

السابع: ومما يلزم تجنيبه المساجد، إنشاد الضالة، فعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أنه نهى عن إنشاد الضالة في المسجد.

أيها المؤمنون: هناك أوقات فاضلة وشريفة يهملها الناس في رمضان بسبب النوم، وهي من الأوقات التي لا ينبغي التفريط فيها، فمنها:

الأول: من بعد الفجر إلى طلوع الشمس، فترى المصلين بعد أن يكملوا صلاة الفجر يتسابقون على الأبواب، مبادرة إلى النوم، ويتركون الذكر والدعاء في ذلك الوقت الفاضل، فقد روي عن علي (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قعد في مصلاه الذي يصلي فيه الفجر يذكر الله حتى تطلع الشمس كان له من الأجر كحاج بيت الله)).

وعن الحسن بن علي عليهما السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من صلى صلاة الصبح ثم جلس في مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس كان له حجاباً أو ستراً من النار)).

وعن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((والذي نفس محمد بيده لدعاء الرجل بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أنجح في طلب الحاجة من الضارب في الأرض بماله)).

الثاني: وقت الإفطار، يشتغل الناس فيه بالفطر، والتجهيز للأكل، مع أنه وقت تجاب فيه الدعوة، فإن للصائم دعوة مستجابة عند إفطاره، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أدعية في هذا مثل ((اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل صيامنا))، ومثل ((ذهب الظماء وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله))، ويدعو بالعتق من النار، وبخير الدنيا والآخرة.

الثالث: وقت السحر، فهو وقت الصلاة والدعاء والذكر.

الرابع: وقت الأصيل: ما بعد العصر إلى المغرب.

الخامس: وقت ما بين المغرب والعشاء، وكذلك إذا دخل الإنسان الصائم ولم تقم صلاة المغرب فليتنفل بركعتين، أو يجلس فيذكر الله ويستغفر فإن وقت المغرب من أوقات الإستغفار التي وردت فيها الآثار.

وفقني الله وإياكم لطاعته، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

٣٣- حول مواضيع متعددة هامة في شهر رمضان

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بشهر رمضان من بين سائر الأمم، وأفاض علينا فيه عوائد النعم، وأجاد علينا فيه أنواع الإحسان والكرم، وجنبنا فيه الأسواء والنقم، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين، ودليل المهتدين، وقدوة المتعبدين، ونور المسترشدين، وأقرب الخلق وسيلة عند رب العالمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

الصيام مدرسة روحية وأخلاقية، لتهذيب النفس وتربيتها، وتحسين السلوك والمعاملة، ولكن تدريب الجسد والروح على ذلك يحتاج منا إلى العزم وصدق الإرادة، وذلك لا يكون بقوة الأمر والنهي، ولكن يكون بالحب والرغبة، والقيام بالطاعة اختياراً، فبقدر الشوق والحب يكون التأثير والتغير.

والحب والرغبة والشوق يتوقف على معرفة الشيء الذي نحبه ونشتاق إليه، فبقدر المعرفة يكون التعظيم والإهتمام، فالذي يعرف فضل رمضان وأهميته تتطلع نفسه المؤمنة بلهف شديد، وشوق متزايد إلى هلال رمضان قبل وقته بشهرين أو أكثر، فهو يهيئ نفسه ويروضها، ويتعاهد أحواله، ويتفقد شؤونه الإيمانية كي يستقبل رمضان بروح عالية، ورغبة متناهية، فإذا هَلَّ هلال رمضان بالبركة سارع وسابق إلى ميادين الخيرات والقربات، وتنقل في بستان الطاعات والعبادات المتنوعة، يجني حالي الثمار، ويقتطف أطيب روائح الأزهار، فهو يتغير إلى الأحسن، ويتطلع إلى الأكمل.

فهو يقوم بترسيخ عزيمة ثابتة، وإرادة صادقة لا يتطرق إليها الشك أنه لا بد أن يستقيم على دين الله تعالى، وهدى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في كل شؤون العبادة والطاعة، حتى ولو تعارض مع هواه الشخصي، ورغبته الخاصة، فهو قد رضى نفسه وأعدّها وهياًها دون ضعف أو تخاذل، فمهما عرضت له المغريات، وراودته الشهوات، فلن يؤثرها على ما قد عزم عليه، بل يؤثر رضا الله على هواه، وطاعته على طاعة سواه.

وهذا من الأمور التي نحتاج إليها في رمضان، بل في جميع حياتنا على حد سواء حتى نلقى الله.

فمن هنا يحصل الفرق بين سمرّ الحياة الإنسانية، ودناءة وخسة الحياة البهيمية، فصاحب الحياة الإنسانية لديه إرادة راسخة، وعزيمة صادقة، ولو خالف هواه وشهوته، فلا تستذله الشهوات واللذات حين تدعوه إليها، بل يقف وقفاً حازمة، بكل عزة وشموخ رافضاً كل دعوة تتنافى مع دينه وأخلاقه وسلوكه الإيماني.

بينما صاحب الحياة البهيمية يميل ويدعن ويستجيب إلى كل الإغراءات والمراديات، لأن شغله الشاغل، وعمله الدؤوب المتواصل هو إشباع رغبته، والنزول عند شهوته، والحصول على لذته، ولو كانت مخالفة للقيم الدينية، والشيم الإنسانية، لأنه فقد العزيمة والإرادة التي ترده عن قبول السلوكيات الدنيئة الهابطة.

أيها المؤمنون: لو قيل للواحد منا بأنه لن يدرك شهر رمضان في السنة الثانية، وأنه سيموت في خلال هذه السنة، كيف سيكون تصرفه؟ وكيف سيكون استعداده؟

بلا شك سيدخله الخوف والفرع، ويختلجه الحزن والجزع، وسيبدأ بتغيير مجريات حياته إلى الأحسن، فسيقوم بالتوبة، وبيادر بالرجوع، وبتخليص من الحقوق، ويهتم بالعبادات، ويطيل الصلوات، ويكثر تلاوة الآيات.

إذا كان الأمر هكذا فهناك بعضُ الأمور الهامة التي نريد الكلام حولها في شهر رمضان، ونحتاج إلى الفهم والنظر الثاقب كي نحسن التعامل معها:

الأول: إضاعة الوقت بين سهر الملهي والنوم المسهي:

نرى الكثير من شبابنا إذا جاء رمضان يفرح ويستبشر، ولكنه فرح واستبشار على النقيض مما ينبغي، فهو لا يفرح لأنه سيدرك فضيلة الجماعات، ولا لأنه سيكثر من القربات والطاعات، ولا لأنه سيلتزم المساجد للتلاوة والعبادات، بل لأنه سيعيش في حالة اجتماعية يلزمه معها أن يسهر طوال الليل، لأنه سيلقى من أبناء جلدته من يتوافق مع طبيعته ولهوه، فأجواء رمضان الليلية الاجتماعية تعيد عنده ذاكرة الأجواء النهارية في غير رمضان، فقد ألف واعتاد الجلوس والبقاء مع أشخاص معينين، وفي أماكن معينة، لكن لا سبيل إليها في النهار فهو يفرح بتعويضها ليلاً وبوقت أطول، وهدوء أكثر، فهو سيسهر الليل كله، فلا بد أن يعوضه بالنوم طوال النهار، بل البعض يكلف نفسه مشقة السهر لكي ينام أكثر النهار، ويا ترى ما هي الأسباب والدواعي إلى ذلك؟

لو تأملنا الأسباب والدواعي لوجدنا الإجابة هي: أن البعض من ضعفة النفوس، ومرضى القلوب، يعتقدون أن الصيام سبب في الخمول والتعب والتراخي، فالصيام عندهم يسبب في نقص الطاقة الجسدية، بسبب قلة الأكل، فهو يحتاج إلى البحث عن وسائل الراحة بزيادة حصة النوم من ساعات النهار.

ولو تساءلنا هل الصيام يدعو إلى الحركة والنشاط، أم يسبب في الكسل والخمول؟ لوجدنا الجواب هو: أن الصيام يدعو إلى النشاط، ويزيل دواعي الكسل، لأن الصائم ممتنع عن الأكل في النهار، والأكل هو سبب الخمول، فالإنسان يعلم من نفسه الرغبة في النوم بعد تناول وجبة الغداء أو العشاء مباشرة، ومن ثم يحصل الكسل عن الأعمال التي كان يريد القيام بها قبل أن يملأ بطنه.

بينما الامتناع عن الأكل نهاراً يوفر الوقت الذي كان يحتاجه في تناوله، ويزيد من نشاطه، ومن هنا نعرف أن الأكل هو السبب، فإذا كان الصائم في النهار لا يأكل، فمن أين سيأتيه الكسل؟

سيأتيه من جانب البعد عن الله تعالى، لأنه لو اتبع تعاليم الإسلام لما ضيع النهار في النوم والليل في السهر، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يأخذون وقتاً من الليل يريحون فيه أبدانهم، ليتقنوا به على عبادة ربه، فحينما يأخذ الجسم راحته في جزء من الليل-لوقليلاً- فإنه سينشط في النهار، ويكفيه أن ينام إلى الظهر أو قبله مثلاً.

أما حين يقطع الليل كله في مجالس القات، والتسكع في الأسواق، والتضييع للأوقات الفاضلات، واللعب واللهو ومتابعة القنوات، والحرص على الحلقات، والعكوف على الشاشات، فهذا هو الضياع بعينه، وتراه يستعجل بصلاة الفجر، ولا يبالي أن يصلحها ولو قبل وقتها، وقد لا يخرج إلى المسجد بل يصلي في البيت بسرعة فائقة جوار سريره كي يبادر الفراش بعد السلام مباشرة، هذا إن صلى، وأما إذا دامه النوم قبل الفجر، واشتد ميلان الرأس، من شدة النعاس، فقد لا يفيق لصلاة الفجر إلا بعد خروج وقتها، ثم ينام نهاراً إلى قبل العصر أو بعدها، فقد ضيع مع الفجر الظهر والعصر، فإذا جاء وقت الإفطار أكل بكل شراهة، فلا يقوم لصلاة المغرب إلا وقد صلى الناس، ثم يقوم ويصلي العشاء قبل وقتها، ليبادر تلك الأماكن التي يعتادها، فقد ضيع مع ما سبق المغرب والعشاء، فهذا من الذين ينطبق عليهم قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش)).
والبعض يمني نفسه بالأمان الكاذبة، ويعدها بالوعود الخائبة، فإذا قيل له: ما لك تكثر النوم؟ أجاب بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((نوم الصائم عبادة، ونفسه تسبيح))، ولكن من هو الصائم الذي نومه عبادة ونفسه تسبيح؟

هو الصائم الذي يتعب نفسه ويجهداها في الطاعة، وينوع لها العبادة، فتارة يصلي، وتارة يقرأ القرآن، وتارة يذكر الله، وأخرى يدعو الله، فهو في بستان الطاعة متنقل، وفي رياضها منشغل، فينام للراحة واستعادة النشاط، فهذا هو الذي يكون نومه عبادة، أما من يقطع ليله على القنوات والتلفزيونات، وفي الأسواق ومجالس اللهو واللذات، ثم يتعلل بأن نومه عبادة، فقد منى نفسه بالأمان الكاذبة.

أيها الصائم: أليس من الهدر أن نضيع شهراً كاملاً، كشهر رمضان المبارك الكريم في سهر يلهينا، ونوم يسهينا؟ فالجواب يكون على قدر الإهتمام بالطاعة، والرغبة في العبادة. وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا في هذا الشهر الكريم من عتقائه وطلقاته ونقذائه من النار، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إن أحسن الحديث وأبلغ المواعظ، وأنفع الذكر كتاب الله جل وعز، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو الفتاح العليم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}}، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وليّ الحمد وأهله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: نواصل بقية المواضيع والأمور الهامة في شهر رمضان:

الثاني: القنوات الفضائية والشاشات

البعض من الناس بدلاً من استثمار شهر رمضان في طاعة الله تصرفه بعض العادات الإجتماعية عن اغتنام أوقاته فيما يرضي الله تعالى.

فتراه يُهدر الأوقات الطائلة في الجلوس بين يدي شاشة صغيرة، لمشاهدة ما تبثه القنوات الفضائية، بدلاً من الجلوس بين يدي كتاب الله.

والمشكلة الكبرى أن هذه القنوات الفضائية تزداد شراسة في شهر رمضان، حيث تستعد ببرامج خاصة تحت مسميات كثيرة، من مسلسلات وأفلام ومسابقات وغيرها، وكلها تشترك في هتك حرمة شهر الله المعظم، وكأنّ منفذوها اختاروا هذا الشهر المبارك لبثها ليصرفوا الناس عن العبادات، بما يقدمونه خلال برامجهم من أمور ملهية، أو أمور سيئة يندى لها جبين المسلم الغيور على دينه.

لقد أصبح الفضاء العربي والإسلامي ميداناً للتنافس الشرس بين عشرات بل مئات القنوات الفضائية المتزايدة يوماً بعد يوم، وأكثرها تتضمن أشياء تدعو إلى الإنحلال والإنهيار الفكري والأخلاقي.

وفوق ذلك فهي لا تحترم عقول المشاهدين والمتابعين، بل تتعمد الإستهزاء والسخرية بهم، والدليل على ذلك: أن أكثر ما تبثه القنوات في شهر رمضان يدل على أنهم يتعمدون صرف الناس عن تعظيم شهر رمضان، ويسعون جاهدين إلى تجهيل الناس كي لا يعرفوا المعنى الحقيقي لوظائف وأعمال شهر رمضان،

فالقائمون على إدارة وبرمجة القنوات يشعرون أنّ جمهور المشاهدين هم أناسٌ أقرب إلى الجهل، وبسطاءٌ لا يحتملون جهداً من التركيز للتمييز بين ما ينفعهم وما يضرهم، وفارغون نفسياً ووجدانياً ينتظرون الأغاني والرقصات والفكاهات لكي تشبع أفئدتهم الفارغة، ويتربون عرض الدعايات والمسلسلات المضحكة التي تدل على قلة وعيهم، ودناءة ذوقهم، ولو كان المشاهدون على قدر من الوعي لتروا مشاهدة تلك البرامج التي تستهين بهم، وتضيع أوقاتهم، ولو تركوا مشاهدتها لما راجت هذه البضاعة الفاسدة في أوساط الأسر وتغلغلت في داخل المجتمعات، ولكانت مضطرة إلى حذف تلك البرامج وتقديم البرامج النافعة التي تحترم وعي المشاهد وتراعي حرمة الشهر الكريم، وتُحسِّن إلى المسلم بدلاً من أن تسيء إليه. فإذا كان الإنسان غيوراً على نفسه وأهله، فعليه أن يحمي أسرته من هذه الشاشات والقنوات التي تضيع أوقاتهم، وتستخف بدينهم ومشاعرهم وعقولهم وقيمهم.

ومما يثير العجب: أنك ترى إقبالاً كبيراً على محلات الإلكترونيات قبل دخول شهر رمضان، يتسابقون إلى شراء الشاشات، أو إصلاح ما قد تعطل منها، بل قد يقوم بعض المنحلين أخلاقياً ببيع بعض الأشياء الثمينة عنده ليقبضوا هذه الملهيات، التي تلهيه وتلهي أهله، ويؤثر شراءها على شراء بعض المحتاجات الضرورية واللازمة للأسرة. وإذا أردت نصيحته، أو حاولت صرفه يتعلل ويعتذر بأنه يريد أن يتابع أخبار العالم الإسلامي، ويهتم بشؤون المسلمين، وهذا عذر أقبح من فعل، وتعليل بارد لا يقبله العقل السليم، لأن من لم يهتم بأمر نفسه وأهله، كيف سيهتم بأمر المسلمين عموماً، إذا لم يستطع أن يتابع أولاده أين ذهبوا؟ ومع من مشوا؟ وأين غابوا؟ ومتى إلى البيت عادوا؟ وهل صلوا الصلوات في المسجد في جماعة أم لا؟ وهل تَلَّوْا شيئاً من القرآن أم لا؟ من لم يتابع أولاده وأسرته في هذه الأمور الدينية، بالله عليك كيف سيتابع أو يهتم بأمور المسلمين، وهذا إنما هو من تزيين الشيطان له ما يجعله يتقبل هذه الفكرة، ويرجحها على غيرها.

أو يعتذر بأنه يريد أن يقطع الوقت وهو يتابع القنوات، ويمثّل خاشعاً قانتاً أمام الشاشات: وهذا عذر من لم يعرف أهمية الوقت، فبدلاً من استثمار ساعات الليل والنهار في الطاعات، يضيعه فيما يعود عليه بالولايات والحسرات، فيا ترى من أسوأ منه حالاً، ومن أكسف منه بالاً، وما أحقه بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أتاني جبريل وقال لي: يا محمد، من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له، فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين))، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الشقي كل الشقي من حرم فيه رحمة الله))، فهل يحسب هذا أو يظن أنه سينال رحمة الله بابتعاده عن الله، وعن بيوته، وعن كتابه، وعن أوليائه، لقد خاب ظنه وخسر.

الثالث: الأسواق: شهر رمضان شهر تكثر فيه الأرباح الدنيوية والأخروية، ولكل أرباح سوق، ولكل سوق أماكن وأهل، فأماكن الأسواق والأرباح الأخروية هي المساجد وأماكن الطاعات، وأماكن الأسواق والأرباح الدنيوية هي أماكن البيع والشراء، والناس بين مستعد للأرباح الأخروية، ومستعد للأرباح الدنيوية. فأهل الأرباح الدنيوية تبدأ تجهيزاتهم واستعداداتهم من قبل رمضان بشهر أو نحو ذلك، فتكثر الأعمال لديهم بسبب إقبال الناس عليهم، فمن أول الشهر يكون الإقبال على محلات المواد الغذائية لتوفير الاحتياجات الغذائية للأسرة، وما إن يبدأ الشهر بالإنصاف حتى يبدأ الإقبال على محلات الملابس، ويتزايد ذلك بدخول العشر الأواخر.

فالإنسان الحريص العاقل لا يجعل نفسه ووقته عرضة للضياع والإهمال، بل ينظم وقته، فلا يرتاد الأسواق إلا لقضاء حاجته وحاجة أهله ثم يعود إلى جدول طاعاته، واستغلال أوقاته.

والإنسان المضيع يقطع أكثر ليله وأكثر نهاره في الأسواق، فتراه من بعد الظهر أو من قبل العصر إلى قبل المغرب في السوق، ثم يعود إلى بيته لتناول الإفطار ثم يعود إلى السوق ويبقى فيه إلى بعد منتصف الليل بساعة أو ساعتين، وهكذا

دواليك من أول الشهر إلى آخره، فكلما عرضت له حاجة ولو قلت أو صغرت يذهب إلى الأسواق ويقطع الساعات ركضاً وراء الشهوات، والبعض يرتاد الأسواق لحاجة ولغير حاجة، فلا يستطيع أن يمتنع من السوق يوماً أو ليلة، بينما يغيب عن المسجد الأيام والليالي ولا يبالي.

وأما أصحاب رؤوس الأموال فحدث عنهم وعن انشغالهم، فلا يكاد يتفرغ للمسجد إلا فيما شذ وندر، أو ليست سنة كاملة يجمع فيها الأموال، ويكنز الأرباح كافية وكفيلة بأن تعوله في شهر، يتفرغ فيه للطاعة والعبادة.

الثالث: كيف تتعامل مع أهلك وأولادك في رمضان:

يغيب عن كثير من الآباء جانب الإهتمام الديني بأولاده، بينما يسعى جاهداً لتوفير محتاجاتهم الدنيوية من مأكّل ومشرب وملبس، فهو منشغل بهم من جانب، ومهمّل لهم من أهمّ الجوانب.

والبعض من الآباء يحاول التخلص ما أمكنه من الضوضاء والمشاكل والصخب الذي يثيره الأولاد، لأنه في النهار صائم، وفي الليل هائم.

وهذا الإهمال من الظواهر والعادات الإجتماعية السيئة التي تنتشر في رمضان، وفي غيره، فترى الأب لا يسأل عن أبنائه ولا يهتم بهم في أي واد سلكوا، ولا إلى أي مذهب اتجهوا، فأولاده في الشوارع أو أمام الشاشات المفتوحة على كل المحطات الفضائية والقنوات، دون رقابة أو اهتمام، مما ينتج عن ذلك نشوء سلوكيات جديدة، وأخلاقيات غريبة ضارة، تبقى آثارها عليهم بعد ذلك في شتى مجالات الحياة.

فالشوارع والأندية والأسواق بيئة غير مضمونة في سلامة أولادك دينياً وأخلاقياً، بل قد تقود إلى ما لا تحمد عقباه من المفاسد، وقد يستغل أصحاب السوء هؤلاء الأولاد في أمور خطيرة من الناحية الأخلاقية والأمنية، مستغلين فرصة إهمال الآباء لأبنائهم.

وأما شاشات التلفزيونات فهي كبيرة الخطر على الأولاد خصوصاً، فهي تغيّر كثيراً من التربية الاجتماعية والتربوية، فقد كشفت بعض الدراسات من بعض

الخبراء أن أغلب الأطفال وكثيراً من الكبار يميلون إلى تقبل وحفظ المعلومات التي تظهر في الأفلام والمسلسلات، ويتذكروها بشكل أفضل، لأنها تبدو واقعية.

فقد أثبتت الدراسات أن الأطفال يحبون أن يتصفوا بصفات الشيء المحبوب الذي يشاهدونه، ولو كان غير سوي في خلقه وسمته، ويحاول التقليد لما يشاهده عندما يعرض له مسلسل عن الجريمة وكيفية القيام بها، وأسلوب تنفيذها، وطرق القيام بها.

فالشاشات تسرق من الأبناء أوقات المذاكرة والفائدة، وتمنعهم من القراءة المفيدة، ولها تأثيراتها على الصحة فهي تزيد من اضطرابات النوم لدى الأطفال، مثل الكوابيس والأرق والتوتر النفسي والخوف وغيرها.

فإذا كان الإهمال بهذه الخطورة فالواجب علينا أن نهتم بجانب أبنائنا وأن نستغل هذا الشهر في تعليمهم وتربيتهم، وتحفيظهم كتاب الله، وتعويدهم على الصلوات في أوقاتها في جماعة، وتعويد من يستطيع منهم على الصوم، إذا كان قد بلغ الثانية عشر أو الثالثة عشر من عمره وهو في حالة صحية جيدة، وبنية جسدية مناسبة، كي يتعودوا على الصوم، وتسهل لديهم وظائف العبادة.

ولا بد أن نمنحهم جزءاً من أوقاتنا فنأخذهم إلى المسجد، وندفع بهم إلى حضور دروس العلم، وحلقات الذكر، بما يتناسب مع أعمارهم، ونوجههم إلى القراءة النافعة، وممارسة العادات الحسنة، ونشجعهم على قدراتهم ومهاراتهم الإبداعية التي تسهم في بنائهم التربوي والسلوكي.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

٣٤ - حول غزوة بدر الكبرى وفتح مكة

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يهتك حجابُه، ولا يغلق بابُه، ولا يرد سائله، ولا يخيب آمله، الحمد لله الذي يؤمن الخائفين، وينجي الصالحين، ويرفع المستضعفين، ويضع المستكبرين، يُهلك ملوكاً ويستخلف آخرين، والحمد لله قاصم الجبارين، مبير الظالمين، مدرك الهاربين، نكال الظالمين، صريح المستصرخين، موضع حاجات الطالبين، معتمد المؤمنين، الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكاتها، وترجف الأرض وعمارها، وتموج البحار ومن يسبح في غمراتها، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا إن هدانا الله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَوْجَبَتْهَا شَوَاهِدُ بَقَائِهِ وَقَدَمِهِ، وَكَلِمَةً حَبَّبَهَا إِلَيْنَا عَوَائِدُ آلَائِهِ وَنِعَمِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ، وَأَنْطَقَهُ بِالصِّدْقِ، بَشِيرًا لِلْمُتَّقِينَ، وَنَذِيرًا لِلْمُعْتَدِينَ، فَشَرَعَ الدِّينَ، وَهَدَى الضَّالِّينَ، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد أيها المؤمنون:

كما أن رمضان شهر الصلاة والصيام والعبادة فهو شهر الجهاد والإستشهاد، شهر الدفاع عن حوزة الدين، فقد وقعت في شهر رمضان غزوات هامة، وأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدة سرايا، وحصلت فيه أحداث كبيرة، فمن تلك الغزوات والسرايا:

الأول: غزوة بدر الكبرى: التي تعد أول غزوة وقع فيها لقاء وقتال بين المسلمين والمشركين، وقد سجل الله تعالى أهم أحداث هذه الغزوة العظيمة في القرآن الكريم،

وذكر المؤمنين بما امتن عليهم من النصر والتأييد، والظفر والتسديد، فقال تعالى {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ * بَلَىٰ إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فُورِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}، وذكر الله تعالى في سورة الأنفال كثيراً من آياته وتأيداته، ويشرح فيها أرض المعركة في قوله تعالى {إِذْ أَنْتُمْ} أيها المؤمنون معسكرون ومنتظرون {بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا} أي بجانب الوادي القريب من طريق المدينة، {وَهُمْ} أي المشركون معسكرون ومتأهبون للقاءكم {بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى} أي بجانب الوادي البعيد من المدينة، {وَالرَّكْبِ} أي القافلة التي خرجتم لأخذها وخرج المشركون لحمايتها، {أَسْفَلَ مِنْكُمْ} أي خلفكم، {وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ} أي لو جعلتم بينكم وبين المشركين ميعاداً مكانياً وزمانياً للقتال {لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ}، لأن كل فريق منكم يراعي ظروفه القتالية فالمسلمون كانوا في أول الأمر في غاية من الضعف والخوف، بسبب القلة وعدم الأهبة للحرب، ونزلوا بعيداً من الماء، والأرض التي نزلوا فيها أرضاً رملية تغوص أرجلهم فيها، والمشركون كانوا في غاية القوة بسبب الكثرة في العدد والعدة، وحصول الألات والأدوات القتالية، وكانوا قريباً من الماء، والأرض التي نزلوا فيها أرض صالحة للمشية، فهذه الظروف لم تكن مؤاتية للقاء الفريقين لو حصل ذلك عن ميعاد بينهم، {وَلَكِنْ} هيأ الله أسباب اللقاء بلا ميعاد {لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا}، بإعزاز نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وإظهار دينه، {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ}، ثم ذكر الله تعالى بعض المعجزات والآيات التي حصلت، وكانت من أسباب النصر والظفر، فمنها:

الأول: الرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام في قوله تعالى ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا﴾ فقد أرى الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم المشركين عدداً قليلاً، ليكون ذلك سبباً في شد عزائم المسلمين، وتقوية همهم، ورفع معنوياتهم ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ﴾، بينما لو رآهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام كثيراً وأخبر أصحابه بذلك لحصل الفشل والضعف والتنازع، بأن تختلف الآراء، فالبعض قد يقول ننتظر مجيئهم فنقاتلهم، وآخرون سيقولون: بل نهجم عليهم كي لا يظنوا أننا قد جبنا وضعفنا عنهم، وبعض آخر قد يلتمس عذراً في الرجوع، إلى غير ذلك من أسباب الفشل، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، فكان هذا من تأييد الله تعالى.

الثاني: عندما التقى الجيشان وقع مضمون الرؤيا على حقيقته فقد رأى المسلمون أن المشركين عدداً قليلاً، حتى كان المسلمون يتساءلون فيما بينهم عن تقدير جيش المشركين، فيسأل المسلم أخاه المسلم: كم تظنهم؟ فيجيبه الآخر: أظنهم مائة أو مائتين أو قريباً من ذلك، فكان ذلك مقويماً لعزائم المسلمين في محاولة القضاء على المشركين، وفي المقابل فقد رأى المشركون قلة المسلمين على الحقيقة حتى طمعوا في القضاء عليهم، كما قال تعالى ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيِّمُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

الثالث: استجاب الله دعاء المؤمنين واستغاثتهم برهم فأمدهم بملائكته، في قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، ثم قال تعالى ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرِّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾، فكان المجاهد من المسلمين يلحق المشرك يريد قتله فما ينتبه إلا برأس المشرك يتأرجح أمامه، أو الدم ينزف

من جسده، والمسلمون لا يرون إلا بريق السيوف ولمعائها، أو العمائم الخضراء التي ترتديها الملائكة الكرام، وفي هذا إعلام من الله تعالى بأن دينه في السماء والأرض واحد.

الرابع: بعد وعشاء السفر، ومشقة الطريق التي قطعها المسلمون حتى وصلوا إلى بدر، كانوا قد أصابهم الجهد والعطش والأرق، والمشركون قد سبقوهم إلى الأماكن الجيدة والتي يوجد بها الماء، فعوض الله المسلمين وأغاثهم بقوله تعالى: {إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ} فأنزل الله عليهم النعاس وهو النوم الخفيف القليل المتقطع الذي يتخلله الإنباه التام، فكان النعاس تأمينا من الله لهم، ومذهبا للربح والخوف من قلوبهم، لأن الخائفَ الوَجِلَ القَلِقَ لا ينام، بينما المطمئنُ يمكنه النوم، ثم عَوَّضَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِدَلِّ مَاءِ الْبُرِّ بِمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ فَقَالَ تَعَالَى: {وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ} من النجاسات إن كانت، فتغتسلوا من الجنابة، وتتنظفوا من القذارات، وتتوضؤوا لصلواتكم، وتنظفوا به أبدانكم من آثار السفر، {وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ}، ومن فوائد المطر إذهاب وإزالة وسوسة الشيطان التي قد سيطرت على قلوب المسلمين، حيث قد وسوس لهم الشيطان ما قد يكون سببا لهزيمتهم إن استجابوا لوسوسته، {وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ} ومن فوائد نزول المطر تثبيت قلوبهم بأن قد حصل لهم ما يتقووا به من الماء، ولما في المطر من الإحساس بالقوة والنشاط وزوال الجهد والتعب، {وَوُثِّبَتْ بِهِ الْأَقْدَامُ}، وذلك أن المطر إذا نزل على الأرض اللينة اشتدت والتأم بعضها إلى بعض واستمسكت عليها حوافر الخيل وأقدام المشاة، لأن الأرض التي كان قد عسكر فيها المسلمون أرض رملية صعبة المشي عليها.

فهذه المقدمات كانت من تأييد الله تعالى، ونصره وإعانتة للمؤمنين. أيها المؤمنون: الكلام حول هذه الغزوة العظيمة يطول، ولكن نلخص بعض الأحداث الهامة التي وقعت فيها:

فقد كانت غزوة بدر في ١٧ من شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة، ومكانها: موضع يسمى بدر يبعد عن المدينة ١٥٥ كم تقريباً، وكان عدد جيش المسلمين: من ٣١٠ إلى ٣١٥ رجل، معهم فرسان، وسبعون بعيراً، بينما قوات العدو تفوق بالأضعاف، فكان عدد المشركين: ٩٥٠ رجل، معهم ٢٠٠ فرس، وعدد كثير من الإبل.

وكان هدف المسلمين من الغزوة: في بادئ الأمر عند خروجهم من المدينة هو: الإستيلاء على قافلة قريش التي يقودها أبو سفيان، وكان يحميها ٧٠ سبعين رجلاً، وتتكون من ١٠٠٠ بعير، وفيها مال وفير وكثير.

وأما أحداث سير المعركة: فقد كان القائد الأعلى لجيش المسلمين هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان اللواء بيد أمير المؤمنين علي عليه السلام، فلما وصل المسلمون إلى بدر اختار النبي صلى الله عليه وآله وسلم موضعاً مرتفعاً يشرف منه على منطقة القتال، وبني فيه العريش.

ثم رتبَّ المسلمين على شكل صفوف، وهو تنظيم جديد لم تعرفه العرب من قبل في حروبها.

وأما المشركون فلم يكن لهم قائد أو تنظيم، بل قاتلوا على شكل أفراد. وكان المشركون أول من بدأ بالهجوم فحاول أحدهم الشرب من حوض الماء فقتله المسلمون.

ثم برز أئمة الكفر وهم عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبه بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فبرز إليهم أمير المؤمنين علي وحمزة بن عبد المطلب وأبو عبيدة بن الحارث، فقتل عليّ الوليد، وقتل حمزة عتبة، واختلف أبو عبيدة وشيبه ضربتين قتل كل واحد منهما صاحبه.

ثم هجم المشركون على المسلمين فردهم المسلمون بوابل من السهام التي أربكتهم وجرحت رجالهم.

فلما التحم الجيشان نزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من العريش ليقود الصفوف بنفسه لتقترب من المشركين الذين بدأت صفوفهم تتبعثر وقد فقدوا قاداتهم وشجعانهم.

ثم أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين بأن يشدوا على المشركين، فطاردوا قُلُوب المشركين، والتحم القتال بين الفريقين التحاماً شديداً. فلما علم الله ثبات المسلمين وعزيمتهم أَيْدَهُم بِالْمَلَائِكَةِ المردفين المسمومين، لتثبيت المسلمين.

فانتهت المعركة بانتصار المسلمين على المشركين، وأخذوا في جمع الغنائم والأسرى. وقد كان لغزوة بدر دور كبير في نفوس المسلمين وتقويتهم، وشد أزهم، فكانت نتائجه عظيمة حيث فقد الانتصار العظيم للمسلمين على المشركين، واستشهد (١٤) أربعة عشر رجلاً من المسلمين.

وقتل (٧٠) سبعون رجلاً من المشركين، وأسر (٧٠) سبعون آخرون، وقُتِل من الأسرى رجالان، وأطلق سراح الباقين، أطلق الأغنياء بالمفاداة بالمال، والمتعلمون بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة، والفقراء بلا شيء.

وقد أدخلت هذه الغزوة الرعب الكبير في قلوب المشركين وعلموا أن الإسلام أصبح ذا قوة ومنعة.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا في هذا الشهر الكريم من عتقائه وطلاقه ونقذائه من النار، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ليس له منازع يعادله، ولا شبيه يشاكله، ولا ظهير يعاضده، قهر بعزته الأعزاء، وتواضع لعظمته العظماء، فبلغ بقدرته ما يشاء.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.
أما بعد أيها المؤمنون:

الثاني: من أهم الأحداث في رمضان غزوة فتح مكة: وقد تحدث عنها القرآن الكريم في سورة الفتح في آيات كثيرة، فقال تعالى: { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا } {١} لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } {٢} وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا } {٣}.

وهذه الغزوة من الغزوات العظيمة، بل من أكبر الغزوات وأعظمها، وفيها أبان الله تعالى أمر نبيه، وأظهر دينه، وأعادت للمسلمين المستضعفين المظلومين مكانتهم السامية، وجلبت للمشركين الذل الدائم، والخسران اللازم، فقد كان دخل المسلمون إلى مكة أعزة بعد أن أخرجهم المشركون منها أذلة، ودخلوها وهم عدد كثير، بعد أن طردوا منها وهم قلة مستضعفون، فصار المسلمون بعد ضعفهم في قوة، وبعد ذلتهم في عزهم، وبعد قتلهم في كثرة، بفضل الله تعالى.

وقد كانت هذه الغزوة في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة، في مكة المكرمة.
وكان عدد جيش المسلمين: عشرة آلاف مقاتل، وجيش العدو: مكون من قريش وحلفائها بني بكر.

والهدف من الغزوة: هو فتح مكة، والقضاء على قريش وحلفائها، بسبب نقضهم لصلح الحديبية، حين أيدوا حلفائهم من بني بكر في هجومهم على خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلاً فقتل بنو بكر عدداً من بني خزاعة، فاستغاثت خزاعة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وطلبت النصرة منه، فقال النبي صلوات الله عليه وآله: ((لا نصرت إن لم أنصركم)).

فأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم رُسُلَهُ وبعوثَهُ إلى القبائل بأن يجتمعوا في المدينة في رمضان، فاجتمعت القبائل من جهينة ومزينة وغفار وأسلم وأشجع، وبعث إلى بني سليم فلقيته بوادي قديد.

ثم خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمن معه من أصحابه وأهل القبائل المجاورة للمدينة، وأخفى على الناس وجهته ونيته، حتى يعمى الخبزُ على قريش، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((اللهم أعم على قريش الأخبار والعيون))، فلم يدر الناس أين وجهتهم، وبقي الأمر خافياً على قريش حتى وصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجيشه إلى مر الظهران (وهو واد على بُعد ٢٢ كم اثنين وعشرين كيلو متر شمال مكة) فعسكر هناك، وأمر بإشعال النيران حتى تراها قريش، كي تُرعب وتجزع وتستسلم، فأشعلت نيران كثيرة.

فلما رأت قريش النيران أرسلت من يترصد لها الخبز، فخرج أبو سفيان في رجلين معه، فلما رأى كثرة الجيش وقوته الكبيرة، ذَهَلَ وخاف، ورجع إلى قريش بعد أن رأى القبائل وهي تمر في راياتها، مدججة بسلاحها، فحذرهم من المقاومة، وأخبرهم أنه لا طاقة لهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه، وأبلغهم مقالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم له: ((من أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن)).

ثم قسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الجيشَ الإسلامي إلى أربعة أقسام ليدخلوا إلى مكة، ونهاهم عن القتال إلا من اضطر إليه، وكانت هذه الأقسام كالتالي:

الأول: كتيبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتسمى الخضراء، وكان اللواء بيد أمير المؤمنين علي عليه السلام، وفي تلك الكتيبة المهاجرون، فدخلوا مكة من الشمال الغربي من جهة المدينة، وتسمى اليوم كداء.

الثاني: كتيبة الميسرة بقيادة الزبير دخلت مكة من الشمال، من جهة منى.

الثالث: كتيبة اليمين بقيادة خالد بن الوليد دخلت من الجنوب من جهة كُدَيْي.

الرابع: كتيبة الأنصار بقيادة قيس بن سعد بن عباد دخلت من الغرب جهة الحجون وجدة.

فلما دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من باب مكة دخل متواضعاً مطأطأً رأسه حتى كادت لحيته الطاهرة أن تمس سرج البغلة التي ركبها، ولم يركب فرساً ولا بعيراً، بل ركب بغلة إظهاراً للتواضع لله تعالى، ثم دخل المسلمون من كل جهة، وضجت أرجاء مكة وربوعها بالتكبير، ولم يكن هناك قتال يذكر إلا بعض المقاومة التي واجهها خالد في دخوله، وبذلك تم فتح مكة عنوة.

وكانت نتائج تلك الغزوة: أن الله تعالى فتح مكة على نبيه صلى الله عليه وعلى

آله وسلم وعلى المسلمين، وتمّ القضاء على جيروت قريش وكفرها نهائياً.

وقد عفا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل مكة، إلا رجالاً ونساء سماهم بأسمائهم، ومن ثم أسلم أهل مكة، وانتشر الإسلام فيمن جاورهم.

ثم حطم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأصنام وأزال كل مظاهر الشرك، وأخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن أبي طلحة، ودخلها وطمس آثار الشرك منها، ثم رده إليهم.

وقد استشهد اثنان من المسلمين، وقُتل ١٣ من المشركين، وجرح بعض آخرون.

ثم إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجه بعض السرايا بع فتح مكة إلى المناطق والقرى المجاورة لمكة لطمس الشرك ومظاهره، فأرسل سرية بقيادة أبي قتادة بن ربعي إلى بطن إضم، في السنة الثامنة، لصرف نظر قريش عن خطة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فتح مكة. وأرسل سريةً بقيادة خالد بن الوليد لهدم العُزى، وسرية بقيادة عمرو بن العاص لهدم صنم سُواع، وسرية بقيادة سعد بن زيد الأشهلي لهدم مناة، كل هذه السرايا كانت في رمضان من السنة الثامنة بعد الفتح، والغرض هو التذكير والتنبية على هذه الأحداث والمناسبات العظيمة التي وقعت في شهر رمضان، لنكون على إمام واطلاع ببعض التاريخ الإسلامي العريق.

٣٥ - في آخر جمعة من شهر رمضان

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي في وقار العز والمنعة، والدائم في كبرياء الهيبة والرفعة، والجواد بنيله على خلقه من سعة، ليس له حد ولا أمد، ولا يدركه تحصيل ولا عدد، ولا يحيط بوصفه أحد، أحمده على جزيل إحسانه، وأعوذ به من حلول خذلانه، وأستهديه بنور برهانه، وأؤمن به حق إيمانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي سبحت له السماوات وأكنافها، والأرض وأطرافها، والجبال وأعراقها، والشجر وأغصانها، والبحار وحيثانها، والنجوم في مطالعها، والأمطار في مواقعها، ووحوش الأرض وسباعها، ومُدَدُ الأنهار وأمواجها، وعذبُ المياه وأجاجها، وهبوب الرياح وعمجاجها، شهادةً مقرّ له بالعبودية خاشع، معترفٍ له بالوحدانية طائع، مستجيبٍ لدعوته خاضع، متضرعٍ لمشيئته متواضع، له الملك الذي لا نفاذ لديموميته، ولا انقضاء لمدته.

وأشهد أن محمداً عبده الكريم، ورسوله الطاهر المعصوم، بعثه والناس في غمرة الضلالة ساهون، وفي غرة الجهالة لاهون، لا يقولون صدقاً، ولا يستعملون حقاً، قد اكتنفتهم القسوة، وحققت عليهم الشقوة، فقام محمدٌ صلوات الله عليه وآله فيهم مُجِدّاً في إنذاره، مرشداً لأنواره، بعزم ثاقب، وحكم واجب، حتى تألق شهاب الإيمان، وتفرق حزب الشيطان، وأعز الله جنده، وعُبدَ وحدَه، حتى قبضه الله إليه تقياً زكياً، راضياً مرضياً، طاهراً نقياً، صلى الله عليه وعلى آله وأقربيه، وذوي رحمه ومواليه، صلاة جليلة جزيلة، موصولة مقبولة، لا انقطاع لمزيدها، ولا اتضاع لمشيئدها، ولا امتناع لصعودها، تنتهي إلى مقر أرواحهم، ومقام فلاحهم.

أما بعد: أيها المؤمنون: ها هو رمضان يؤذن بالخروج، فماذا قدمنا فيه؟!، وها هي أيامه في أواخرها فهل قد أحسنا العمل الصالح فيه؟!، أنت أخي المؤمن شهيد على نفسك، ومؤخذ بفعلك، ليس فعل غيرك يحسب لك، ولا فعلك يحسب لغيرك، وليست إساءتك على غيرك، ولا إساءة غيرك عليك، كل نفس بما كسبت رهينة.

فالناس في فراق رمضان على قسمين: رجل يحزنه فراقه، لما يعلم أنه يفوته من ثوابه، وهذا هو المؤمن، الذي يؤثر فيه الصيام، ويستفيد من رمضان. ورجل يفرح لفراقه، لأنه لم يذق حلاوة الصوم والعبادة، ولم يجهد نفسه في الطاعة ليتذوق حلاوة المناجاة لله تعالى، وهذا هو الذي ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ومن قيامه إلا السهر.

هاهو شهر رمضان تتسارع أيامه في الإنقضاء، وتتسابق لياليه في الفناء، ونحن في غفلتنا ساهون، وفي غرتنا لاهون، نفرح بالأيام تنقضي، وتتسأل عن أيامه كم منها قد بقي؟، لا من الأعمال الصالحة تزودنا، ولا عن تقصيرنا وتهاوننا أقلعنا، ولا من أخطائنا وخطئنا أصلحنا، كم تفوتنا من الفرص، وكم نتجرع من الغصص، وكم نزداد من النقص.

وكل يوم مضى يدني من الأجل	إننا لنفرح بالأيام نقطعها
نزداد خيراً لكي ننجو من الزلل	لا عن قبيح مساوينا نتوب ولا
أصلح وبادر وتب أكثر من العمل	يا لاهياً ليس يدري ما يراد به
أزل عن القلب ما غطاه من خطل	يا غافلاً عن أمور صرت تجهلها
فالعمر قد ضاع في الدنيا بلا ملل	يا ساهياً صرت عن أخراك منشغلاً
قم من سباتك واستيقظ من	يا نائماً قطع الساعات ضيعها
أيام عمرك في لهو وفي خلل	يا تاجراً ضاع رأس المال حين
أفق تنبه فإن السم في العسل	يا ساعياً طال في الدنيا له أمل

أيها المؤمنون: إن كل عامل يوفى أجره إذا أكمل عمله، والله تعالى يقول في الحديث القدسي ((الصوم لي وأنا أجزي به، يترك العبد طعامه وشرابه من أجلي، وعزتي وجلالي لأرضينه))، قرب وقت تسليم أجره العمال، طوبى لمن كلن عمله كثيراً مباركاً خالصاً مقبولاً، ويا أسفا على من كان عمله قليلاً، وسعيه قليلاً، ويا حسرتاً على من كان عمله قبيحاً.

فعن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول في آخر ليلة من شهر رمضان: من هذا المقبول منا فنهنته، من هذا المحروم المردود فنعزته، أيها المقبول هنيئاً هنيئاً، أيها المحروم جبر الله مصيبتك.

ليت شعري من هو المقبول منا فيها ليت شعري من هو المردود منا فيعزى

إن آخر ليلة من رمضان هي ليلة الجائزة التي يوفى العباد فيها أجورهم، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إذا كان آخر ليلة منه - أي من رمضان - نظر الله إليهم جميعاً، ومن نظر إليه لم يعذبه أبداً)) قيل يا رسول الله: أهي ليلة القدر يا رسول الله؟! فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ألم تر إلى العمال إذا فرغوا من أعمالهم وقؤوا أجورهم))، وهي ليلة الجائزة، التي يستلمها العاملون من ربهم، وليست كجوائز الملوك والسلاطين، بل هي جائزة العتق من النار، ففيها يعتق الله رقاباً كثيرة من النار.

وعن جابر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((أعطي أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن من قبلي: أما واحدة فإذا كان أولى ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً، وأما الثانية: فإنهم يمسون وخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة: فإن الملائكة تستغفر لهم في ليلهم ونهارهم، وأما الرابعة: فإن الله يأمر جنته أن استعدادي وتزيني لعبادي فيوشك أن يذهب نصب الدنيا وأذاها عنهم ويصيرون إلى جنتي وكرامتي، وأما الخامسة: فإذا

كان آخر ليلةٍ غفر لهم جميعاً، قال فقال قائلٌ: أهي ليلة القدر يا رسول الله؟ قال: ألم تر إلى العمال إذا فرغوا من أعمالهم وُفُوا أجورهم)).

ولقد كان الصالحون والعباد يعطون هذه الليلة حقها، ويعرفون قدرها، فقد روي أن زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أمة، وكان إذا أذنب العبد والامة يكتب عنده: أذنب فلان، أذنت فلانة يوم كذا. وكذا، ولم يعاقبه فيجتمع عليهم الادب، حتى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله، ثم أظهر الكتاب، ثم قال: يا فلان فعلت كذا وكذا، ولم أؤدبك، أتذكر ذلك؟ فيقول: بلى يا ابن رسول الله. حتى يأتي على آخرهم ويقرهم جميعاً، ثم يقوم وسطهم ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم، وقولوا: يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كلما عملت كما أحصيت علينا كلما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيت إلا أحصاها، وتجده كلما عملت لديه حاضراً كما وجدناه كلما عملنا لديك حاضراً، فاعف واصفح كما ترحو من المليك العفو، وكما تحب أن يعفو المليك عنك، فاعف عنا تجده عفواً، وبك رحيماً، ولك غفوراً، ولا يظلم ربك أحداً، كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيناها إلا أحصاها، فاذكر يا علي بن الحسين ذل مقامك بين يدي ربك الحكيم العدل، الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل، ويأتي بها يوم القيامة، وكفى بالله حسيباً وشهيداً، فاعف واصفح يعف عنك المليك ويصفح فإنه يقول: {وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم}، قال: وهو ينادي بذلك على نفسه ويلقنهم، وهم ينادون معه، وهو واقف بينهم ييكي وينوح ويقول: رب إنك أمرتنا أن نعفو عن من ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا، فنحن قد عفونا عن من ظلمنا كما أمرت، فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين، وأمرتنا أن لا نرد سائلاً عن أبوانا وقد أتيناك سؤالا ومساكين، وقد أنخنا بفنائك،

وببابك نطلب نائلك ومعروفك وعطاءك، فامنن بذلك علينا ولا تخيبنا، فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين. إلهي كرمت فأكرمني إذا كنت من سؤالك، وجدت بالمعروف فاخلطني بأهل نوالك يا كريم.

ثم يقبل عليهم ويقول: قد عفوت عنكم فهل عفوتم عني ومما كان مني إليكم من سوء ملكة؟ إني مليك سوء، لئيم ظالم مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضل. فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا وما أسأت. فيقول عليه السلام لهم: قولوا: " اللهم اعف عن علي بن الحسين كما عفى عنا، وأعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق " فيقولون ذلك. فيقول عليه السلام: (اللهم آمين يا رب العالمين) اذهبوا فقد عفوت عنكم وأعتقت رقابكم رجاء للعفو عني وعتق رقبتني، فيعتقهم، فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا في هذا الشهر الكريم من عتقائه وطلاقه ونقذائه من النار، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إن أحسن الحديث وأبلغ المواعظ، وأنفع الذكر كتاب الله جل وعز، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو الفتاح العليم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ليس له منازع يعادله، ولا شبيه يشاكله، ولا ظهير يعاضده، قهر بعزته الأعداء، وتواضع لعظمته العظماء، فبلغ بقدرته ما يشاء. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً، صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: من آخر وصايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي أوصى بها المسلمين، أن قال ((أخرجوا اليهود من جزيرة العرب))، فكان شأن هذه الوصية شأن غيرها من الوصايا التي لم يتم الإمتثال بها، ولا التطبيق لها، فجنى المسلمون دُلاً المخالفة، فلم يزل اليهود يكيّدون للإسلام وأهله، ويغونهم الغوائل، حتى استأسد اليهود، وانتكست أوضاع المسلمين رأساً على عقب، لأنهم تنحوا عن الإسلام، وصار الدين منهم بعيداً بعيداً، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فاحتل اليهود بلدان المسلمين، وقتلوا رجالهم وأطفالهم ونسائهم، وهدموا بيوتهم، وأخذوا أموالهم، واستغلوا خيراتهم، ويوسعون مملكتهم رويداً رويداً، حين وثق اليهود بما لديهم من قوة، واطمأنوا إلى ما يميزون به من تفوق، ولم يعد يخيفهم شيء من ناحية المسلمين، فما الذي يخشونه؟ بعد أن أعلن المسلمون عجزهم عن مواصلة التحدي، ووقعوا على معاهدات الإستسلام والإذعان، وأعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. كيف تخشى إسرائيل واليهود من أناسٍ يتشاغلون ببعضهم، ويتناسون عدوهم الأكبر، بل يستمدون المعونة من عدوهم على بعضهم، فهم لن يحققوا نصراً ولن يبنوا مجدداً.

إن من يظن أن خلافنا مع اليهود هو حول قطعة من الأرض أو نهر من الماء فهو غبيٌّ ومغفل من الدرجة الأولى، لا يفقه شيئاً من كتاب الله، ويعاني من جمود فكري وأمية فاضحة في قراءة التاريخ وتتبع السير والأحداث.

إن خلافنا مع اليهود خلافٌ عقائديٌّ في الدرجة الأولى، ولن يلتقي الخلافان في وسط الطريق، ولن تكون هناك إيجاد أو مقارنة حلول، أو نقاط التقاء، أو عوامل مشتركة، فالحل الوحيد إما أن يسلم اليهود، أو أن يتهود المسلمون، {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}.

إن اليهود يريدون كلَّ شيءٍ في مقابل لا شيء، يريدون مزيداً من الهيمنة، ومزيداً من السيطرة، ومزيداً من الأراضي، ومزيداً من الانفتاح الاقتصادي، وفتح الأسواق لمنتجاتهم مقابل مزيدٍ من الإهانات، ومزيدٍ من الإذلالات، ومزيدٍ من الصفعات! لمن؟ كلها للمسلمين.

إن ما أخذ بالقوة لا يمكن أن يُستعاد إلا بالقوة، أما التباكي والتشاكي إلى أعدائنا، أو الإلتجاء إليهم في قضايانا فهو حيلة البائس الضعيف، وليس طريقاً إلى إيجاد أي حلٍّ، لأن في ذلك إيجاد شرعية لهم، وقداسة فيما يصدرونه من قرارات.

إن الطريق إلى القدس، واستعادة الأقصى الشريف، وإعادة مسرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حياض الإيمان، لا يكون بعقد مزيدٍ من المؤتمرات العاجلة ولا الآجلة، ولا بعبارات الشجب والاستنكار، ولا بإرسال الوفود إلى العواصم الكبرى، لكسب عطفهم وتأييدهم، إن الطريق إلى القدس لا يكون إلا بالعودة الجادة إلى الإسلام، عقيدةً وشرعةً ومنهج حياة، الطريق إلى القدس حين تعاد إلى القرآن هيئته ومكائنه، الطريق إلى القدس حين يعاد رفع رايات الجهاد في سبيل الله تعالى.

إن المسلمين ينتظرون الفرج والنصر {وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ}، ولا يقدمون الأسباب لذلك، إن الذي يقاتل لا يسأل متى هو؟ ولكن يقول: {عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً}.

لقد أخبرنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بأن المعركة مستمرة مع اليهود، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَحْتَبِيَّ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلَفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرَقْدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ)).

فما علينا إلا أن نهيء أنفسنا، ونعد العدة للقاء عدونا، ونترك إثارة الخلافات والنزعات التي غرسها اليهود فيما بيننا، ونتوجه مجتمعين معتصمين واثقين بالله ربنا، متقيدين بتعاليم ديننا، مطبقين لقرآننا، متأسين بنبينا، ومقتدين ومناقدين لأهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

إن من يكنّ العداوات للمساجد، لن يكون هو من يقوم بتحرير المسجد الأقصى.
 إن من يهجر المساجد لن يكون هو من يقوم بتحرير الأقصى.
 إن من لا يعظم بيوت الله ولا يعمرها بطاعة الله، لن يكون هو من يحرر الأقصى.
 إن من لا يطبق تعاليم الإسلام لن يكون هو من يحرر الأقصى.
 إن من يظلم الناس ويأخذ أموالهم، ويأخذهم على الظن والظنة والتهم والتهمة لن يكون هو من يحرر المسجد الأقصى.
 إن من يتظاهر بالتباكي على الأقصى ليحصل على مطالبه السياسية، ومقاصده الدنيوية، وسيطرته على الناس ويجعل القدس ذريعة إلى جمع الناس إليه، لن يكون هو من يحرر الأقصى.

لن يحرر الأقصى إلا رجال قال الله تعالى فيهم {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}، وقال فيهم: {رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ، لَيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}، وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلني من عباده المتقين، إنه على كل شيء قدير.

الثامن:

الخطب المتعلقة بشهر

شوال

٣٦- غزوة أحد والدروس المأخوذة منها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، وَنَبِّرُ بُرْهَانِهِ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ، حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرَّبًا، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِبًا، وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةً رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ، وَنُؤْمِنُ بِهِ بِإِيمَانٍ مَنْ رَجَاهُ مُوقِنًا، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِنًا، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّدًا، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّدًا، وَوَلَّاهُ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله لإبْحَارِ عِدَّتِهِ، وَإِتْمَامِ ثُبُوتِهِ، مَاخُودًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِثْلَهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيمًا مِيلَادُهُ، فَهَدَى النَّاسَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ، صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن من نعم الله العظمى، ومننه الكبرى على عباده؛ أن بعث فيهم رسولاً أميناً، وناصحاً مشفقاً، هو محمد بن عبد الله، -صلوات الله وسلامه عليه- اختاره ربه واجتباها، وانتخبه واصطفاه؛ ليكون رسولاً للبشرية ورحمة للعالمين.

شرح له صدره، ورفع له ذكره، وجعل الدّلة والصغار على من خالف أمره، بعثه - سبحانه وتعالى- بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

ولقد تعب النبي صلى الله عليه وآله وعانى عناء شديداً حتى خلص هذا الدين ووصل إلينا، فكم من غزوة غزاها، وسرية أرسلها وقواها.

فلا بد أن نتذكر شيئاً من تلك المعاناة التي لقيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لنتخذ لنا منها دروساً وعبراً في حياتنا، ولا بد أن يعرف آخر هذه الأمة ما لقيه
أولها، وأن يحصل الإرتباط الوثيق بين أول الأمة وآخرها، ليحصل التأسي والإقتداء.
فمن أعظم ما عاناه النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أعظم الغزوات
التي دارت بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع المشركين هي غزوة أحد، التي
كانت في مثل هذا الشهر، شهر شوال، في يوم السبت ١٥ من الشهر السنة ٣هـ.
فإن المشركين لما انهزموا في بدر، ولقوا فيها القتل والأسر، وحصل ما وعد الله به
نبيه من الظفر والنصر، رجعوا إلى مكة يتذكرون قتلاهم، ويتأسفون عليهم، اتفقوا
على أن يجعلوا القافلة التي بسببها كانت غزوة بدر أرباحها ورؤوس الأموال فيها
تجهيزاً لغزوة ينقمون الثأر فيها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن المسلمين.
فمكثوا سنة كاملة يهيئون ذلك ويعدون له العدة، حتى جهزوا ثلاثة آلاف مقاتل،
بينهم مئتا فارس، وسبعمئة دارع، ومعهم ثلاثة آلاف بعير، وأخرجوا معهم نسائهم
حتى لا يفروا.

فلما وصل المشركون قريباً من المدينة نزلوا بناحية أحد، فلما علم النبي صلى الله
عليه وآله وسلم والمسلمون بقدم قريش إلى المدينة استشار النبي صلى الله عليه وآله
وسلم المسلمين في التحصن بالمدينة ولم يرَ الخروج عنها لرؤيا كان قد رآها، وهي أنه
في درع حصينة، ورأى بقرأً تذبح، وثلماً في سيفه، وكأنه يردف كبشاً، فأول الدرع
الحصينة بالمدينة، والبقر بقتل رجال من أصحابه، والثلم بقتل رجل من أهل بيته،
والكبش بقتل كبش كتيبة العدو، ولكن الذين لم يحضروا بدرأً كانوا متشهين للقاء
العدو فأشاروا بالخروج عن المدينة، كي لا يتوهم المشركون أنهم عجزوا أو جنبوا عن
لقائهم، فاضطر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقبل رأيهم، فدخل ولبس لامة

حربه، فندموا على ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ما كان لني إذا لبس لامة حربه أن يرجع حتى يفتح الله عليه).

فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمن أجابه من المسلمين، فكان عدد جيش المسلمين: ٧٠٠ راجل، منهم ٥٠ فارساً.

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل بالشعب من جبل أحد جاعلاً ظهره للجبل ومستقبلاً للمدينة، جاعلاً جبل الرماة على يساره.

ثم وضع على جبل عَيْنَيْن الذي يسمى (جبل الرماة) خمسين رامياً لحماية ظهور المسلمين، وأمرهم بلزوم أماكنهم وأن لا يبرحوا منها، حتى ولو رأوا الطيور تنزل من السماء فتأخذهم.

وعبأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه أمام العدو، فبدأت قريش بالقتال فردهم المسلمون بهجوم قوي، فحاولوا الإلتفاف خلف المسلمين ولكن الرماة منعوهم من ذلك، واشتد الحال بالمشركين، حتى اضطروا للإنسحاب عن معسكرهم تاركين معسكرهم ونسائهم والكثير من الغنائم.

انهمز المشركون في بادئ الأمر فأخذ المسلمون في جمع الغنائم، فلما رأى الرماة ذلك سارع أكثرهم في النزول خوفاً من فوات الغنائم، فمنعهم رئيسهم عبد الله بن جبير فلم يلتفتوا إلى قوله، بل أصرروا على النزول لجمع الغنائم.

فلما نزل أكثر الرماة انتهز خالد بن الوليد وكان على مجنبة جيش قريش في مائتي فارس، فعاد على الرماة فهاجم البقية وقتلهم واحتل الجبل، فرفع راية المشركين ونادى في قريش، فعاودت الهجوم في وقت انشغال المسلمين بجمع الغنائم، وقد وضعوا السيوف في أعمادها، واعتقدوا النصر وهزيمة قريش.

ثم لما عاودت قريش الكرة بعد الفرة انهالوا على المسلمين ضرباً وطعناتاً وقتلاً، فاضطربت صفوف المسلمين، وقتل كثير منهم، حتى أن بعضهم ليضرب بعضاً من شدة الدهش وهو لا يدري.

حاولت قريش قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يستطيعوا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سقط في حفرة من الحفر التي كان المشركون قد أعدوها ليسقط فيها المسلمون، فجرح وجهه، وكسرت رباعيته، وتحمشت ركبته، وسال الدم عن وجهه، وصاح صائح الشيطان بأن محمداً قد قتل، فانحاز النبي في جماعة من المسلمين إلى الشعب فصار فئة للمسلمين حتى تلاحقوا به.

خافت قريش أن يكون للمسلمين كمين آخر يفاجئهم من جهة المدينة أو أي جهة أخرى وفيهم جراحات وقد تعبوا من الحرب، فرأت إيقاف القتال والإكتفاء بما قد أصابت والعودة إلى مكة، بعد أن علمت قريش استحالة القضاء على الإسلام فتحولت على جثث القتلى تمثل بهم، ثم انطلقوا إلى مكة راجعين.

وقد استشهد من المسلمين في تلك الغزوة (٧١) شهيداً فيهم حمزة بن عبد المطلب، سيد الشهداء، عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقد قُتل من المشركين ٢٢ اثنان وعشرون مشركاً.

بعد المعاناة الشديدة نجح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في الدفاع عن المدينة رغم الموقف الصعب، والمواجهة الحرجة، وفشلت قريش في قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو القضاء على قوة المسلمين أو إحداث خسائر كبيرة فيهم.

ثم حصل الإبتلاء الشديد في اليوم الثاني من غزوة أحد وهو يوم الأحد ١٦ من شوال، حيث أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مناديه أن ينادي (من شهد معنا يوم أحد فليخرج إلينا، ولا يخرج إلا رجل شهد الواقعة) لا مكان للمنافقين، فامتلأ المؤمنون لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبادروا ممثلين، وتسابقوا مجيبين، ولبوا

داعيه مدعين، حتى إن منهم لمن يخرج وهو لا يقدر أن يمشي إلا وهو محمول على رقاب الرجال، أو ماش يتهادى بين رجلين، أو ماش يتوكأ على سيفه من كثرة الجراح التي نالتهم، وأصيبوا بها، فلما تماموا وكان عددهم ٦٣٠ مقاتلاً أصدر النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أمراً بالمبادرة إلى الخروج لمطاردة المشركين، وهم لا يزالون متخنين بالقتل والجراح، ودماء القتلى والجرحى لم تجف بعد، فخرج النبي في أصحابه لمطاردة المشركين إلى حمراء الأسد المنطقة التي تبعد عن المدينة ٢٠ كم تقريباً، وخرج معه جميع من خرج في أحد سوى القتلى، فلما علمت قريش بخروج المسلمين نحوهم آثروا الفرار خوفاً من المسلمين، وبقي المسلمون في حمراء الأسد ثلاثة أيام يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم عاد إلى المدينة.

جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}}

بارك الله لي ولكم في القرآن ونفعي وإياكم بما فيه من الذكر والبيان، إنه ولي الجود والإحسان، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَا مَخْلُوقٍ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَلَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ، الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ. وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ، لَا يَخْفُ مِيزَانٌ تَوْضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تَرْفَعَانِ عَنْهُ.

أما بعد أيها المؤمنون: لنأتي لأخذ الدروس والعبر من هذه الغزوة العظيمة:

الأول: كان من أسباب الهزيمة للمسلمين: مخالفة رأي النبي صلى الله عليه وآله في البقاء في المدينة، واضطرارهم له إلى الخروج للقاء العدو في بادئ الأمر.

الثاني: من أسباب الهزيمة أيضاً مخالفة الرماة لأوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتركهم مواقعهم وأماكن حراستهم، من أجل الحصول على الدنيا، من أجل الحصول على حفنة من المال، ظانين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سينسى موقفهم، ولن يعطيهم شيئاً، فآثروا الدنيا على الآخرة، واتبعوا شهوات أنفسهم ولذاتها فكانوا سبب الهزيمة.

الثالث: ظهر للمسلمين كثير من المنافقين الذين كانوا مع عبد الله بن أبي الذي رجع من منتصف الطريق بثلاث الجيش الذين غرهم واستهواهم. وهكذا يلعب المنافقون دوراً كبيراً في كل زمان ومكان، في التفريق بين صفوف المسلمين، والتخذيل عن نصرته الدين.

إذا كان هذا الموقف مع رسول الإسلام، رسول الحق، نبي الرحمة، وهو يوحى إليه، وهم يشاهدون المعجزات والآيات تظهر على يديه، ثم يرجحون قول المنافقين على قوله، ويميلون معهم ويتركونه، مع أنه عدد ليس بالسهل فقد رجع مع ابن أبي ٣٠٠ مقاتل، ولم

يبقى مع النبي سوى سبعمائة، فإذا كان هذا الموقف مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فما بلك بعده، ونحن في هذه العصور المتأخرة، لا شك أن الضرر أكبر بكثير.

أيها المؤمنون: من هنا نعرف خطورة أهل النفاق على المسلمين، وقد بين الله تعالى في القرآن الكريم صفات المنافقين بالتفصيل في آيات كثيرة من سور متعددة، بل وأنزل سورة كاملة فيهم وسمها باسمهم سورة المنافقون، ليكون المؤمنون على حذر من هذه الفئة، ويتجنبوا تلك الصفات؛ لأن ضرر النفاق والمنافقين كبير وخطير على البيئة المؤمنة، على الطائفة المؤمنة، فإذا لم يسلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ضرر تلك الفئة فكيف بمن بعده، فأهل الإيمان في حرب ضروس مع أهل النفاق وأهل الكفر، لأن المنافق والكافر يتحدان ويجمعان ويتعاونان، بينما المؤمن لا يجمع أهل النفاق لا يألفهم ولا يألفونه، ولا يقبلهم ولا يقبلونه، لأن الله وعد المؤمنين جنات تجري من تحتها الأنهار، ووعد المنافقين والكفار نار جهنم هي حسبهم ولعنهم الله؛ فالنفاق صفة قبيحة، ورذيلة مستهجنة، ومستنقع وبيء، من دحضت به قدمه فيه فقد زل، ومن اتصف به فقد ضل.

أيها المؤمنون: نحن بحاجة ماسة إلى أن نعيش مع الإيمان في كل تعليماته وآدابه، نظرية وتطبيقاً، علماً وعملاً، قولاً وفعلاً واعتقاداً، عبادة ومعاملة، موالاة ومعاداة. وأن نبتعد كل البعد عن طبائع النفاق وأهله وصفاتهم، ولا نستطيع ذلك حتى نعرف من هو المنافق وما هي صفاته؟!

فكم من حلو اللسان، رائع المنطق، حسن السمات، جميل العبارة، يتظاهر بأنه حريص على الإسلام وأهله، يظهر للناس أنه يريد لهم الخير والصلاح، كما قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ فقوله جميل، وكلامه يقرع الأسماع، ومنطقه طيب يسلب الأبواب، ويأسر القلوب، ولكن

هو ألد الخصام، شديد العدا، كثير الشقاء، سيء الأفعال، كثير المكر والإحتيال، كذوب خدوع، لئيم هلوع، جبان جزوع، إذا تمكن أنزل بالناس الويلات، وأحل بهم النقمات، وتابع عليهم الشرور، وعاملهم معاملة الدمار والهلاك، إذا كان مع المؤمنين أظهر ودهم، وإذا جالس أصفياه وإخوانه أظهروا حقدهم.

كما قال أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي عليه السلام في خطبة له يحذر فيها من المنافقين:

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحذركم أهل النفاق، فإنهم الضالون المضلون، والزالون المزلون، يتلونون ألواناً، ويفتنون افتناناً، ويعمدونكم بكل عماد، ويرصدونكم بكل مرصاد، قلوبهم دوية، وصفاحهم نقيّة، يمشون الخفاء، ويدبون الضراء، وشفهم دواء، وقولهم شفاء، وفعلهم الداء العياء، حسدة الرخاء، ومؤكدو البلاء، ومقنطو الرجاء، لهم بكل طريق صريع، وإلى كل قلب شفيع، ولكل شجور دموع، يتقارضون الشناء، ويتراقبون الجزاء، إن سألوا ألقوا، وإن عدلوا كشفوا، وإن حكموا أسرفوا، قد أعدوا لكل حق باطلاً، ولكل قائم مائلاً، ولكل حي قاتلاً، و لكل باب مفتاحاً، ولكل ليل مصباحاً، يتوصلون إلى الطمع باليأس، ليقيموا به أسواقهم، وينفقوا به أعلاقهم، يقولون فيشبهون، ويصفون فيموهون، قد هونوا الطريق، وأضلعوا المضيق، فهم لمة الشيطان، وحمّة النيران، أولئك حزب الشيطان إلا إن حزب الشيطان هم الخاسرون.

فليس للمنافق عدو إلا المؤمن، وليس له ضد إلا الإيمان، فليس كلامه ولا همه ولا شغله الشاغل إلا الإساءة والتشنيع على المؤمنين، يترقب لهم الهفوات، ويتصيد عليهم الغفلات، ليجعلها ذريعة إلى تصديق الناس له، وإصغائهم لكلامه.

أيها المؤمنون: ولنختم خطبتنا بكلام أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي عليه السلام: **وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورَسُولِهِ، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة**

أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ، فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلْتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظْتُهُ، فَالْكِتَابُ يَوْمِنِدٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ، فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ، وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ، لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنْ اجْتَمَعَا، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفِرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَلَى الْجَمَاعَةِ، كَانَتْهُمْ أُمَّةُ الْكِتَابِ، وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ، وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مُثَلَةٍ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً، وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةً السَّيِّئَةِ، وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ، وَتَغْيِبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ، الَّذِي تُرِدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةُ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنَّقْمَةُ.

وفقنا الله وإياكم لصالح التوبة والعمل، وعصمنا عن الزيغ والزلل، إنه القادر ذو الحول، والقوي ذو الطول، وهو على كل شيء قدير.

٣٧- غزوة الخندق (الأحزاب)

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الآلاء الغامرة، والنعم المتواترة، والمنن الباطنة والظاهرة، حمداً يرضى به عنا في الدنيا والآخرة، اللهم لك إنا نحمدك على كل نعمة، ونشكرك على كل حسنة، ونستغفرك من كل ذنب، ونتوب إليك من كل خطيئة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنفع قائلها يوم القيامة، وتنجيه من شدائد أهوال يوم الطامة.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ونبيّه ونبيّه وخصيّه وخليفه، بلغ الرسالة، وأوضح الدلالة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، صلى الله عليه وعلى آله مصايح الظلمة، وينابيع الحكمة.

أما بعد أيها المؤمنون: من أهم ما يحتاج إليه المسلم في حياته الإيمانية، أن يكون عارفاً وعالماً بأهم الأحداث التي جرت في الدين الإسلامي، مطلعاً على ما لاقاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المتاعب والصعاب من أجل هذا الدين، ليزداد تمسكاً بالدين، وحفاظاً على مبادئه، وحرصاً على تطبيقه والعمل بما جاء به، فإن هذا الدين لم يصل إلينا على أسهل الطرق، بل إنما وصل إلينا على جثث وهامات الأبطال، تحمله دماء الشهداء حتى وصل إلينا.

فلقد كان أعداء الإسلام يكيّدون للإسلام وهو لا زال في أوائل نشوئه، وفي أوان انتشاره، وفي بداية نعومة أظفارها، بل كانت أعداء الإسلام من المشركين واليهود وغيرهم تجمعهم إرادة القضاء على الإسلام رغم عداوتهم فيما بينهم، ولكن يتناسون ذلك في سبيل القضاء على الإسلام، فكم لهم من محاولات ومكائد ردها الله عليهم، وضرب بها وجوههم.

وإن من أعظم تلك الصعاب، هي غزوة الخندق، والتي تسمى غزوة الأحزاب، التي اتحدت فيها قوى الشر والشرك، وهم قريش واليهود وبعض قبائل الجزيرة العربية المناوئة للإسلام، التي اجتمع فيها ما يقرب من عشرة آلاف من المشركين لغرض القضاء على الدولة الإسلامية.

هذه الغزوة التي كانت في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة النبوية، واستمرت قرابة شهر، فقد كان عدد المسلمين: ثلاثة آلاف رجل، وقيل ألف وخمسمائة رجل. بينما عدد جيش الأحزاب عشرة آلاف رجل من قريش وغطفان وغيرهم.

وقد بين الله تعالى ما حصل للمسلمين أثناءها من الشدة والجهد، والعناء والتعب، في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا } {٩} إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا } {١٠} هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا }.

هذه الغزوة التي كان لليهود فيها الدور الأكبر، في التحريض والتأليب ضد الإسلام، حيث ذهب نفر من يهود بني النضير إلى قريش وغطفان وألبوهم وحرصوهم على التحزب والإجتماع للقضاء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأجابوهم إلى ذلك، فلما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتجمع القبائل من قريش وغطفان لمحاولة القضاء على الإسلام وأنهم أتوا بالعدد والعدة الكبيرة، شاور أصحابه في الأمر، فاجتمع رأيهم على البقاء في المدينة، فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ناحية جبل سلع يتبؤا مكاناً يليق بعسكر المسلمين أن يعسكروا فيه.

وأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق حول المدينة، لتكون المدينة محمية من جميع الجوانب، لأن المدينة من جهتي الشرق والغرب محصنتان بالحرتين الشرقية والغربية، ومن الجنوب بالنخيل وجزء من الحرة وبني قريظة، والجهة الشمالية

هي المفتوحة، فحفر الخندق في الجهة الشمالية جهة جبل سلع، والخندق شيء لم تعرفه العرب من قبل، ولا علمته في حروبها.

وكان الخندق ممتداً من الحرة الشرقية إلى الغربية بطول ثلاثة كيلو متر تقريباً، وكان عرضه من سبعة إلى عشرة أمتار تقريباً، وعمقه من ثلاثة إلى خمسة أمتار، وكان عدد العاملين فيه ألفاً وخمسمائة رجل، وعمل فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده الطاهرة، واستمرت عملية الحفر ستة أيام، وأخذ المسلمون مواد الحفر من بني قريظة وهم لا زالوا في الصلح.

فلما أقبلت الأحزاب بقضها وقضيضها، وكفرها وعتوها واستكبارها، فوجئت بأن رأت الخندق، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد رتب أصحابه على مجانب الخندق على شكل كتائب، فأطاف الأحزاب بالخندق رجاء أن يروا ممراً يعبروا منه فأحجم فرسانهم وعجزوا عن العبور.

وفي أثناء ذلك حصل بين المسلمين والمشركين مناوشات خفيفة قتالية أكثرها ليلية، حاول المشركون من خلالها إما عبور الخندق، أو الوصول إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خلال الوقوف أمام خيمته والضرب بالسهام نحوها، ولكن الله تعالى لم يمكنهم من ذلك فكانت كتائب المسلمين لهم بالمرصاد، يعودوا في كل ذلك خائبين.

فلما طال الحصار وعجز المشركون من العبور حاولوا الإستعانة ببني قريظة ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأرسل الأحزاب حبي بن أخطب اليهودي إليهم، فلم يزل بهم حتى نقضوا ما بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بما صنعت بنو قريظة، اهتموا واغتموا لذلك الأمر، فأصابهم من الأمر ما حكاه الله تعالى بقوله: **{إِذْ جَاؤُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ} أي الأحزاب المتجمعة لقتالكم {وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ} وهم بنو قريظة، {وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا}**، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجعل حراسة مكونة من ثلاثمائة فارس في

جهة الجنوب من المدينة خوفاً من بني قريظة أن يغيروا على المدينة وليس بها إلا الأطفال والنساء، فأصاب المسلمون من الشدة في هذه الحال ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

بقيت الأحزاب تحاصر المدينة خمسة عشر يوماً وقيل أكثر، فلما أراد الله تعالى إذلال الأحزاب وهزيمتها سبب الأسباب في ذلك ويسر ذلك للمسلمين، فكان من أسباب النصر ما يلي:

من ذلك: أنه حاول بعض الفرسان المعدودين في قريش أن يعبروا الخندق وهم قرابة أربعين فارساً، فأروا فرجة بسيطة فتمكن ثلاثة منهم من العبور خلالها بفرساتهم، وهم عمرو بن عبد ود العامري، وعكرمة بن أبي جهل، والمغيرة بن نوفل المخزومي، فنادى عمرو بأعلى صوته وهو يجول بفرسه وريحه أمام المسلمين: هل من مبارز، أستم تزعمون أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار، فلم يجبه أحد منهم وكان على رؤوسهم الطير، إلا علياً عليه السلام فإنه يقول: أنا له يا رسول الله، فأذن له النبي بعد أن ناداهم العامري ثلاث مرات، فخرج إليه علي عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: برز الإسلام كله للشرك كله، فكره عمرو لقاء علي ولكن علياً أحب قتله وهزمه، فدعاه علي إلى الإسلام فأبى، ودعاه إلى العودة من حيث أتى، فأبى، فدعاه إلى البراز، وكان عمرو راكباً فنزل وعقر فرسه، فتناوشا وتضاربا وتصارعا وتبارزا وتنازلا وتسابقا والتحما وانفصلا، وتقاربا وتباعدا، والمسلمون والمشركون كلهم ينظرون إلى هذه المباراة الشديدة، فثار الغبار بينهما فغطاهما، فضربه علي عليه السلام في رجله فقطعها، ثم برك على صدره، فأنجحت الغبرة وعلي على صدره، وعمرو قد اشتد غضبه فبصق في وجه علي بصقة ملأت وجهه، وأمره أن يجهب عليه، ولكن علياً قام وجال في الميدان وسيفه في يده وعدوه مجدل أمامه، لكي يرى المسلمون تأييد الله تعالى لدينه، ويرى المشركون أن كبريائهم وعتوهم صار مدحوراً، ثم أجهز عليه وقتله، فكفى الله المؤمنين القتال بقتل علي عمراً، ودخل على المشركين من قتله ذل كبير، فهرب نوفل فسقط به خيله في الخندق، فزل علي عليه السلام فقتله، وأما عكرمة فنجا.

ومن ذلك: أن الله تعالى أنعم على نعيم بن مسعود الثقفي بالإسلام، فأسلم دون أن يعلم قومه، فقدم على النبي بين المغرب والعشاء وهو يصلي، فأخبره بإسلامه وبأن يأمره بما شاء، فأمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن يخذل بين الأحزاب ما استطاع، فتمكن من التفريق بين بني قريظة وقريش وغطفان فتمكن من ذلك، حتى أيس كل منهم من الآخر.

ومن ذلك: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما اشتد الحال بالمسلمين علمهم كيف يلجأون إلى الله تعالى في النوائب والشدائد، فقد بقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أيام هي الإثنين والثلاثاء والأربعاء يتضرع ويدعو الله في المكان الذي يسمى اليوم مسجد الفتح في المدينة، حتى جاء الفرج بالفتح يوم الخميس، حيث قذف الله الرعب في قلوب الأحزاب بأن استجاب لنيبه صلى الله عليه وآله وسلم دعاءه وتضرعه، فأرسل عليهم ملائكة من عنده، وريحاً شديدة، وعوداً وأمطاراً وعواصف اقتلعت خيامهم، وكفأت قدورهم، وأرعبت قلوبهم، فلما أصبح ارتحلوا عن المدينة، مهزومين خائبين، ورد الله كيدهم في نحورهم، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً.

أيها المؤمنون: هكذا لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه المتاعب والمصاعب، فاستهونوا الحتوف، واستلانوا الصعاب، وبذلوا مهجهم وأموالهم دفاعاً عن الدين، وذباً عن حوزة المسلمين، حتى سطروا أروع البطولات، فلنحتذ حذوهم في الدفاع عن الدين.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}}، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب الأرباب، هازم الأحزاب، منزل الكتاب، جامع الناس ليوم الحساب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: فهذه هي غزوة الخندق التي سجلها الله تعالى في القرآن الكريم، وسجل أحداثها ليتلوها المسلمون، ويتحدثوا عنها، ويعلموا تفاصيلها، ويستفيدوا من واقعها في شتى المجالات، فلنذكر أيها الأحبة المؤمنون: بعض الدروس التي نتعلمها ونستفيدها من هذه الغزوة الكبرى، فهناك العبر والعظات التي لا بد أن نعرفها:

فمن ذلك: أن المسلمين عليهم أن يعلموا تأصل العداوة بين المسلمين والمشركين، وبين المسلمين واليهود، وأنها عداوة قديمة، وليست حديثة يومها، أو قريبة العهد والسبب، فعداوة اليهود والمشركين شديدة، وقواعدها أكيدة، ولا يمكن في يوم من الأيام أن تنقلب تلك العداوة إلى ولاء ومحبة، ما دام المشرك على شركه واليهودي على يهودته، إلا أن يغيثوا إلى الله ويرجعوا إلى دينه، كما قال الله تعالى {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا}، فمن لم يؤمن بالله ورسوله ويدخل في دين فهو عدو مبين، لا تؤمن غائلته، وتصديق نصيحته، فعلى المسلم أن يعرف عدوه ليحذره، وأن يتخذ الأسوة والقدوة من أنبياء الله وأوليائه، كما قال الله تعالى {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ}.

ومن ذلك: أن المسلم لا بد أن يعرف ويعلم أن أهل الباطل وإن تفرقت كلمتهم، وتعددت فرقهم، وتعادوا فيما بينهم، وتقاتلوا وتناحروا، فإن اشتراكهم في عداوة الحق تجمعهم، وتجعلهم يتناسون كل خلاف يدور بينهم، ويدفنون كل مشكلة أو

إثارة تحول بينهم وبين اجتماعهم، كما فعلت جموع الأحزاب في تجمعهم على القضاء على الدين، رغم ما بينهم من الخلاف.

ومن ذلك: أن نعلم جميعاً أن الله تعالى لا بد أن يميز الخبيث من الطيب، وأن يبين الصالح من الطالح، وأن يفرق بين قوي الإيمان وثابت اليقين، وبين ضعيفه وصاحب الريب فيه، وبين من يتبع الحق عن بصيرة وثبتت، وبين من يقلد أو يترصص، ويبين تعالى حقيقة من يطلب بعمله الثواب والدار الآخرة، وبين من يكون هدفه وهم هو الدنيا، كما قال الله تعالى {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}، وكما يقول تعالى: {وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}، وقد تجسد هذا الإبتلاء والتمييز الشديد في غزوة الخندق، حيث كان موقف المؤمنين الصادقين الثابتين كما حكى الله عنهم، في قوله تعالى: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا}، بينما كان موقف المنافقين ومرضى القلوب بالعكس تماماً كما حكى الله تعالى عنهم بقوله: {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا}، وحكى الله تعالى موقف المخدلين والمعوقين والمرعبين، والناصحين المشفقين كذباً وزوراً في قوله تعالى: {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا} * أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا}، فما أشبه الليلة بالبارحة وقضية الأمس باليوم، فالقسمة هي القسمة، والحال في كل فريق ذلك الوقت هو الحال في هذا الزمان، وإنما تغير الأشخاص، وتغير الزمان.

ومن ذلك: أن على صاحب الحق أن يكثر الرجوع إلى الله والإلتجاء إليه، وأن يكون مستعيناً بالله، ومتوكلاً على الله، وأن يدفع شر عدوه وكيد ومكره بالله تعالى لا بحوله وقوته، كما فعل النبي صلى الله عليه وآله فقد تفرغ للإبتهال والتضرع إلى الله، في تلك الحال الشديدة، حتى فرج الله عليه، وأثابه بالفتح من عنده، هزم الأحزاب، {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}.

ومن ذلك: أن على المسلم أن يقدم كل ما بوسعه في سبيل خدمة دينه، وإذلال عدوه، بما يمكنه من القدرة، فالشجاع ببسالته، والغني بماله، وصاحب الرأي برأيه، وذو الوجاهة والمكانة بمكانته ووجاهته، وكل مسلم بتضحيته، وأن يبذل المسلم كل ما بوسعه من طاقة وقدرة في سبيل الدفاع عن الدين، ولو سهر الليل كله، وتغرب عن أهله، وخرج من وطنه وموضع رجله ومسقط رأسه، وفارق أولاده وأحبته، فكل ذلك فداء للدين، وقربان يتقرب به المسلم عند رب العالمين كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((اجعل مالك دون عرضك، واجعل مالك وعرضك دون نفسك، واجعل مالك وعرضك ونفسك دون دينك))، كما فعل الرجال العظماء في تلك الغزوة، كأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في قتل عمرو بن ود ومن معه، وكما فعل نعيم بن مسعود الثقفي، الذي استغل وجاهته ومكانته في تفريق الأحزاب، وتشتيت كلمتهم، وتفريق صفوفهم، هذا فعل المؤمنين لا فعل المنافقين الذين يفرقون صفوف المسلمين.

أيها المؤمنون: إن الإسلام لم يصل إلينا على طبق من ذهب، وإنما وصل إلينا تحمله دماء الشهداء، وبسالة العظماء، ووفاء الأبطال الأتقياء، الذين باعوا من الله أنفسهم، وضحوا من أجل الله ورسوله ودينه بدمائهم وأرواحهم وجميع ممتلكاتهم، لينالوا الجزاء والمكافأة من الله في الآخرة، فالواجب علينا أن نحفظ ديننا، وأن نصون مبادئنا، وأن لا نفرط في شيء من ذلك، وأن نجعل ديننا هو المفدى بديننا، والمقدم على كل شيء عندنا، فالدين هو الأهم، والمقصود الأعظم، وكل ما سواه فالواجب علينا أن نجعله طريقاً وموصلاً إليه.

وقفنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

التاسع:

**الخطب المتعلقة بشهر
الحجة**

٣٨ - حول فضل الحج ونوابه

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسَلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ عَنَّهُ، وَثَوْرًا لِمَنْ اسْتِضَاءَ بِهِ، وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ، وَوَبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّسَ، وَتَبَصَّرَهُ لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَطَّ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ قَوَّضَ، وَجَنَّةً لِمَنْ صَبَرَ، فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ، وَأَوْضَحُ الْوَلَائِحِ.

والحمد لله الذي جعل من تلك الشرائع والسبل حج بيته الحرام، الذي جعله قبلة للأنام، وفرضه على من استطاع إليه سبيلاً من الأنام، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِي الْمُؤْمِنِينَ.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصفي، وأمينة الرضي، أرسله بوجوب الحج، وظهور الفلج، وإيضاح المنهج، فبلغ الرسالة صادعاً بها، وحمل على المحجة ذالاً عليها، وأقام أعلام الهدى، ومنار الضياء، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين.

أما بعد: أيها المؤمنون: نحن في هذه الأيام المباركة نعيش استقبال موسم من مواسم الله عزوجل، ووقت فريضة من فرائض الدين، وركن من أركان الإسلام، في هذه الأيام الكريمة يستشعر المسلمون الركن الخامس من أركان الإسلام، الذي تتوق قلوب جميع المسلمين إليه توقاً، وتستشري نفوسهم إليه شوقاً، وتتلطف إليه أفئدتهم محبة وولعاً، لما جعل الله تعالى من الرغبة الداعية، والشوق المتزايد الذي جبلت عليه قلوب المؤمنين، محبة وتعظيماً وتشريفاً لبيت الله الحرام، كما يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام:

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، يَرُدُّونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ، وَيَأْتُونَ إِلَيْهِ وَوَلَوْ الْحَمَامِ، وَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عِلْمَةً لِيَتَوَاضِعَ لَهُمُ لِعِظَمَتِهِ، وَإِدْعَاهِهِمْ لِعِزَّتِهِ،

وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ شُمَاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحَرِّزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتَجَرِّ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عِلْمَاءً، وَلِلْعَائِدِينَ حَرَمًا، فَرَضَ حَقَّهُ، وَأَوْجَبَ حَجَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وَفَادَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}.

ولما كانت فريضة الحج يحصل فيها من المشقة والكلفة والعناء والتعب ما لا يحصل في غيرها من الفرائض، وذلك أنه لا بد فيها من مفارقة الأهل والأوطان، وتجشم الخطوب والأسفار، وركوب الأهوال والأخطار، مع ما يحصل فيها من النفقة والأموال، فإن الله تعالى جعل تلك الفريضة من أسهل الفرائض والتشريعات، فلم يكلف عباده بها إلا إذا تمكنوا منها بالإستطاعة في أبدانهم وأموالهم، تخفيفاً من تعالى عى عباده، وتيسيراً منه لطرق الطاعة والعبادة، ولم يكلف الله تعالى بها المستطيع للحج إلا مرة واحدة في العمر.

أيها المؤمنون: ركنية الحج وفرضيته مما لا نحتاج إلى الإستدلال عليها، لأنها من أركان الدين والإسلام المعلومة بالضرورة بين كافة المسلمين، وقد امتلأت السنة النبوية بالأحاديث الصحيحة التي ترغب في الحج، وتبين فضله، وما أعد الله من الأجر والثواب، والتكفير للسيئات والخطايا، لمن خرج إلى بيت الله تعالى حاجاً أو معتمراً: فعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((من أراد الدنيا والآخرة فليؤم هذا البيت، فما أتاه عبد يسأل الله دنيا إلا أعطاه الله منها، ولا يسأله آخرة إلا ادخر له منها، ألا أيها الناس عليكم بالحج والعمرة فتابعوا بينهما، فإنهما يغسلان الذنوب كما يغسل الماء الدرن على الثوب، وينفيان الفقر كما تنفي النار خبث الحديد)).

وعن علي عليه السّلام، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: ((تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجل خرج من بيته حاجاً أو معتمراً إلى بيت الله الحرام)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال للأعرابي حين سأله عن ثواب الحج: ((أما أممك البيت فإن راحلتك لن ترفع خفاً ولن تضع خفاً إلا كتب الله لك به حسنة وخطئة ورحمة وحرمة ورفعة لك به درجة، وأما موقفك بعرفات فإن الله يقول ملائكته عشية عرفة: انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً ضاحين فلو كانت ذنوبك مثل رمل عالج أو مثل قطر السماء أو مثل عدد أيام الدنيا غفرت لك، وأما رميك الجمار فإن الله يدخره لك، وأما حلقك رأسك فإن لك بكل شعرة نوراً يوم القيامة، وأما طوافك بالبيت فإنك ترجع ولا ذنب عليك)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من جهز حاجاً كان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((العمرة إلى العمرة كفارة ما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((الحج جهاد كل ضعيف)).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: سمعت الطيب المبارك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: ((يرجع صاحب الحج والعمرة كما ولدته أمه من ذنوبه قد غفرت له، واستأنف العمل في بقية عمره إذا كان العمل لله عز وجل خالصاً)).

فما أنفقته من مالك للوفادة إلى بيت الله تعالى فإن الله يعيذك ما هو خير منه في الدنيا والآخرة: كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من حج بيت الله ولم ينفق إلا حلالاً يطلب بحجه ما عند الله انصرف كما ولدته أمه من ذنوبه)). وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((الحاج والعمار وفد الله يعطيهم ما سألوا ويستجيب لهم دعاءهم ويخلف لهم نفقاتهم في الآخرة الدرهم ألف درهم)). وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة درهم))، وإذا وفد الحاج إلى بيت الله تعالى وقبض الله روحه في تلك الأماكن المقدسة أو في الطريق ذاهباً إليها أو عائداً منها فقد بشره الله على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما تقر به العيون، وتتمناه القلوب: فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من مات في هذا الوجه ذاهباً أو جائياً أدخله الجنة ثم لم يجاسبه)). وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: (من مات في هذا الوجه ذاهباً وجائياً فهو شهيد).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((الحاج مغفور له في ذهابه ومجيئه وبعدما يرجع إلى أهله بسبعين يوماً لا يكتب عليه خطيئة فإن مات بمكة أمن من الفرع الأكبر يوم القيامة، وإن مات محرماً بعثه الله عز وجل يوم القيامة وهو يلي)). وقد تصعبت على الناس في هذه الأزمنة طرق الوصول إلى بيت الله تعالى، فمن قد حالفه الحظ السعيد فيما قد مضى من السنين فاغتتم الفرصة فقد أدرك غنيمة ونعمة عظيمة، ومن أدركته الفرصة تلو الفرصة، فلم يغتتمها بل فرط وقصر، فقد أخطأ حظ نفسه، وأنى له بتلافي ما قد فرط في أمسه، لأن الواجب على المؤمن أن يغتتم الفرصة إذا لاحت له كما روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((عجلوا الخروج إلى مكة، فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له من مرضٍ أو حاجة))، وقد نبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الحال التي

يصير إليها الناس من صعوبة الحج في آخر الزمان في أحاديث كثيرة، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((حُجُّوا قَبْلَ أَنْ لَا تَحُجُّوا، قَبْلَ أَنْ يَمْنَعَ الْبُرُّ جَائِبَهُ، وَالْبَحْرُ رَاكِبَهُ، وَيَخْدَعُ الصَّاحِبُ صَاحِبَهُ)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((يقول الله سبحانه: أي عبد أصحيت جسمه، وأوسعت عليه في الرزق يأتي عليه خمس سنين لا يفد إلى محروم)).

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر لنا ولكم سالف ذنوبنا فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تَحَمَّدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ المَعْصِيَةِ، وَنَسَأَلُهُ لِمَنْتِهِ تَمَامًا، وَيَجْبِلُهُ اعْتِصَامًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: بما أننا في أشهر الحج وأيامه التي جعلها الله تعالى وقتاً زمنياً أجاز أن يعقد الحج فيها، نريد أن نتكلم في بعض المسائل الهامة والقضايا التي تتعلق بالحج وشرعيته، وتتعلق بخلاصنا أمام الله تعالى من أمور قد تلزمننا أو قد لزمتنا وتغافلنا عنها:

الأول: إذا كان المسلم مستطيعاً للحج متمكناً منه فلا يجوز له أن يؤخر ذلك لغير عذر يبيح له التأخير، فإن أخر بلا عذر فإنه آثم، ولا يأمن أن يدخل تحت عموم بعض النصوص النبوية في ذلك، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من وجد زاداً وراحلة يبلغانه بيت الله ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً، وإن شاء نصرانياً، وإن شاء مجوسياً، أو على إي ملة شاء)).

وكما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من لم يمنعه من الحج مرض حاجز، أو سلطان جائر، أو حاجة ظاهرة، حتى مات فليمت يهودياً أو نصرانياً)).
فأما إذا كان له عذر مخلص أمام الله في التأخير فالواجب عليه أن يكون عازماً بصدق النية على المبادرة والمسارة إلى أداء فرض الله تعالى، وأن يحتاط بالوصية بذلك، فقد يفاجأه الموت وهو على غير أهبة.

الثاني: البعض من الناس ممن قد وجب عليه الحج فيما مضى ولكنه فرط وقصر، ثم تصعبت عليه الحال فالواجب عليه أن يوصي بالحج، وإذا تمكن من الحج فعليه

سرعة المبادرة، ولو اضطر إلى أن يبيع شيئاً من ماله ليستدرك به ما قد فرط من الواجب عليه، فإذا كان لا يملك شيئاً أو كان يملك شيئاً يسيراً لكنه إن باعه ضاع أهله وعياله، فعليه أن يوصي بذلك.

الثالث: هناك الكثير من الوصايا في ذمة الكثير من الناس، وهي لا تزال عالقة في أمواهم لم يتخلصوا منها، فكم من رجل أو امرأة أوصى بحجة في ماله، ثم إن الورثة اقتسموا الأموال ولم ينظروا إلى الوصية ولم يلقوا لها بالاً، ولم يرفعوا لها رأساً، أو أن الورثة سيطروا على أموال الموصي وتصرفوا فيها، وتركوا الوصية وراء ظهورهم، بل البعض من تلك الوصايا قد درجت عليها الدرج، وتعاقبت فيها الذرية والأجيال. أو لا يعلم ذلك الذي أخذ المال ولم ينفذ الوصية أنه يتصرف في حق غيره، ويأكل ما ليس له؟!!

أو لا يعلم أن ذمته لن تبرء حتى يقوم بما هو عليه، أو يترك المال لغيره، وأنه بتفريطه قد بطلت وصايته إن كان وصياً، وانتقلت إلى غيره، وأنه يجوز لغيره من الورثة أن ينتزع المال من تحت يده لإنفاذ الوصية الواجبة، أو لا يعلم أنه إن مات فحالته سيئة، ومصيره ومرتعته وبيل.

والمشكلة أن البعض من الناس إنما يتساهل في هذا ويفرط فيه بسبب تعصبه، فهو يستحيي ويستكبر أن يبيع أو يخرج الحق في المال الذي أوصى به غيره، ويستمر على هذا السنين الطويلة حتى يموت، ويخلفه ورثته ثم كذلك، حتى تنسى الوصايا ولا تعلم بسبب التفريط والتعصب، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

الرابع: الواجب على من كانت حاله كما ذكرنا سابقاً، أن يبادر بتخليص الذمة، وإخراج الحق، وأن يسارع في ذلك، فإنه إن لم يستطع أن يحج بنفسه، فسيجد من يحج غيره، وإذا كان لا يستطيع أن ينفذ الوصية فليرد المال الموصى به إلى غيره ممن سيقوم بذلك، ولا يستكبر عن الحق وقبوله.

الخامس: هناك الكثير من الرجال والنساء الذين يتمنون أن يحجوا بأنفسهم، أو يحججوا عن أنفسهم، ولكن لا تزال أموالهم وموارثهم وحقوقهم بأيدي غيرهم ممن بسط عليها، ولم يعط كل ذي حق حقه منها، فكم من صاحب حق سواء كان رجلاً أو امرأة يموت وهو يتمنى أن يحج، ولكن لا يزال حقه عند إخوته، أو بعضهم. مع أن البعض من أهل الحقوق لا سيما النساء لو قام أخوها بتحجيجها بنفسها، أو بالحج عنها لأسقطت كثيراً مما تستحقه مقابل ذلك الحج. فلنتق الله في الموارث وأهلها، والحقوق وأصحابها، والوصايا وأربابها، ولنبادر التوبة قبل حلول الحوبة، وهجوم المنية، ونزول البلية، ما دمنا في دار الخيار. ولا تثق أيها المحمّل بالحقوق بأحد، ولا تعتمد على قريب ولا بعيد أنه سيقوم بتخليصك بعد موتك، حتى ولو كان ولدك، فإن من لم يرحم نفسه، لن يرحمه غيره، ومن لم ينفع نفسه، لن ينفعه غيره، فبادر أخي المؤمن سريعاً بالتخلص، ولا تدخل نفسك في الإثم والوزر لأجل أولادك أن تخلف لهم مالاً وفي الواقع هو ليس لك، فأنت إنما تخلف لهم سحتاً، لا يجوز لهم أخذه وهم يعلمون أن غيرهم أحق به. أيها المؤمنون: الرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل، وقبول النصيحة خير من الوقوع في الفضيحة، والحسنة خير من السيئة، وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، إنه على كل شيء قدير.

٣٩ - الحكمة من شرعية الحج

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ الشَّرَائِعِ وَالسَّبِيلِ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، وَفَرَضَهُ عَلَى مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا مِنَ الْأَنَامِ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مَبَارَكًا فِيهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِي الْمُؤْمِنِينَ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِبَشِيرًا لِلْمُتَّقِينَ، وَنَذِيرًا لِلْمُعْتَدِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون: فقد شرع الله تعالى شرائع الإسلام، وجعل في ذلك التشريع حكمة تعبدية يتلي عباده بها في مدى امتثالهم لرحمهم، وجعلها أيضاً موافقة لمصالحهم الدينية والدنيوية، يكتبون بسببها قوة وسلامة في أبدانهم، وصحة في أجسادهم، وبركة في أموالهم، وسلامة من كثير من بلاء الدنيا ومصيبتها، ويبين ذلك أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام في قوله: (إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذُرْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمَلَّةُ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جَنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحِضَانِ الذَّنْبَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجْلِ، وَصَدَقَةُ السَّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ، أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ، وَارْغَبُوا فِيْمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ، وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ، وَاسْتَنُوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ).

وقد جعل الله تعالى في الحج حكماً تشريعية وتعبدية عظيمة، بينها أمير المؤمنين علي عليه السلام في قوله: (أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوْلِيَيْنَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، بِأَحْجَارٍ لَا تَصْرُ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا، ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا، وَأَقْلَّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدْرًا، وَأَضْيَقِ بَطُونِ الْأُودِيَةِ قُطْرًا، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، وَرِمَالٍ دَمْتَةٍ، وَعُيُونٍ وَشَلَّةٍ، وَقُرَى مُنْقَطِعَةٍ، لَا يَزُكُو بِهَا خُفٌّ وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ، ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدَهُ أَنْ يَتَنَوَّأَ أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْتَمِي رِحَالِهِمْ، تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قَفَارٍ سَحِيقَةٍ، وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وَحَزَائِرِ بَحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهْزُوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلًّا، يَهْلَلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ، وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شِعْنًا غُبْرًا لَهُ، قَدْ نَبَذُوا السَّرَائِلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، اثْتِلَاءً عَظِيمًا، وَامْتِحَانًا شَدِيدًا، وَاخْتِبَارًا مُبِينًا، وَتَمَحِيصًا بَلِيغًا، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ، وَوَصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ، وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ، جَمَّ الْأَشْجَارِ، دَانِيَ الثَّمَارِ، مُلْتَفِّ الْبُنَى، مُتَّصِلِ الْقُرَى، بَيْنَ بَرَّةٍ سَمْرَاءَ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافٍ مُحَدِّقَةٍ، وَعِرَاصٍ مُعَدِّقَةٍ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ لَكَانَ قَدْ صَعُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ، وَلَوْ كَانَ الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرَدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ لَحَفَفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشُّكِّ فِي الصُّدُورِ، وَلَوْضَعَ مُجَاهِدَةً إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجًا لِلتَّكْبُرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَانًا لِلتَّدَلُّلِ فِي نَفْسِهِمْ، وَيَجْعَلُ ذَلِكَ أَبْوَابًا فَتْحًا إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَابًا ذُلًّا لِعَفْوِهِ).

ففي هذا الكلام البليغ، ما يعقله اللبيب، ويستفيد منه العاقل الأريب، فقد بين

أمير المؤمنين عليه السلام أن في الحج حكماً تكليفية، ومصالح هامة:

منها: مضاعفة الأجر والثواب في التكليف الشاق، فكل ما شق التكليف وصعب، عظم الأجر والثواب وضوعف، وإذا صغر البلاء صغر الجزاء. ومنها: تعليم العباد كيف يحاربون النفس والشيطان، ويزيلون من أنفسهم الشكوك والريب بالتسليم لله، والإنقياد له، والرضا بتكليفه، وعدم الإنزعاج أو التضجر مما أمر به ونهى عنه.

ومنها: إخراج الكبر من قلوبهم، وتعليمهم كيف يتواضعون لله تعالى ويتذللون له جل وعلا، مع ما وعدهم على ذلك وأعد لهم من الأجر والثواب الزائد على تلك الحكم والفوائد، فسبحانه من راحم عليهم، قادر حكيم، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

أيها المؤمنون: شرع الله الحج ركناً الخامس للإسلام لا يتم إلا به، ومن رحمته تعالى بعباده فقد جعله تكليفاً مشروطاً بالإستطاعة، كما قال تعالى ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾، ولم يجعل سبحانه وتعالى فريضة الحج الواجبة مع الإستطاعة الكاملة إلا مرة واحدة في العمر، تخفيفاً على العباد، وتيسيراً لطرق الرشاد، لما يعلمه تعالى من تعب الحج وصعوبته، وبُعد مسافة الوصول إليه ومشقته، وقد بينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما بين غيره من الشرائع، وأوضحه كما أوضح بقية الأركان والفرائض، فقد حج صلوات الله عليه حجة الوداع في السنة التاسعة للهجرة، وقال ((خذوا عني منا سككم، فلعلي لا أحج بعد عامي هذا))، وقد قامت شرعية الحج على أسس قوية، وحكم متينة، تترسخ من خلالها مبادئ الإسلام، وتعمق في الوجدان جذور الإيمان، فإن الحج مدرسة تربوية وتطبيقية، يتعلم المسلم من خلاله كيف يقوي علاقته مع الله؟ كيف يربي نفسه ويروضها على التسليم والإنقياد لأوامر الله؟ كيف يتعامل مع المسلمين الذين يشترك معهم في هذا الدين العظيم؟.

وقد يقول القائل: كيف يكون الحج سبباً في تقوية علاقة العبد مع الله تعالى؟

فنقول: يتجسد ذلك ويتضح من خلال ما يلي:

الأول: أن الحج يعتبر درساً يتعلم منه المسلم أساسيات الخوف من الله، فإنه يمثل مشهداً تمثيلاً، وصورةً تقريبيةً مصغرةً للانتقال عن هذه الدار إلى الدار الأخرى، فإن خروجه من وطنه مسافراً كخروجه من بيته ومن بين أهله وأحبائه إلى مثواه الأخير، وخلعه لثياب الزينة وارتدائه ملابس التواضع والذل كلبسه لأكفانه، ووقوفه بعرفة في وسط تلك الحشود المتراخمة المتضائقة كمشهد مصغر للوقوف في أرض المحشر، والنفرة إلى مزدلفة ومن مزدلفة إلى منى كالإنسياق والذهاب إما إلى السعادة وإما إلى الشقاوة، فيجعل الإنسان من ذلك عنواناً وسبيلاً إلى الخوف من الله ومراقبته.

الثاني: الحج مشهد من المشاهد التي تجسد عظمة الله تعالى في أجلى دلائلها وبراهينها، فالمسلم عندما يرى المسلمين مقبلين إلى تلك المشاهد الشريفة، والمشاعر المقدسة من كل أقطار الدنيا، وبلدان العالم، بصور مختلفة، وألوان متغايرة، وأحجام متباينة، وأصوات متفاوتة، ولغات متنافرة، يعبدون رباً واحداً، ويدعون إلهاً واحداً، وينادون خالقاً واحداً، في مكان واحد، وهو تعالى خالقهم ورازقهم ومقدر آجالهم وأقواتهم، فهو تعالى يعلم حوائجهم المختلفة، ويسمع أذعيتهم المتباينة والمؤتلفة، ولا تلبس عليه مناجاتهم، ولا تختلط عليه أصواتهم، ولا يسأم من نداءهم، ويعلم الدعوة وصاحبها، والحاجة وطالبها، فيعطي من شاء ويمنع من شاء، بدون أن يغلط في صوت أحد أو دعوة أحد أو حاجة أحد فيعطيها غيره، كل هذا تجسيد للعظمة الإلهية، وتقوية للروابط الإيمانية، وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه.

بسم الله الرحمن الرحيم { الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ }، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ المَعَصِيَةِ، وَنَسَأَلُهُ لِمَنْتِهِ تَمَامًا، وَ بِحَبْلِهِ اعْتِصَامًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ، وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ، وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ، أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وَظُهُورِ الْفَلَجِ، وَإِضْاحِ الْمَنْهَجِ، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ صَادِعًا بِهَا، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالًّا عَلَيْهَا، وَأَقَامَ أَعْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ، وَمَنَارَ الصِّيَاءِ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ الْإِسْلَامِ مَتِينَةً وَعُرَى الْإِيمَانِ وَثِيقَةً، صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون: نكمل معكم بعض الحكمة التشريعية في الحج.

ومن الحج يتعلم المسلم كيف يربي نفسه ويروضها على التسليم لله؟

فعندما يقف الإنسان متأملاً في أعمال الحج ومناسكه، وكيفية القيام بها، كيف شرع الله تعالى الطواف على أحجار مبنية، والسعي بين جبلين صغيرين، والوقوف على أرض من وقت كذا إلى وقت كذا، والمبيت على جبال وصخور وفي شعاب وبين مسائل وديان من وقت كذا إلى كذا، ولزوم الخروج والانتقال من مكان إلى آخر في وقت كذا، ورمي موضع أو مواضع من الأرض بأحجار معدودة على صفة معروفة في أوقات مخصوصة، يقف مبهوراً متحيراً في هذه الحكمة التشريعية، التي من خلالها يعلمنا الله تعالى كيف نسلم له، ولا نعترض على حكمته، ولا نتدخل في شؤون بريته، وإنما حالنا هو التسليم والإنقياد والخضوع والإذعان، وترك الاعتراض والتشكيك والدخول فيما لا طريق لنا إليه، ولا سبيل إلى معرفته، وهذا تأديب وترويض للنفس على القبول ممن علمنا حكمته، وحسن أفعاله.

والحج يكتسب منه المسلم كثيراً من الآداب الفاضلة، والأخلاق القويمية، من تقويم اللسان، والإبتعاد عن الفواحش، كما قال تعالى {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}.

ومن الحج يتعلم المسلم كيف يتعامل مع المسلمين؟

فإن الحج يتجلى في أبهى صور العدالة والمساواة بين المسلمين، وإلغاء الفوارق العنصرية، والعصبيات القبلية، والتميزات الجنسية، فالخلق خلق الله، والعبيد عبيد الله، وكلهم في قبضة الله، حيث فرض الله عليهم على مختلف طبقاتهم، وتفاوت مستوياتهم المعيشية، لباساً واحداً، لا تفرق فيه بين المالك والمملوك، ولا بين الغني والفقير، ولا بين الحر والعبد، ولا بين الملك والرعية، ولا بين المخلص والمرائي، ولا بين المؤمن والمنافق، فهذا يجعل الإنسان اللبيب ينزل نفسه منزلة العبد لربه، الذي لا يتعالى على أحد، ولا يتناول على أحد، ولا يرى نفسه خيراً من أحد، فيزيل من نفسه شيئاً اسمه الكبر أو الفخر أو النخوة أو التعالي على عباد الله، فيعامل المسلمين كإخوة تربطه بهم علاقة الدين، التي هي أقوى العلاقات، إلى غير ذلك من الحكم التشريعية العظيمة.

ولقد ركز النبي صلوات الله عليه وآله في حجة الوداع في خطبته الشهيرة على هذه الأمور وغيرها بأبلغ العبارات، وأوضح الإشارات، فركز على أساس المساواة الإنسانية من حيث مبدأ الوحدة وإلغاء التمايز القومي، وحسن معاملة النساء والعبيد، وعدم ظلمهم، ونبه على الأمور التي من خلالها يكون أساس وحدة الأمة الإسلامية من جهة إلغاء آثار الجاهلية ومآثرها وتشريعاتها المخالفة للإسلام، وتأكيد مبدأ الأخوة والتكافؤ بين المسلمين، واحترام الذات الشخصية الإنسانية وما تملكه، المتمثلة في تحريم أعراض المسلمين ودمائهم وكراماتهم وأموالهم على بعضهم، فإن من قال لا إله إلا الله، فقد عصم ماله ودمه وحسابه على الله، وبين أيضاً وحدة

الشريعة الإسلامية من خلال مبدأ أداء الأمانة، والقيام والإلتزام بقوانين الإرث، والتطبيق لقوانين الديات والقصاص، وأوضح فيها أيضاً أنه الختام للنبوت، وبه أغلقت أبوابها، وأن أمته ختام الأمم، وأنه يشهد على الأمة في الآخرة، وأن الأمة ستوفيه على الحوض ليتحقق أمر الشهادة عليها، وحذر صلوات الله عليه وآله من محقرات الأعمال التي تجر إلى النار والوبال، ومن الكذب عليه، وأوجب التحقق فيما ينقل عنه، إلى غير ذلك.

فالحج أيها المؤمنون: عبادة تربوية أخلاقية، ذات آداب وإرشادات تقوي العلاقات الإجتماعية الإسلامية عموماً، فلو تحقق هذا في أرض الواقع لها بهم عدوهم، وخضع لهم.

ومن فوائد الحج التي تعود على الإنسان ذاتياً: أنه إذا قام به خير قيام، وأداه على حسب شروطه وموصفاته كان جزاؤه عظيماً، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه))، وفي خبر آخر: ((الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة))، ويعود نفعه عليه حتى في الدنيا ((من أراد الدنيا والآخرة فليؤم هذا البيت))، ((عليكم بالحج والعمرة تابعا بينهما، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما تنفي النار خبث الحديد)).

فالمسلمون في هذه الأيام يتوافدون من كل فج عميق، مجيئين دعوة الله، وأذان خليله إبراهيم، متوجهين إلى أشرف البقاع وأطهرها، ليوحوا بمكنونات الضمائر، ويكشفوا من مخبات السرائر، عند من هو عالم بكل باطن وظاهر، وقد جبل الله قلوب العباد على محبة الوفاة إلى بيته العتيق، فهم يتزاحمون على الأعتاب، ويسكبون العبرات على الأبواب، ويلتصقون بالأسطار والأثواب، ويمدون أيديهم ويحركون ألسنتهم إلى الملك الوهاب، والله أمير المؤمنين ملك الفصاحة والبلاغة، ومالك أزمة الخطابة والبراعة، حيث يقول في ذكره للحج:

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنْبِيَاءِ، يَرِدُونَهُ وُجُودَ الْأَنْعَامِ، وَيَأْهُوْنَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ، وَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلامَةً لِيَتَوَاضِعَهُمْ لِعِزَّتِهِ، وَإِدْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَاعًا أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُخْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَنْحَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عِلْمًا، وَلِلْعَائِدِينَ حَرَمًا، فَرَضَ حَقَّهُ، وَأَوْجَبَ حَجَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وَفَادَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}.

٤٠ - خطبة في العشر من ذي الحجة

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مَدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلَا يُخْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الْهَمَمُ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ، فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَدَّ بِالصُّخُورِ مِيدَانَ أَرْضِهِ، حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ، وَأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ، حَمْدًا يَمَلَأُ مَا خَلَقْتَ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ، حَمْدًا لَا يُجْجِبُ عَنْكَ، وَلَا يُفْصِرُ دُونَكَ، حَمْدًا لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً إِيْمَانٍ وَإِيْقَانٍ، وَإِخْلَاصٍ وَإِدْعَانٍ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ وَأَعْلَمَ الْهُدَى دَارِسَةً، وَمَنَاهِجَ الدِّينِ طَامِسَةً، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد: أيها المؤمنون: فإن حياة الإنسان المسلم لا بد أن تكون كلها عبادة واطاعة وعمل صالح يقربه من الله تعالى، ويصله بخالقه العظيم جل وعلا، في كل جزئ من جزئيات حياته، وفي كل حال من أحواله، وفي كل شأن من شؤونه.

فحياة المسلم تمتاز بأنها زاخرة بالأعمال الصالحة، ومليئة بالعبادات المشروعة، التي تجعل المسلم في عبادة مستمرة، وتحول حياته كلها إلى قول حسن، وعمل صالح، وسعي دؤوب في رضا الله، دونم أي كليل أو ملل، أو فتور أو انقطاع.

كما قال الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، فحياة المسلم الطيبة هي التي يستمر فيها على الطاعة، فهي لا تكاد تنقطع من أداء نوع من أنواع العبادة التي

تُمثل له منهج حياةٍ شاملٍ مُتكامل؛ في كل ساعة وفي كل يوم وفي كل شهر وفي كل عام، وقد يسر الله تعالى لنا أوقاتاً ومواسماً سنويةً يجب على المسلم أن يحرص على اغتنامها، والاستزادة فيها من الخير، عن طريق أداء بعض العبادات المشروعة، والمحافظة على الأعمال والأقوال الصالحة التي تُقربه من الله تعالى، وتُعينه على مواجهة ظروف الحياة بنفس طيبةٍ وعزيمةٍ صادقة.

ونحن نعيش في موسم من مواسم الخير المتجدد في حياة الإنسان المسلم، في شهر الحجة، الشهر الذي تؤدي فيه فريضة من أجل الفرائض، ويقام فيه ركن من أركان الإسلام، وهو من الأشهر الحرم التي كانت الجاهلية تعظمها فلما جاء الإسلام زادها شرفاً وتعظيماً، هذا الشهر الكريم الذي نطق القرآن بفضل أيامه ولياليه، ووردت لأيامه ولياليه فضائل كثيرة على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

هذه الأيام المباركات تُعد مناسبةً سنويةً مُتكررة تجتمع فيها أمهات العبادات التي هي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيرها.

وهي أيام يشترك في خيرها وفضلها الحُجاج إلى بيت الله الحرام، والمقيمون في أوطانهم، لأن فضلها غير مرتبطٍ بمكانٍ مُعينٍ إلا أعمال الحج.

فقد أقسم الله تعالى في سورة الفجر بالعشر الأولى من شهر الحجة، فقال تعالى {والفجر وليال عشر} فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها العشر الأولى من ذي الحجة، وأمر الله تعالى بالإكثار من ذكره فيها فقال تعالى {واذكروا الله في أيام معلومات} وقد ورد أنها العشر أيضاً، وهي أيام شريفة فاضلة، يسن ويندب فيها الذكر لله تعالى، والتقرب بأنواع القربات إليه جل جلاله، بل إن الذكر لله والعمل الصالح فيها لا يعدله شيء من الأعمال، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ما من أيام أحبُّ إلى الله عز وجل

فيهن العمل من أيام العشر، قيل: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله: قال: ولا الجهاد في سبيل الله؛ إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله فلا يرجع من ذلك بشيء)). وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ((أفضل أيام الدنيا أيام العشر - يعني عشر ذي الحجة-))، قيل: ولا مثلهن في سبيل الله؟ قال ((ولا مثلهن في سبيل الله، إلا من عقر وجهه في التراب)). وروي عن الإمام الشهيد أبي الحسين زيد بن علي عليهما السلام، قال: سمعت أبي علي بن الحسين عليهما السلام، يقول: سمعت أبي الحسين بن علي عليهما السلام، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((إذا كان يوم القيامة حشر الله الأيام على هيئة الجسم فجعل رأس الأيام يوم الجمعة، ويدها اليمنى أيام عرفات، ويدها اليسرى أيام الترويات، وجعل أجنحتها أيام الأعياد والأضاحي، وجعل قلبها شهر رمضان وجعل أرجلها أيام العشر))، فهذه الأيام الفاضلة هدية من الله تعالى لعباده، وسوق من أسواق المراجعة والمتاجرة مع الله تعالى، فلا ينبغي أن نضيعها ونهمل العمل فيها، بل ينبغي الحرص التزود فيها من أعمال الخير، فمما ينبغي الحرص عليه فيها والمداومة ما يلي:

الأول: صيام أيام العشر وقيام ليلها:

فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان لا يدع صيام يوم عاشوراء والعشر من ذي الحجة وثلاثة أيام من كل شهر. وروي عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدع صيام تسع ذي الحجة ويوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر. وروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((من صام أيام العشر كُتِبَ له بكل يوم صيام سنةٍ غيرِ عرفة، فإنه من صام يوم عرفة كُتِبَ له صيام سنتين)).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صيام أيام العشر وقيام ليلاً أنه قال: ((يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر)).
وروي عن أنس بن مالك أنه قال: كان يقال في أيام العشر: بكل يوم ألف يوم، ويوم عرفة بعشرة آلاف يوم - يعني في الفضل.

وقال بعض السلف: بلغني أن العمل في اليوم من أيام العشر كقدر غزوة في سبيل الله؛ يُصام نهارها، ويُحْرَسُ ليلاً، إلا أن يُخْتَصَّ امرؤٌ بالشهادة.
وقال بعض الصالحين: من صام هذه الأيام أكرمه الله بعشرة أشياء: البركة في عمره، والزيادة في ماله، والحفظ في عياله، والتكفير لسيئاته، والتضعيف لحسناته، والتسهيل لسكرات موته، والضيء لظلمات قبره، والتثجيل لميزانه، والنجاة من دركاته، والصعود على درجاته.

وكان السلف الصالح يعتادون قيام هذه الليالي الفاضلة، فقد كان سعيد بن جبير رحمه الله إذا دخلت العشر اجتهد اجتهاداً حتى ما يكاد يقدر عليه، ورُوي عنه أنه قال: لا تطفؤوا سُرُجَكُمْ ليالي العشر، كان تعجبه العبادة.

الثاني مما يستحب ويندب: ذكر الله تعالى: وهو يشمل كل ذكر من قرآنة قرآن وتسييح وتحميد وتمجيد وتكبير وتوحيد وغيرها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحبُّ إليه العملَ فيهن، من أيام العشر، فأكثرُوا فيهن من التسييح والتحميد والتكبير والتهليل))، فينبغي أن لا تخرج هذه العشر إلا وقد ختمت القرآن الكريم مرة على الأقل.

الثالث: مما يضاعف أجره وثوابه في هذا الأيام: الصدقة وبذل المال في سبيل الله وطاعته: والمراد بذلك الصدقة على الضعفاء والمساكين والمحتاجين، أو إنفاق المال في الحج والعمرة، أو في شراء الأضاحي وغير ذلك من القرب المقربة إلى الله تعالى، وما أكثر حاجات الناس في العشر من النفقة والإستعداد للعيد، وطلب الأضحية ونحوها.

وبالصدقة ينال الإنسان البرَّ، ويُضاعفُ له الأجرُ، ويظله الله في ظله يوم القيامة، وتُفتح له بها أبوابُ الخير، وتُغلقُ عنه بها أبوابُ الشر، ويفتح له بالصدقة باب من أبواب الجنة، ويحبه الله ويحبه الخلق، ويركي ماله ونفسه، ويُغفرُ له ذنبه، ويتحرر من عبودية حب المال بإنفاقه له في سبيل الله، ويحفظه الله في نفسه وماله وولده وأهله، ويبارك له في دنياه وآخرته.

الرابع: مما ينبغي الإهتمام به الحرص عليه والمداومة في كل وقت ولا سيما في هذه الأيام العشر، هو الدعاء والرغبة إلى الله تعالى، لا سيما في مثل هذه الأوضاع التي يعيشها الناس، فلنرجع إلى الله بقلوب خالصة، ونيات صادقة، فهو مجيب الدعوات، ودافع البليات، وهو على كل شيء قدير.

وفقنا الله لطاعته، وعصمنا من معصيته، وهدانا إلى طريق رضوانه وجنته، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْفَجْرِ {١} وَلَيَالٍ عَشْرٍ {٢} وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ {٣} وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ، بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، إنه كريم جواد بر رؤوف رحيم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، تَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ.

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقًا، فَأَدَّى أَمِينًا، وَمَضَى رَشِيدًا، صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون:

هذه الأيام المباركة جعلها الله تعالى موعد خير وبركة للمسلمين، فمن حرص عليها، واهتم بها، وقام بما ينبغي عليه تجاهها من المبادرة والمشاركة إلى أفعال الطاعات وأعمال الخير، فهو المسلم المتفهم، الحريص على جلب الخير لنفسه.

وفي هذه الأيام تَحْنُّ قلوبُ كثيرٍ من المؤمنين إلى حج بيت الله الحرام، ولعلمه سبحانه وتعالى بعدم قدرة الكثيرين على الحج كل عام فقد فرضه على المستطيع مرة واحدة، ومن رحمته الواسعة جعل فضل موسم العشر الأولى من ذي الحجة مشتركاً بين الحجاج وغيرهم، فمن عجز عن الحج في عامه فهو يقدر على تعويض بعض ما يفوته من أجر الحج وفضله بالإجتهد في العبادة في هذه العشر، فيكون الإجتهد فيها بالعمل الصالح أفضل من الجهاد الذي هو أفضل من الحج.

أيها المؤمنون: إِنَّ حَثَّ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْجِدِّ وَالْإِجْتِهَادِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، يُعَلِّمُنَا دُرُوسًا تَرْبَوِيَّةً، وَيُكَسِّبُنَا فَوَائِدَ إِيْمَانِيَّةً، وَيَدْعُونَا إِلَى ضَرُورَةِ الْإِهْتِمَامِ وَالرِّعَايَةِ بِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ السَّنَوِيَّةِ الَّتِي لَا تَحْصُلُ فِي الْعَامِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، وَيُنْبِهُنَا عَلَى اغْتِنَامِهَا فِي عَمَلِ الطَّاعَاتِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ، لِمَا فِيهَا مِنْ فُرْصٍ تُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا فِيهَا مِنْ تَرْوِيدِ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ بِالْغِذَاءِ الرُّوحِيِّ الْمَعْنَوِيِّ الَّتِي يَرْفَعُ مِنَ الْجَوَانِبِ الْمَعِيشِيَّةِ عِنْدَ الْإِنْسَانِ، فَتُعِينَهُ بِذَلِكَ عَلَى مَوَاجَهَةِ صَعُوبَاتِ الْحَيَاةِ.

فعلينا كمسلمين مؤمنين، أن نتفاعل معها تفاعلاً إيجابياً يمكننا من خلال تحقيقه أن نُغيّر من نمط حياتنا الغافل، وأن نكسر روتينها المعتاد بما يصلح من القول والعمل، بتنويع أنماط العبادات وتنويع الطاعات، التي تنشط وتجدد العزم، وتدعو العبد المسلم إلى استمرارية ومواصلة مشوار العبادة طيلة حياته مع خالقه العظيم، من خلال الطاعة الصادقة، والامتثال الخالص، وهذا دليلٌ على مؤكّدٍ على أن حياة الإنسان المسلم كلها طاعةٌ لله تعالى من المهد أو من سن التكليف إلى اللحد، ليظل الفرد المسلم على صلةٍ دائمةٍ بخالقه، فهي خلوةٌ نفسيةٌ قصيرةٌ يتفقد فيها المرء نفسه صفاءً وسلاماً.

ومن جهةٍ أخرى: فإن هذه المواسم العظيمة، تدعو إلى الحرص وفتح باب التنافس في الطاعات، حتى يُقبل كلُّ إنسان على ما يستطيعه من عمل الخير، كالعبادات المفروضة، والطاعات المطلوبة من حجٍّ وعمرةٍ، وصلاةٍ وصيامٍ، وصدقةٍ وذكرٍ ودعاءٍ وغيرها، وفي ذلك تعليم وتربية للمسلم أن يفرغ طاقته وإستطاعته لبلوغ غاية ما يصبو إليه من الفوائد والمنافع الدنيوية المتمثلة في حصول الحياة الطيبة، والفوائد الأخروية المتمثلة في الفوز بالجنة، والنجاة من النار.

فعلينا أن نربي أنفسنا ونروضها على أهمية إحياء السنن والشعائر الدينية المختلفة طيلة حياتنا؛ لاسيما وأن باب العمل الصالح مفتوحٌ لا يُغلق منذ أن يكلف الإنسان وحتى يموت انطلاقاً من التوجيهات الإسلامية التي حثت على ذلك ودعت إليه.

فعلينا أن نستقبل هذه الأيام العظيمة بالتوبة الصادقة النصوح، وبالإقلاع عن الذنوب والمعاصي؛ فإن الذنوب هي التي تحرم الإنسان فضل ربه وتحجب قلبه عن مولاه.

وأن نوظن أنفسنا على العزم الصادق الجادّ على اغتنامها بما يُرضي الله؛ فمن صدقَ الله في عمله ونيته صدقَهُ اللهُ وقَبِلَ منه، ونية المؤمن خيرٌ من عمله، فلا يدري الإنسان لعله لا يعيش إلى عام قابل يستغل فيه مثل هذه الفضائل.

٤١ - في فضل عرفة والأيام التي تليه

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ، تَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، وَنَبِيرُ بُرْهَانِهِ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ، حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرَّبًا، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِبًا، وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةً رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ، وَتُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا مِنْ رَجَاهُ مُوقِنًا، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِنًا، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّدًا، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّدًا، وَلَاذًا بِهِ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الذي لا يدخل في عدد، والفرْدُ الذي لا يقاس بأحد، علا عن المشاكلة والمناسبة، وخلا من الأولاد والصاحبة، قائمٌ بالقسط، عدلٌ في الحكم، رؤوفٌ بالعباد، مالكُ الملِك، رَحِيمٌ بِالْخَلْقِ.

وأشهد أن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَخَيْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ، حَمَلَهُ الرِّسَالَةَ فَأَدَّأَهَا، وَأَمَرَهُ بِالنُّصْحِ لِأُمَّتِهِ فَنَصَحَ لَهَا، أَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَكَشَفَ الْغَمَةَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَخْيَارِ الصَّادِقِينَ الْأَبْرَارِ.

أما بعد أيها المؤمنون:

فإننا نعيش في أيام هي عند الله من أفضل الأيام، والله تعالى يحب العمل فيهن، هذه الأيام المباركة التي يؤدي فيها الحجيج مناسك حجهم، ويقومون فيها بفرائض ربهم، إجابة لنداء إبراهيم الخليل عليه السلام حيث أمره الله تعالى بذلك فقال: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}، فالمسلمون يتوافدون إلى البيت العتيق لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام، طالبين الفضل من الله تعالى، وراجين منه العفو والغفران، متبعين في ذلك سنن

نبههم الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول ((خذوا عني مناسككم))، فقد علّم النبي أمته مناسك الحج وأركانه.

ففي الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة أعلن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن عزمه إلى حج بيت الله الحرام، فقدم المدينة بشرّاً كثيرٌ كلهم يلتمس أن يأتهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويعمل مثل عمله، فخرج معه صلى الله عليه وآله وسلم مائة ألف من المسلمين من الرجال والنساء، وقيل أكثر، وساق معه بعضاً من الهدى، قال جابر بن عبد الله: فخرجنا حتى أتينا ذا الحليفة، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد، ثم ركب ناقته القصوى، حتى إذا استوت به ناقته في البيداء نظرتُ مُدَّ بصري من بين يديه من ماشٍ، وعن يمينه مثلُ ذلك، وعن يساره مثلُ ذلك، ومن خلفه مثلُ ذلك، ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين أظهرنا عليه يتنزل القرآن وهو يعرف تأويله، وما عمل من شيءٍ عملناه، فأهللنا بالتوحيد: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك)، وأهلَّ الناسُ بهذا الذي يهلون به اليوم، فلم يُرَدَّ عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً منه، ولزم رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تلبيته، وبقي ملبياً حتى دخل مكة المكرمة، وطاف بعدها بالبيت سبعة أشواط، واستلم الحجر الأسود وصلى ركعتين عند مقام إبراهيم وشرب من ماء زمزم، ثم سعى بين الصفا والمروة.

وقدم علي عليه السلام من اليمن فأهل بما أهل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان معه بقية الهدى، فكان عدد الهدى مائة من الإبل.

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة توجه إلى منى فبات فيها، وفي اليوم التاسع توجه إلى عرفة فصلى فيها الظهر والعصر جمع تقديم في وقت الظهر، ثم خطب خطبته الشريفة التي سميت فيما بعد بـخطبة الوداع، وبعد غروب شمس يوم عرفة نزل الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون إلى مزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء جمع تأخير، بأذانٍ واحدٍ وإقامتين، ولم يسبُح بينهما، ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح، ثم ركب القصوى حتى أتى المشعر الحرام، فقام عليه واستقبل القبلة، فدعا الله عز وجل وهلله وكبره ووحده، ولم يزل واقفاً حتى أسفر جداً، ثم دفع قبل أن تطلع الشمس، ثم نزل إلى منى، حتى أتى الجمرة الكبرى جمرة العقبة فرماها بسبع حصياتٍ، يكبر مع كل حصاةٍ، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بدنةً بيده، ثم أعطى علياً فنحر ما بقي من البدن وأشركه في هديه، ثم أمر بيضعة من كل بدنةٍ فجعلت في قدرٍ، فطبخت فأكلا من لحومها وشربا من مرقها.

ثم أفاض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى البيت فصلى بمكة الظهر، فأتى بني عبد المطلب وهم يسقون على زمزم، فقال: ((انزعوا يا بني عبد المطلب، فلولاً أن يغلبكم الناس على سقائكم لنزعت معكم)) فناولوه دلوًا فشرب منه، ثم عاد إلى منى وبات بها وظل أيام منى ولياليها، ثم عاد إلى مكة وطاف طواف الوداع، ثم عاد إلى المدينة المنورة.

وعندما كان الصحابة يسألون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن بعض أعمال الحج لا يجدون منه إلا التيسير والتخفيف عليهم، وهو يقول لمن سأله: افعل ولا حرج. أيها المؤمنون: كان حجُّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم موافقاً ليوم الجمعة، فكان يوم التاسع من ذي الحجة الذي هو يوم عرفة يوم الجمعة، وفي مثل ذلك المشهود اليوم خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطبة الوداع في موقف عرفة في جبل الرحمة، الخطبة العصماء التي أرسى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها قواعد الإسلام، وهدم مبادئ الجاهلية، وعظَّم حرَمات المسلمين، فخطب الناس وودعهم بعد أن استقرَّ التشريع، التي قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها:

((أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير .
أما بعد أيها الناس: اسمعوا مني أُبَيِّنُ لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي
هذا، في موقفي هذا.

أيها الناس: إن دماءكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة
يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

وإن ربا الجاهلية موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون،
وقضى الله أنه لا ربا، وإن أول ربا أبداً به ربا عمي العباس بن عبد المطلب.

وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن
عبد المطلب.

وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قَوْدٌ وفيه مائة بغير،
فمن زاد فهو من أهل الجاهلية - ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن
يطاع فيما سوى ذلك مما تُحَقِّرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس: إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه
عاماً ليوطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا
عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السماوات والأرض، منها أربعة حرم ثلاثة
متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى
وشعبان - ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقاً، ولكم عليهن حق، لكم أن لا يواطئن فُرُشَهُم
غيركم، ولا يُدخِلْنَ أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن

الله قد أذن لكم أن تعضلوهم، وتهجروهم في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد، فأوصيكم بمن ملكت أيمانكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، إنَّ المسلمَ أخو المسلم، لا يعُشُّهُ ولا يحُونُهُ ولا يعْتَابُهُ، ولا يَحُلُّ لَهُ دَمُهُ، ولا شَيْءٌ من مَالِهِ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسِهِ، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد، فلا تَرْجِعَنَّ بعدى كافراً يضربُ بعضُكم رقابَ بعض، فإنني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله اتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

أيها الناس: إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لو ارث وصية، ولا يجوز وصية في أكثر من ثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبلُ منه صرفٌ ولا عدلٌ. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، قالوا: نعم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنكم مسؤولون، فليبلغ الشاهدُ الغائبَ)).

فهذه كلمات جامعة موجزة تحكي المبادئ الكبرى لهذا الدين، وتُثَبِّتُ في نفوس المسلمين أصول وقواعد الشريعة، وتبَّه فيها بالقضايا الكبرى على الجزئيات الصغرى. وفقنا الله لطاعته، وعصمنا من معصيته، وهدانا إلى طريق رضوانه وجنته، بسم الله الرحمن الرحيم {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى

فَبَشِّرْ عِبَادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ، أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ، لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ}، بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، إنه كريم جواد بر رؤوف رحيم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية (إذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلًا عَلَى آيَاتِهِ وَعَظَمَتِهِ، نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ الْمَعَاوَةَ فِي الْأَذْيَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمَعَاوَةَ فِي الْأَبْدَانِ.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، ويميت ويحيي، وهو حي دائم لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أَرْسَلَهُ لِإِنْفَازِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ عُنْدَرِهِ، وَتَقْلِيمِ نُذْرِهِ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله البررة الأتقياء، الأخيار الأصفياء.

أما بعد: أيها المؤمنون: فإننا في هذا اليوم العظيم، الذي هو يوم عرفة، اليوم الذي شرفه الله وعظمه، وفضله وكرمه، ينشر فيه رحمته على العباد، ويهيئ لهم فيه الأرباح ليوم المعاد، وهو المراد بقوله تعالى {والشفع والوتر} فالشفع هو يوم عرفة، والوتر هو عيد الإضحى، كما روي عن علي عليه السلام، وهو المقصود بقوله تعالى {وشاهد ومشهود} كما روي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((الشاهد يوم عرفة، والمشهود يوم الجمعة))، وهو يومٌ عظيم يُعد من مفاخر الإسلام، لأنه يوم مغفرة الذنوب والتجاوز عنها، ويوم العتق من النار، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((ما من يومٍ أكثر من أن يُعتقَ اللهُ عز وجل فيه عبداً من النار من يوم عرفة))، وهو يوم المُباهاة بأهل الموقف، يُباهي اللهُ بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟

وهو أفضل الأيام، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أفضل الأيام يوم عرفة))، وهذا اليوم العظيم تختص به عبادات وأذكار، فمنها:

الأول: صيام يوم عرفة: فله مزيد فضل على بقية أيام العشر في صيامه وأذكاره، فصيامه فيعدل صيام سنتين، سنة ماضية ومستقبلة، كما ورد عن النبي صلى الله

عليه وآله وسلم أنه قال: ((عدل صوم يوم عرفة بسنتين))، وفي حديث آخر: ((صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يُكفّر السنة التي قبله، والتي بعده)).

الثاني: حفظ الجوارح عن المحرمات في هذا اليوم فيه أجر كثير، ففي الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((يوم عرفة، هذا يوم من مَلَك فيه سمعه وبصره ولسانه عُفِر له)).

الثالث: ينبغي الإكثار من التوحيد لله تعالى بصدق وإخلاص: فقد ورد ليوم عرفة ذكر خاص، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر منه، كما ورد عنه أنه قال ((أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير)).

الرابع: يبدأ من فجر يوم عرفة التكبير المعروف بتكبير أيام التشريق، وهو المراد بقوله تعالى {واذكروا الله في أيام معدودات} فقد ورد أنها أيام التشريق، وقوله تعالى {ولتكبروا الله على ما هداكم}، ووقت هذا التكبير من فجر يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق وهو اليوم الثالث عشر، وحكمه الوجوب، عند بعض الأئمة عليهم السلام كالإمام زيد والمنصور بالله والإمام محمد الدين المؤيدي، وعند الآخرين من الأئمة والعلماء أنه سنة مؤكدة، وهو يقال بعد الفرائض، وصفته كما يلي: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد، والحمد لله على ما هدانا وأولانا وأحلّ لنا من بهيمة الأنعام.

كما روي عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: ((يا علي كبر في دبر صلاة الفجر يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق إلى صلاة العصر))، وعن علي عليهم السلام قال: ((التكبير: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد)).

وقال الإمام زيد بن علي عليهما السلام: التكبير يجب على الرجال والنساء من أهل الحضرة، وأهل السفر، ومن صلى في جماعة، ومن صلى وحده في دبر كل صلاة فريضة، وفي دبر صلاة الجمعة، فهي فرض في الفرض، ونفل في النفل.

فيكون عدد أيام هذا التكبير خمسة أيام، وعدد الصلوات المفروضة التي يقال بعدها ثلاثٌ وعشرون فريضة، ومن فاته شيء من التكبير قضاه في أيام التشريق.

وينبغي في هذا اليوم الإكثار من الدعاء والإبتهاال فإنه من أفضل الأيام، كما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم ((ما شرقت شمس أو غربت على يوم من أيام الدنيا أفضل من يوم عرفة))، فلنرغب إلى الله وندعوه بما نشاء، وهناك أدعية خاصة بهذا اليوم، منها الدعاء المروي عن الإمام الحسين عليه السلام، وكذلك الدعاء المروي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين في الصحيفة السجادية.

أيها المؤمنون: إن حجاج بيت الله العتيق في هذا اليوم يقفون على صعيد عرفات، يسكبون العبرات، ويكررون الدعوات، ويستقبلون العشرات، ويتوبون من السيئات، ويعتذرون من الخطيئات، قلوبهم معلقة ببارئ البريات، وألسنتهم لهجة بأنواع الذكر والدعاء بتنوع اللغات، وتعدد الحاجات، ينادون رباً واحداً، ويعبدون إلهاً واحداً، ويلبسون لباساً من نوع واحد، ويجمعهم مكان واحد، وهم في ذلك الاجتماع الكبير، يربعون أعداء الله وأعداء الإسلام، ويجسدون وحدة الدين والإسلام، ويعبرون بذلك الاجتماع عن توحدهم واجتماعهم تجاه مبادئهم ودينهم، ولكن للأسف يجتمع المسلمون في تلك البقاع الطاهرة، وقلوبهم متنافرة، وأيديهم متناحرة، وألسنتهم متشاجرة، وعداوتهم واضحة ظاهرة، حتى طمع عدوهم فيهم، وسامهم الخسف والذل، فيا أمة الإسلام أفيقوا من رقدتكم، وانتبهوا من غفلتكم، واجمعوا على الحق والتقوى أمركم، وأغبطوا باجتماعكم عدوكم، وأرضوا ربكم، وفقني الله وإياكم لما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والنيات والهدى، إنه سميع مجيب الدعاء.

٤٢ - إمامة علي عليه السلام وخلافته من البعثة إلى حجة الوداع**الخطبة الأولى**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على إتمام النعمة، وإكمال الدين، الذي لا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى، نحمده حمداً لا بداية له ولا انتهاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ليس له حد ينال، ولا شبه يضرب له به الأمثال.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأقام الدلالة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: إن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالدين الخاتم للأديان والشرائع، الباقي إلى يوم القيامة، وليست نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة بالمدّة التي يعيشها ويدير شؤون الناس فيها، بل هي نبوة عامة إلى انقطاع التكليف، فمشروع النبوة والدعوة إليها يمثل تكوين دولة يرأسها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتحتاج إلى من يخلفه من بعده ويقوم مقامه، وهذا الأمر كان مفهوماً ومعروفاً ومعلوماً عند كافة القبائل العربية أن كل أمر فيه تكوين لمدة طويلة لا بد أن يكون هناك من يخلف الرجل المؤسس لذلك الأمر الذي يراد بقاؤه، فإذا لم يوجد كان الأمر عرضة للزوال والإنتهاء، فأمر الخلافة كان مطروحاً من أول البعثة النبوية، والذي يدل على ذلك أمور:

الأول: ما ذكره أهل السير والتواريخ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب، فأتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس: والله لو أني

أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال صلوات الله عليه وآله: الأمر إلى الله، يضعه حيث يشاء. قال فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك ! فأبوا عليه.

الثاني: ما ذكره أهل السير أيضاً أن كندة قالت له: إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الملك لله، يجعله حيث يشاء. فقالوا : لا حاجة لنا فيما جئتنا به !.

الثالث: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يبايع الأنصار وهم أهل الإيواء والنصرة، على أن لا ينازعوا الأمر أهله، كما رواه المحدثون بطرق عديدة منها عن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكروه، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم.

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يريد أن يقطع أطماع الناس عن الأمر بعده، وأنه مرتبط بالنبوة، فكما أن النبوة اختيار واجتباء، فكذلك خلافتها تكون باختيار واجتباء، فبما أن الأمر راجع إلى الإختيار الإلهي، فقد كان هناك مقدمات وارهاسات وإشارات وتلويحات بل تصريحات، على من يخلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمنها:

الأول: حديث الإسراء: ما رواه الإمام الأعظم زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((قال لي ربي ليلة أسري بي: من خلفت على أمتك يا محمد؟ قال: قلت أنت أعلم يا رب.

قال: يا محمد إني انتجتك برسالتي، واصطفيتك لنفسي، فأنت نبي، وخيرتي من خلقي، ثم الصديق الأكبر الطاهر المطهر الذي خلقتك من طينتك، وجعلته وزيرك، وأبا

سبطيك السيدين الشهيدين الطاهرين المطهرين سيدي شباب أهل الجنة، وزوجته خير نساء العالمين أنت شجرة وعلي أغصانها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها، خلقتكم من طينة عليين، وخلقت شيعتكم منكم إنهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف لم يزدادوا لكم إلا حبا، قلت: يا رب ومن الصديق الأكبر؟ قال: أخوك علي بن أبي طالب)).

قال علي عليه السلام: ((بشرني بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابنائي الحسن والحسين منها وذلك قبل الهجرة بثلاثة أحوال)).

وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لما أسري بي إلى السماء ثم من السماء إلى سدرة المنتهى ووقفت بين يدي ربي عز وجل قال الله: يا محمد إنك قد بلوت خلقي فمن وجدت أطوعهم لك؟ قلت: رب علي، قال: صدقت يا محمد هل اتخذت لأمتك خليفة يكون فيهم من بعدك ويعلمهم من كتابي ما لا يعلمون؟ قال: قلت رب اختر لي فإن خيرتك خيرتي، قال: اخترت لك علياً فاتخذته لنفسك خليفة ووصياً.

إلى أن قال: وهو أمير المؤمنين لم أسم بها من كان قبله وليست لأحد بعده، يا محمد علي راية الهدى إمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني)).

الثاني: خبر الإنذار أو خبر الدار: فعن علي عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم {وأندر عشيرتك الأقربين}، دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا علي إن الله أمرني أن أندر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أني مهما أبدؤهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتُ عليها حتى جاء جبريل فقال: يا محمد إنك إن لم تفعل ماتؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لي صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واجعل لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب، حتى أكلمهم وأبلغ ما أمرت به.

ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، إلى قوله: ثم تكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم أحداً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأياكم يوازرنني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟

قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: -وإني لأحدثهم سناً، وأرمضهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً-: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه.

فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع. فقد قطع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أطماع القرابة القريبة، حتى لا يجعلوها ميراثاً أو بالأكبر سناً أو نحو ذلك.

بل في مواقف كثيرة، وأحوال متعددة، ومقامات متنوعة، بعضها جماعية، وبعضها نصاصح ووصايا فردية، ينه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أن علياً خليفته ووصيته، إما بلفظ الخليفة أو الوصي أو الإمامة أو الأمير أو الولي وغيرها، ونذكر بعضاً من ذلك: فمنها: عن سلمان الفارسي أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا نبي الله بأبي وأمي عمن نأخذ بعدك وبمن نتق قال: فسكت، ثم سأله من الغد فسكت، ثم سأله اليوم الثالث فسكت عني عشراً ثم قال: ((يا أبا عبد الله ألا أحدثك عما سألتني عنه)).

فقلت: بلى بأبي وأمي حدثني لقد خشيت أن يكون قد وجدت عليّ.

فقال: ((يا أبا عبد الله إن أخي ووارثي وخليفتي وخير من أترك بعدي علي بن أبي طالب، يقضي ديني، وينجز مواعيدي)).

ومنها: عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((هذا علي بن أبي طالب لحمه من لحمي ودمه من دمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى

إلا أنه لا نبي بعدي، يا أم سلمة هذا علي أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، ووعاء علمي، ووصيي، وبابي الذي أوتى منه، أخي في الدنيا والآخرة، ومعني في المقام الأعلى، يقتل القاسطين والناكثين والمارقين)).

ومنها: عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم الحديبية وهو آخذ بضبع علي بن أبي طالب: ((هذا أمير البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، ومخذول من خذله — ثم مد بها صوته وقال: — أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد الدار فليأت الباب)).

ومنها: عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ألا أدلكم على ما إن تساءلتم عليه لم تهلكوا، إن وليكم الله وإمامكم علي بن أبي طالب فناصره وصدقوه فإن جبريل أخبرني بذلك))، وغيرها أكثر من أن نأتي عليها.

فهذا رد واضح على كل من أنكر وصية النبي لعلي، أو ادعا أنه لا يوجد ما ينص على علي بلفظ الخلافة ونحوها، وبهذا نعلم أن خبر الغدير ليس هو الدليل الوحيد الذي لولاه لما عرفت خلافة علي عليه السلام، فهناك غيره وهو جزء مما نستدل به على إمامة علي وخلافته من الكتاب والسنة، وإنما خبر الغدير له ميزة الإشتهار والتواتر، وليكون خاتماً للأدلة الدالة على ذلك على رؤوس الناس أجمعين.

جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، بسم الله الرحمن الرحيم {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِيُونَ}، بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، إنه تعالى كريم جواد بر رؤوف رحيم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله.

أما بعد أيها المؤمنون: لما أقبل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من مكة في حجة الوداع، نزل بغدير الجحفة بين مكة والمدينة، فأمر بالدوحات فقمَّ ما تحتهن من شوك؛ ثم نادى ((الصلاة جامعة)) فخرجنا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في يوم شديد الحر؛ إن مِنَّا من يضع رداءه على رأسه وبعضه تحت قدمه من شدة الحر، حتى انتهينا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فصلى بنا الظهر؛ ثم انصرف إلينا فقال ((الحمد لله، نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى؛ وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: أيها الناس، فإنه لم يكن لنبي من العمر إلا نصف ما عُمر من قبله، وإن عيسى بن مريم لبث في قومه أربعين سنة، وإني قد أشرعت في العشرين؛ ألا وإني يوشك أن أفارقكم، ألا وإني مسؤول، وأنتم مسؤولون؛ فهل بلغتكم؟ فماذا أنتم قائلون؟ فقام من كل ناحية من القوم مجيب يقولون: نشهد أنك عبدالله ورسوله، قد بلغت رسالاته وجاهدت في سبيله، وصدعت بأمره، وعبدته حتى أتاك اليقين؛ جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته.

فقال: ((ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، والنار حق، وتؤمنون بالكتاب كله؟)). قالوا: بلى.

قال: ((أشهد أن قد صدقتم وصدقتموني؛ ألا وإني فرطكم وأنتم تبغي، توشكون أن تردوا عليّ الحوض، فأسألکم حين تلقوني عن ثَقَلِيّ، كيف خلفتموني فيهما؟)).
قال: فأُعيّل علينا ما ندرى ما الثقلان، حتى قام رجل من المهاجرين فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله: ما الثقلان؟

قال: ((الأكبر منهما كتاب الله، سبب طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فتمسكوا به ولا تولوا ولا تضلوا؛ والأصغر منهما عترتي، من استقبل قبلي، وأجاب دعوتي، فلا تقتلوه ولا تتهروهم ولا تُفَضِّرُوا عنهم؛ فإني قد سألت لهما اللطيف الخبير فأعطاني، ناصرهما لي ناصر، وخاذلها لي خاذل، ووليها لي ولي، وعدوها لي عدو؛ ألا فإنها لم تهلك أمة قبلكم حتى تدين بأهوائها، وتظاهر على أهل نبوتها، وتقتل من قام بالقسط منها))، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فرفعها؛ وقال: ((من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه . قالها ثلاثاً)).

ورواة هذه الخطبة من علماء الإسلام لا يمكن حصرهم، ويتعذر ضبطهم، فلا يكاد يخلو كتاب من الكتب المعتمدة المشهورة لدى المؤلف والمخالف من ذكره، فقد رواه جماعة وافرة من المحدثين عن جماعة من الصحابة، وقد ظهرت ظهور الشمس، واشتهرت اشتهاار الصلوات الخمس، فليس يقدر أحد على ردها أو إنكارها، فقد قامت الحجة، واتضح الحجة، وعليك أن تنظر لنفسك.

أيها المؤمنون: إن يوم الغدير الذي هو يوم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام، من أيام الله الفاضلة، وعيد من أعياد المؤمنين، ففيه أكمل الله الدين، وأتم النعمة على المسلمين، وأنزل الله فيه قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾، فلما نزلت هذه الآية الكريمة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((الحمد لله على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي، والوصاية لعلي من بعدي)).

ومن فضائل هذا اليوم ما روي عن جعفر الصادق عليه السلام أنه كان يقول: هو عيد الله الأكبر، وما بعث الله عزوجل نبياً إلا وتعيد في هذا اليوم، وعرف حرمة، واسمه في السماء يوم العهد المعهود، وفي الأرض يوم الميثاق المأخوذ، والجمع المشهود). وروي أيضاً (ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل عند الله من يوم الثامن عشر من ذي الحجة، وما بعث الله نبياً إلا أقام وصيه في هذا اليوم). وفيه أعمال وطاعات وعبادات شهيرة، فمن مندوباته ومستحباته:

الأول: الصيام فيه، فقد ورد في فضل صيامه، ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((قال: من صام يوم ثمانية عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدیر خم، لما أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ألسْتُ ولي المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال: عمر: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولا كل مؤمن، فأنزل الله تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم})). وعن جعفر الصادق أنه قال: (صوم يوم غدیر خم يعدل صيام عمر الدنيا، لو عاش إنسان عمر الدنيا ثم لو صام ما عمرت الدنيا كان له ثواب ذلك، وصيامه يعدل عند الله عز وجل مائة حجة ومائة عمرة).

الثاني: مما يستحب فيه: الغسل، ولبس النظيف والفاخر، وإظهار الزينة، والتطيب، وإظهار الأعلام البيض، والإصحار، والصدقة، وغيرها من الطاعات.

الثالث: فيه صلاة مخصوصة، وصفتها: أن يصلي قبل الزوال ركعتين، يقرأ في كل ركعة الفاتحة مرة، وآية الكرسي عشراً، وسورة القدر عشراً، وقل هو الله أحد عشرين مرة، وقد رويت هذه مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن علي عليه السلام، فإذا أتممت الصلاة سجدت سجدة تقول فيها:

اللهم إنا نوجه وجوهنا في يوم عيدنا الذي شرفتنا فيه بولاية مولانا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وعليك نتوكل وبك نستعين في أمورنا، اللهم لك سجدت وجوهنا وأشعارنا وأبشارنا وجلودنا وعروقنا وأعظمتنا وأعصابنا ولحومنا ودمائنا، اللهم إياك نعبد، ولك نخضع، ولك نسجد، على ملة إبراهيم، ودين محمد، وولاية علي صلواتك عليهم أجمعين حنفاء مسلمين، وما نحن من المشركين، ولا من الجاحدين المعاندين، المخالفين لأمرك وأمر رسولك صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم العن المبغضين لهم لعناً كثيراً، لا ينقطع أوله ولا ينفذ آخره، اللهم صل على محمد وآله، وثبتنا على مواليتك وموالاته رسولك وآل رسولك، وموالاته أمير المؤمنين صلوات الله عليهم، اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وأحسن منقلبنا ومثوانا، يا سيدنا ومولانا.

الرابع: الدعاء في هذا اليوم بعد أن يصلي الركعتين، أو في أي وقت منه، فيقول:
الحمد لله شكراً - عشر مرات - .

الحمد لله الذي أكرمنا بهذا اليوم، وجعلنا من الموفين بعهده إلينا، وميثاقه الذي واثقنا به، من ولاية ولاة أمره، والقوام بقسطه، ولم يجعلنا من الجاحدين والمكذابين بيوم الدين.
اللهم إني أشهدك وحملة عرشك وملائكتك وسكان سمواتك وأرضك، بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، وأن علياً أمير المؤمنين مولانا وولينا ومولاهم ووليهم، وصدقنا لنداء رسولك إذ نادى: ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، ومن كنت نبيه فعلي وليه، ومن كنت وليه فعلي أميره.
ربنا قد أجبنا داعيك النذير المنذر، البشير المبشر محمداً عبدك ورسولك إلى الهادي المهدي أمير المؤمنين، وإمام المتقين، صلوات رب العالمين عليه وعلى أولاده الطيبين الطاهرين، الأئمة الراشدين، إلى يوم الدين.

٤٣- مباهلة النبي صلى الله عليه وآله مع نصارى نجران**الخطبة الأولى**

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خص محمداً وآله بالفضيلة، وحباهم بالمكارم النبيلة، ورفع لهم المنازل العالية الجليلة، نحمده على أن مَنَّ علينا باتباعهم، وهدانا لاتباع طريقتهم، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، القائل في محكم كتابه المجيد {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، خاتم الأنبياء والمرسلين، صلى الله وسلم عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: فقد وقعت في آخر شهر ذي الحجة الحرام حادثة من أعظم الحوادث الإسلامية، وقضية من أهم القضايا الدينية، وأكبر الوقائع في التاريخ الإسلامي، حادثة سجّل القرآن ذكرها، وبيّن في سورة آل عمران أمرها، وخلّد على مرّ العصور والدهور نبأها وشأنها، فمن قرأ القرآن وتدبر آياته لا بد أن يسأل عنها، ويبحث عن بيانها وتفسيرها.

هذا الحادثة والقضية هي حادثة وقضية المباهلة، التي حكى الله قصتها في سورة آل عمران، في قوله تعالى {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ

عَلَى الْكَاذِبِينَ}، وكان وقوعها في الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام، في السنة التاسعة للهجرة النبوية.

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب كتاباً إلى أهل نجران يدعوهم فيه إلى الإسلام، وكانوا يدينون بدين النصرانية، فكتب إلى كبيرهم وهو أسقف نجران، المسمى أبا حارثة، وكان هو القائم بشؤون الكنيسة في الحجاز بأكمله.

فلما وصل سفير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى نجران، سلم إليهم كتاب رسول الله فقرأه الأسقف وتأمله، فاستدعى كبار الشخصيات البارزة في نجران وما جاورها من المناطق للمشورة في هذا الأمر، واتخاذ قرار متفق عليه من جميع الأطراف.

فلما حضروا عنده استشار رجلاً يقال له شرحبيل وهو من أهل الرأي والحكمة والعقل والتدبير عندهم، فقال له الأسقف: ما تقول في هذا الأمر يا شرحبيل؟

فقال له: قد علمت ما وعد الله به إبراهيم الخليل في ذرية إسماعيل من النبوة، فما يؤمنك أن يكون هذا الرجل هو النبي الموعود.

فتشاوروا في الأمر، فاتفق رأيهم على أن يبعثوا وفداً من ذوي الرأي والحكمة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة المنورة، لينظروا في دلائل وبيانات نبوته صلى الله عليه وآله وسلم، ويبحثوا في الموضوع بجدٍّ وعزم، فاخترتوا ستين رجلاً، من علمائهم وعقائهم وكبارهم وأهل الرأي فيهم، وحملوا معهم الهدايا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فلما قدم الوفد إلى المدينة، دخلوا مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهم يلبسون الديباج والحريز، وفي أيديهم خواتيم الذهب، ويحملون الصليب في أعناقهم، فلما رآهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على تلك الهيئة انزعج منهم، وساءه منظرهم وهيئتهم، ولا سيما في المسجد، وانزعج المسلمون لذلك أيضاً.

فشعر الوفد وأحسوا بذلك، فسألوا عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانت بينهم صداقة قديمة، فسألوا أمير المؤمنين علياً عليه السلام عن سبب انزعاج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقالوا له: يا أبا الحسن: ما ترى في هؤلاء القوم؟ فقال علي عليه السلام: أرى أن يضعوا حللهم وحليهم وخواتيم الذهب، ثم يعودون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ففعلوا ما أمرهم به فنزعوا ما عليهم من الحللي والحلل، ثم رجعوا فدخلوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسلموا عليه، فرد عليهم السلام واحترمهم، وقدموا إليه هداياهم فقبل بعضها، ورد البعض الآخر منها. فبينما هم كذلك إذ حضر وقت صلاتهم وهم في المسجد عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأذن لهم، فأراد بعض المسلمين منعهم، فزجرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فصلوا صلاتهم، وبهذا الموقف الكريم يظهر سماحة الدين الإسلامي، وسماحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فلما أتموا صلاتهم، عرض عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدخول في الإسلام، وتلى عليهم القرآن، فامتنعوا من القبول، وقالوا: قد كنا مسلمين قبلك. فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: كذبتكم، يمنعكم من الإسلام ثلاث خلال: عبادتكم الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن الله ولدًا. فقالوا: المسيح هو الله، لأنه أحيا الموتى، وأخبر بالغيوب، وأبرأ من الأدواء كلها، وخلق من الطين طيراً، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم.

فقال أحدهم: المسيح ابن الله، لأنه لا أب له.

فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأنزل الله عليه قوله تعالى {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.

فطلبوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم المباهلة وقالوا: هلمّ فلنلاعنك أيّنا أولى بالحق، فنجعل لعنة الله على الكاذب منا.

فأذن الله لنبيه في المباهلة وأنزل عليه آية المباهلة، فدعاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليها فقبلوا ذلك، واتفقوا على أن تكون في اليوم الثاني.

وقفنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إن أحسن الحديث وأبلغ المواعظ كتاب الله عز وجل، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو الفتاح العليم، بسم الله الرحمن الرحيم {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ، فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ}، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، نحمده ونستعينه ونستهديه الهدى، ونعوذ بالله من الضلالة والردى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، والقائم بلا عناء، والدائم بلا فناء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين والأنبياء، صلوات الله عليه وعلى آله الأصفياء الأتقياء.

أما بعد: أيها المؤمنون: نكمل معكم حادثة المباهلة:

اتفق النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع النصارى على المباهلة في اليوم الثاني، وعلى أن تكون المباهلة خارج المدينة في الصحراء، فلما كان اليوم الثاني أقبل الناس من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار وغيرهم من الناس، في قبائلهم وعشائرتهم وشعاراتهم، وهم في أحسن هيئة، وخرج وفد نجران إلى مكان المباهلة، ينتظرون قدوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أهل نجران قد اشتوروا فيما بينهم في أمر المباهلة، وقال بعضهم لبعض: انظروا محمداً فإن جاء غداً بولده وأهله وخاصته فاحذروا مباهلته، فإنه نبيء، وإن جاء بأصحابه وأتباعه فباهلوه فإنه ليس على شيء. وهم يعنون بكلامهم هذا: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا جاء إلى ساحة المباهلة محفوفاً بأبهة الملك، ومتظاهراً بقوة الجيش، ومعرضاً بكثرة الجنود والأتباع، فهي دليل على عدم صدقه.

وإذا أتى بولده وأبناءه وأحبّ الناس إليه، وأعزهم لديه، بعيداً عن كل مظاهر الخيلاء والمباهاة، فهو دليل على صدقه، وأؤكد في الدلالة على ثقته بموقفه، ويقينه

بمبدئه، حيث تجرأ على تعريض نفسه وأحبته وأعزته، وأفلاذ كبده، وأغلى الناس عنده على المباهلة، التي تكون نتيجتها هلاك المبطل.

فبينما هم كذلك يتحادثون، والناس جميعاً مترقبون ومنتظرون مجيء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهم يراقبون الطرق التي يمر منها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهم يريدون أن يعرفوا معنى وتفسير آية المباهلة، ويريدون أن يعرفوا المراد بالأبناء والنساء والأنفس المذكورين في الآية، وهم يتساءلون في أنفسهم أو يتسائل البعض منهم يا ترى من هم الذين أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدعوتهم إلى المباهلة؟ وقد يكون البعض في حالة تهيء وانتظار رجاء أن يدعوهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه.

إذ جاء الجواب الفعلي، والتفسير النظري، والتطبيق على أرض الواقع للمراد من الآية، ومنهم المقصودون فيها.

إذ طلع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هيئة خاصة مثيرة، فإذا به يخرج وفي صحبته أربعة نفر، قد اختارهم من بين المسلمين دون غيرهم، لأنه ليس بين المسلمين من هو أظهر منهم نفساً، وأقرب نسباً، وأعلى مكانة، وأقوى يقيناً، وأعمق إيماناً، أقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحتضن الحسين، وأخذ للحسن عليه السلام في يده، وإذا علي وفاطمة يمشيان خلفه، وهو يقول لهم: إذا دعوت فأمّنوا.

يا له من وفد ما أكرمه على الله، وأقربه إلى الله، وأعظمه عند الله، وأعلى منزلته في الدنيا والآخرة.

فلما رأوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه تلك الوجوه النيرة، والشخصيات الروحانية، أخذوا ينظرون إلى بعضهم البعض في حيرة ودهشة وتعجب، كيف خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بابنته الطاهرة، وأفلاذ كبده، وأعز الناس إليه، فهو لا يفعل ذلك إلا وهو على ثقة من نفسه، وعلى يقين من دعوته، لأن المتردد غير الواثق لا يخاطر بأحبائه، ولا يعرضهم للبلاء والهلاك النازل.

فلما رأى وفد نجران ذلك الوفد، وتلك الوجوه المشرقة، قال كبيرهم وهو أُسْتَقْف نجران: يا معشر النصارى، إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني.

فتسارعوا متسابقين يستترون بالأشجار والأحجار والجدران مخافة أن يدهم النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بالمباهلة، وهم يصيحون وينادون بأعلى صوتهم: يا أبا القاسم، قد رأينا أن لا نباهلك، يا أبا القاسم أقلنا أقالك الله.

فَرَقَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم، وأخذته الشفقة عليهم والرحمة بهم، رجاء أن يكونوا قد عرفوا الحق، ثم أقبلوا حتى برکوا بين يديه، ثم قالوا: أقلنا أقالك الله يا أبا القاسم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أقيلكم على أن تجيبوني إلى واحدة من ثلاث: فقالوا: وما هي؟.

فقال: أدعوكم إلى الإسلام، فتكونون إخواننا لكم مالنا وعليكم ما علينا. قالوا: لا سبيل إلى هذه.

قال: جزية نفرضها عليكم تؤدونها إلينا كل سنة، وأنتم صاغرون. قالوا: لا سبيل إلى هذه، فهات الثالثة، فقال: الحرب.

قالوا: لا طاقة لنا بك، فصالحوه على ألفي حلة ألف في رجب، وألف في صفر، وعلى عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين رحماً، وثلاثين فرساً إن كان باليمن كيد، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضامن بما حتى يؤديها إليهم.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((والذي نفسي بيده لقد تدلّى العذاب على أهل نجران، ولو لاعنوني لمسحوا قردة وخنزير، ولو باهلتهم ما بقي على وجه الأرض منهم أحد، ولأضرم الله عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله، حتى الطير في رؤوس الشجر، ولقد حُشِرَ علي بالطير والعصافير من رؤوس الشجر لمباهلتهم))، فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين علياً عليه السلام أن يكتب لهم

كتاب الصلح، ويضمن لهم الأمان، فلما رجع وفد نجران عاد منهم السيد وهو صاحب رحلتهم، والعاقب وهو أميرهم وصاحب مشورتهم وعن رأيه يصدرن، إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأسلما، وأهدى له العاقب حلةً وعصاً وقدحاً ونعلين. فهذه الحادثة العظيمة من أعظم المناقب والفضائل لأهل البيت عليهم السلام، وفيه دلالات واضحة، وتفسير لمن أمر النبي بدعائهم للمباهلة، وأن نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو علي عليه السلام، وأن المراد بالأبناء الحسن والحسين عليهما السلام، وهذه الآية نص صريح في ذلك، وأن المراد بنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي فاطمة عليها السلام.

فهل بعد بيان الله من بيان، أو بعد برهانه من برهان، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الثامن:

الخطب المتعلقة

بالأعياد

٤٤ - خطبة عيد الفطر المبارك لعام ١٤٣٥ هـ

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر
الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر الله أكبر والله الحمد

الله أكبر ما صام صائم وأفطر

الله أكبر ما هلك مهلك وكبر

الله أكبر ما أعشب روض وأزهر

الله أكبر ما أورق غصن وأثمر

الله أكبر عدد الحصى والأشجار، الله أكبر عدد قطر الأمطار، الله أكبر ما اختلف
الليل والنهار، الله أكبر عدد ما كبره المكبرون، ومجده الممجدون، وحمده الحامدون.
الحمد لله مُعَيِّدِ الجمع والأعياد، خالقِ السماء ورافعها بغير عماد، وباسطِ الأرض
وطاحيها للسكنى والمهاد، الذي هدى العباد إلى سبيل الرشاد، وحذرهم أهوال يوم
المعاد، نحمده حمداً كثيراً لا حد له ولا تعداد.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الفرد الصمد المتعالي عن اتخاذ الصواحب
والأولاد، والمنزه عن ظلم العباد، الصادق في قوله فلا يخلف الميعاد، شهادة أدخرها
ذخراً ليوم المعاد، وأرجو بها الفوز يوم يبلو أخبار العباد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث من أشرف آباء وأجداد، وأطهر نسب وسبب
من الأوائل والأواخر أهل السؤدد والسداد، بلغ الرسالة للعباد، وأدى الأمانة إلى كل
حاضر من وباد، صلى الله وسلم عليه وعلى آله المطهرين أهل الجدد والإجتهد.

أما بعد: أيها المؤمنون: فإنكم في يوم عظيم، له عند الله شرف جسيم، جعله لأهل الإسلام مجماً وعيداً، ولأهل الطاعة فرحاً وسروراً ومزيداً، وهو يوم الجوائز، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إذا كان يوم الفطر وقفت الملائكة على أفواه الطرق تنادي، يا معشر المسلمين: اغدوا إلى رب رحيم، يأمر بالخير ويثيب عليه الجزيل، أمركم بالصيام فصمتم وأطعتم ربكم، فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا العيد نادى مناد من السماء: ارجعوا إلى منازلكم راشدين فقد غفرت لكم ذنوبكم كلها، وسمي ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة)).

وهذا يوم النفحات الربانية، فتعرضوا فيه لنفحات ربكم، واسألوا الله بتضرع وعزيمة، ففي الحديث القدسي عن الله عز وجل: ((سلوني يا عبادي فوعزتي وجلالي لا تسألوني اليوم شيئاً في جمعكم لا آخرتكم إلا أعطيتكم، ولا لديناكم إلا نظرت لكم، فوعزتي لأسترن عليكم عثراتكم ما راقبتموني، وعزتي وجلالي لا أخزيتكم ولا أفضحكم بين أصحاب الحدود، وانصرفوا مغفوراً لكم، قد أرضيتموني ورضيت عنكم)).

أيها المؤمنون: ها قد ودعتم شهراً كريماً، وموسماً للخيرات عظيماً، صمتم نهاره، وقمتم ما تيسر من ليله، وأقبلتم فيه على قراءة القرآن، وأكثرتم فيه من الذكر والتضرع والدعاء، وتصدقتم بجد وسخاء، وتقرتتم فيه بأنواع القربات، رجاء ثواب الله، وخوف عقابه، فكم من جهود بُذلت، وأجساد تعبت، وقلوب وجلت، وأكف رفعت، ودموع ذرفت، وعبرات سكبت.

وها هو قد مر بنا هذا الشهر الكريم، كطيف خيال، مر بخيراته وبركاته، شهر مضى من أعمارنا، هو شاهد لنا أو علينا، فلنفتح صفحة المحاسبة مع أنفسنا، ماذا عملنا فيه؟، وما مدى تأثيره على أعمالنا وسلوكياتنا؟.

فإن الصيام المقبول هو الذي يؤثر في صاحبه، وتبين آثاره في القائم به، فإن للقبول والريح علامات، وللرد والخسران علامات، يعرفها كل إنسان من نفسه، فمن حاله في

الخير والإحسان، والأعمال الصالحة بعد رمضان أحسن وأفضل من حاله بعده، تائباً منيباً، مقبلاً على الخيرات، حريصاً على الجمع والجماعات، ملتزماً بالطاعات، مستقيماً ثابتاً مستمراً على الصالحات، فهو دليل على القبول والريح والغفران.

ومن رجعت حالته بعد رمضان إلى مستواها قبله أو إلى أسوأ منها، فهو وإن أقبل على الله في هذا الشهر، فهو إقبال مؤقت،، سرعان ما ينكص على عقبه، ويعود إلى حالته، يقيم على المعاصي، ويتعد عن الطاعات، ويرتكب المحرمات، ويترك الواجبات، ولا يتأثر بالوعد والوعيد، ولا يخاف من التهديد، يسمع اللهو والطرب، وينطق الزور والكذب، ويتأذى من العبادات والطاعات، ويضيع الصلوات، ويهمل الجمع والجماعات، فهذه علامات الرد والخسران، ولا يزداد من الله إلا بعداً، والعياذ بالله من غضبه.

سئل بعض الصالحين عن من يتعبد في رمضان، فإذا خرج رمضان تركوا العبادة والطاعة، فقال: بئس القوم قوماً لا يعرفون الله إلا في رمضان.

أيها المؤمنون: يا من عرفتم مضاعفة الخير في رمضان كيف تزهدون فيه بعده؟!

يا من أقبلتم على ربكم في رمضان، كيف تنسونه بعده؟!

يا من عرفتم أن الصلاة واجبة في أوقاتها، وعرفتم فضيلة المحافظة عليهما في جماعة

في بيوت الله في رمضان، كيف تتجاهلون ذلك بعد رمضان؟!

يا من عرفتم أن الله حرم عليكم المحرمات والمعاصي كيف ترجعون إليها؟!

يا من أقبلتم على تلاوة القرآن في رمضان كيف تهجرونه بعد رمضان؟!

أنسيتم أن رب الشهور والأيام كلها واحد، وهو على أعمالكم وأحوالكم مطلع وشاهد؟!

يا لها من مصيبة عظمى، وفادحة كبرى: أن يرجع أناس بعد الحور إلى الكور،

وبعد الخير إلى الشر، وبعد الهدى إلى الضلالة، وبعد العلم إلى الجهالة، وبعد سلوك

طريق النعيم، إلى سلوك طريق الجحيم، أعاذنا الله وإياكم من غضبه وعذابه.

أيها المؤمنون: إن السعيد كل السعيد، من راقب ربه فيما يبدو ويعيد، وخاف يوم الوعيد، وسلك طريق جنات الخلود، ورضي عنه الرب المعبود، وليس السعيد من أدرك العيد، ولبس الثوب الجديد، إذا لم يكن من صالحى العبيد.

فاتقوا الله عباد الله: واجعلوا فرحكم بالعيد فرحاً بإتمام عبادة الصيام، فرحاً بنيل الجوائز من ملك الملوك وسيد السادات، اجعلوا فرحكم بالعيد مقروناً بمراقبة الله تعالى الذي أفرحكم بالعيد فكم من أخ لكم مسلم مشغول بنفسه لم يفرح بالعيد، إما لمرض قد أقعده، أو لخوف قد أزعجه، أو فقر قد أوجعه، أو غير ذلك من عوارض الدنيا وأحوالها.

أيها المؤمنون: تذكروا من كانوا معنا في مثل هذا اليوم من العام الماضي، أخذهم الموت، وذاقوا حسرة الفوت، وضمتهم القبور بعد القصور، أكل الدود محاسنهم، وأبلى التراب أجسادهم، وقد كانوا يفرحون كما نفرح، ويتزاورون كما نتزاور، تذكروا من كانوا معنا من الآباء والأمهات، والإخوان والأخوات، والجيران والأقارب، أصبحوا رهائن الحفر في التراب، قد تقطعت عنهم الأسباب، ونسيهم الأصحاب والأحباب، انفردوا في اللحد بأعمالهم، وليس لهم أنيس إلا ما قدموا من صالح أفعالهم، وهو ينتظرون رحمة ربهم، وقد انقطعت حسناتهم إلا من علم نافع، أو صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو دعوة أخ مسلم يرسلها له، وأتم إلى ما صاورا إليه صائرون، ومن الباب الذي دخلوه داخلون، ومن الكأس الذي شربوا منه شاربون، ومثل سكنهم ساكنون، فتزودوا بالأعمال الصالحة، فإن الأجل قريب معدود، والعمر قصير محدود، فتزودوا لدار المقام من هذه الدار ما دام ينفع المزيد، وأكثروا في هذا اليوم من الذكر والتكبير، والتسبيح والتحميد، والإستغفار، فإنها من مسنونات ومشروعات هذا اليوم المبارك المشهود.

بسم الله الرحمن الرحيم {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً}، أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر
الله أكبر

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر الله أكبر والله الحمد

الحمد لله الذي بلغنا هذا اليوم الشريف العظيم، الفرد المبارك، الكريم المثابة، المشهود الموعود الذي أحل فيه الطعام، وحرم فيه الصيام، وجعله عيداً لأهل الإسلام، وافتتح فيه الحج إلى بيته الحرام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: فإن لهذا اليوم سنن وواجبات، وفيه قرب وعبادات:

فمن ذلك: صلة الأرحام الأحياء، من الرجال والنساء، وزيارة الأموات الذين سكنوا أطباق الثرى، ففي صلة الرحم أجر وفير، وفضل كبير، فهي زيادة في الأعمار، وعمارة للديار، وبركة في الأرزاق، ففي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيجعلها الله ثلاثاً وثلاثين، وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاثاً وثلاثين فيجعلها الله ثلاثاً))، والرحم تناشد أهلها بين يدي خالقها، فيقضى يوم القيامة لها، فتعاهدوا أرحامكم، وصلوا أقاربكم، ولو كان الرحم كاشحاً قاطعاً، فأجره يكون كثيراً نافعاً.

ومن ذلك: زكاة الفطر، فقد شرعت لإغناء الفقراء في هذا اليوم، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((اغنوهم في هذا اليوم))، وآخر وقتها غروب شمس يوم

العيد، فاحذر أن تماطل أو تتكاسل، فقبول الصيام متوقف عليها، ومعقود بها، لأنها للأبدان زكاة.

فعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((صدقة الفطر على الرجل المسلم يخرجها عن نفسه، وعمّن هو في عياله، صغيراً كان أو كبيراً، حراً أو عبداً، ذكراً أو أنثى)).

ويسن إخراجها عن الأموات، لا سيما الوالدين، فعن جعفر بن محمد، عن أبيه: أن الحسن والحسين ابني علي عليهم السلام كانا يؤديان زكاة الفطر عن علي عليه السلام حتى ماتا، وكان علي بن الحسين وأبو جعفر يؤديان عن أبيهما.

أيها المؤمنون: إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، واحذروا الفتن فإنها قد كثرت وتعدد في هذا الزمن، وكثر الدعاة إليها وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وهم في الواقع يسيئون وهم لا يشعرون، يتبعون أهوائهم، ويميلون مع شهواتهم، ولا يباليون لو كان في فعلهم الدعاء إلى الشر والمخاربة للخير، ولو كان في ذلك تفريق الجماعة وتشتيتها، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن من عباد الله من هم مفاتيح للخير مغاليق للشر، ومنهم من هو مغلاق للخير مفتاح للشر، فطوبى لمن جعل الله مفتاح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفتاح الشر على يديه)). فكانوا للخير مفاتيح، وللشر مغاليق، واحذروا العكس.

وإن من الضوابط المهمة التي يحصل بها اتقاء الفتن واجتناب شرها، لزوم جماعة المسلمين، والبعد عن التفرق والاختلاف، فإن الفرقة شرٌّ، والجماعة رحمة، الجماعة -عباد الله- يحصل بها قوة لحمة المسلمين، وشدة ارتباطهم، وقوة هيبتهم، وتحقق اجتماع كلمتهم، ويحصل بها التعاون بينهم على البر والتقوى، وعلى ما تكون فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، وأما الخلاف -عباد الله- فإنه يجر عليهم شروراً كثيرة،

وأضرارًا عديدة، وبلاءً لا يحمدون عاقبته في الدنيا والآخرة، ولهذا جاء عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في غير ما حديث الوصية بلزوم الجماعة، والتحذير من الفرقة، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ((عليكم بالجماعة؛ فإن يد الله على الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النار)).

عباد الله: وإن من الضوابط العظيمة التي يلزم مراعاتها لاتقاء الفتنة واجتناب شرها، الأخذ عن العلماء الراسخين، والأئمة المحققين، وترك الأخذ عن الأصغر من الناشئين في طلب العلم، والمقلِّين في التحصيل منه، فإن العلماء الأكابر الذين رسخت أقدامهم في العلم، وطالت مدتهم في تحصيله، وأصبح لهم مكانة في الأمة، هم الذين تتقى بهم الفتن، بما آتاهم الله - عز وجل - من العلم والحكمة، والرزانة والأناة، والنظر في عواقب الأمور، فمن كان مُعَوِّلاً على كلمة العلماء المحققين، والأئمة الراسخين، فإنه - بإذن الله - يحمده العاقبة في الدنيا والآخرة، ولهذا وجَّه الله - عز وجل - في محكم تنزيله فقال: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}.

فعليكم - عباد الله - بالإفادة من العلماء، والرجوع إلى فتاوى المحققين منهم؛ لتكون لكم السلامة والأمانة والرفعة بإذن الله - تبارك وتعالى -.

ومن الضوابط المهمة لتجنب الفتن: حسنُ الصلة بالله، ودعاؤه - جلَّ وعلا -؛ فإن الدعاء مفتاح كل خير في الدنيا والآخرة، ولاسيما - عباد الله - سؤال الله - تبارك وتعالى - أن يجنب المسلمين الفتن، ما ظهر منها وما بطن، والتعوذ به - تبارك وتعالى - من الفتن كلها؛ فإن من استعاذ بالله أعاده، ومن سأل الله أعطاه الله سؤاله، وحقق رجاءه، فإن الله - تبارك وتعالى - لا يخيب عبداً دعاه، ولا يرد عبداً ناداه.

أيها المؤمنون: إن حال الأمة الإسلامية اليوم يندى له الجبين، وتذرف له العيون، فأعداؤها قد سيطروا عليها، وتمكنوا من أن يفعلوا فيها ما يشاؤون، بسبب ترك الأمة لتعاليم دينها، ورفضها لأهل بيت نبيها، فأعداء الإسلام من اليهود والمشركين، يقتلون الرجال والنساء والأطفال، ويستحلون المحارم والدماء والأموال، بمرآئ من المسلمين ومسمع، ولا يخاف الكفار من المسلمين في أي محتشد ولا مجمع، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بالصلاة والتسليم على نبيكم محمد صلى الله عليه وآله فريضة منه واجبة، وكرامة فاضلة فقال تعالى {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً}.

اللهم فاجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك، وأزكى تحياتك وأفضل سلامك ومعافاتك، على محمد عبدك ورسولك وصفيك ونبيك وأمينك وخيرتك من خلقك، الداعي إليك بإذنك، والهادي إلى سبيلك، والشاهد على عبادك، البشير النذير السراج المنير صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين وسلم، اللهم ابعته المقام المحمود الذي وعدته، وبلغه الدرجة والوسيلة والكرامة والشفاعة والذراعة والفضيلة، واجعلنا ممن تشفعه فيه برحمتك يا أرحم الراحمين.

وعلى أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، ليث الله الغالب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، وخامسة أهل الكساء.
وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى الإمام الولي بن الولي، ذي المنهج الجلي، والمذهب الرضي، فاتح أبواب الجهاد والإجتهد، الشهيد السعيد، زيد بن علي.

وعلى إمام اليمين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، الذين جعلهم الله دعائم الدين، وأركان التوحيد واليقين، والحجة على الخلق أجمعين، واستخلفهم في الأرض، واصطفاهم لعباده، وارتضاهم لدينه، وخصهم بمعرفته، وندبهم بحكمته، وألبسهم من نوره، ورفعهم في ملكوته، وحفهم بملائكته، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم إن ذكرت اليوم آباء بأبنائهم، أو أبناء بأبائهم فاذكرنا عندك بنبيك الأمين محمد خاتم النبيين وآله الطاهرين، اللهم لا تدع لي في هذه اليوم العظيم الشريف الكريم ذنباً إلا غفرته، ولا عيباً إلا سترته، ولا همماً إلا فرجته، ولا غماً إلا كشفته، ولا سؤلاً إلا أعطيته، ولا بلاء إلا دفعته، ولا كرباً إلا فرجته، ولا سوءاً إلا صرفته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا عدواً إلا كفيته، ولا غائباً إلا أديته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا طفلاً إلا رببته، ولا فاسداً إلا أصلحته، ولا عسيراً إلا يسرته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضى ولي فيها صلاح إلا قضيتها لي ويسرتها في عافية، إنك على كل شيء قدير.

اللهم صل على محمد وآله، واجبر مصيبتنا بشهرنا، وبارك لنا في يوم عيدنا وفطرنا، واجعله من خير يوم مر علينا، أجلبه لعفو، وأمحاه لذنب، واغفر لنا ما

خفي من ذنوبنا وما علن، اللهم اسلخنا بانسلاخ هذا الشهر من خطايانا، وأخرجنا بخروجه من سيئاتنا، واجعلنا من أسعد أهله به، وأجزهم قِسْماً فيه، وأوفرهم حظاً منه.

اللهم إنا نتوب إليك في يوم فطرنا الذي جعلته للمؤمنين عيداً وسروراً، ولأهل ملتك مجمعاً ومحتشداً من كل ذنب أذنبناه، أو سوء أسلفناه، أو خاطر شر أضمرناه، توبة من لا ينطوي على رجوع إلى ذنب، ولا يعود بعدها في خطيئة، توبة نصوحاً خلصت من الشك والإرتياب، فتقبلها منا وارض عنا وثبتنا عليها.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

العالمين

عباد الله: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر

الله أكبر.

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

٤٥ - خطبة عيد الأضحى لعام ١٤٣٧هـ

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر
الله أكبر

الله أكبر ما كبر حاج ولبي

الله أكبر ما طاف حاج على البيت وسعى

الله أكبر ما وقف الحجيج بعرفة وباتوا بمزدلفة ومنى

الله أكبر ما رمى حاج وحلق أو قصر وصحى

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، والله الحمد، والحمد لله

على ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام.

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً

الحمد لله الذي سهل لعباده طرق الطاعة ولم يُعَسِّرْ، وتابع لهم مواسم الخيرات
ويسّر، له الحمد على نعمه التي لا تُعدُّ ولا تحصر، عدد من حج البيت واعتمر،
وأضعاف ذلك وأكثر، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ما خفق نجم وظهر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يجويه قطر، ولا يدركه نظر، الذي
خلق فقدر، ومملك فقهر، وبطن وظهر، وعلم وخبر، وكل شيء عنده مقدر.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير المنذر، الطاهر المطهر، صاحب الوجه
الأنور، والجبين الأزهر، والحوض والمنبر، الذي بلغ الرسالة وما قصر، صلوات الله
وسلامه عليه وعلى آله البررة العُرر.

أما بعد: أيها المؤمنون: عيد الأضحى الكبير المبارك جعله الله يوم العاشر من ذي
الحجة بعد الوقوف بعرفة ركن الحج الأعظم، وسماه الله يوم الحج الأكبر، فبعد أن

يؤدي الحجاج فريضة الحج، حيث يخرجون من بيوتهم وأوطانهم، تاركين أهليهم وأموالهم، وأولادهم، وأعمالهم، وكل شيء من أمورهم وراء ظهورهم، ابتغاء مرضاة الله رب العالمين، فإذا أدوا فرضهم غفر الله للحجاج ذنوبهم، وعاد الحاج كيوم ولدته أمه، لذلك حق له أن يفرح بعد أداء هذه الفريضة، بهذا العيد العظيم عيد الأضحى المبارك.

فحقيقة العيد، هو العودة إلى الله تعالى بالتوبة، والرجوع والأوبة، والسلامة من الذنوب والمعاصي، فالיום الذي لا تعصي الله فيه هو عيد، لأنك تنجو من سخط الله تعالى.

أيها المؤمنون: إنكم في يوم مبارك ميمون، والمسلمون فيه مجتمعون، في أقطار الأرض، يتعرضون لنفحات رحمة الله، وينتظرون عفو الله، ويطلبون الخير من الله، ويحيون فيها شعيرة من شعائر الله تعالى العظيمة الظاهرة.

العيد يتضمن معاني سامية جليلة، ومقاصد عظيمة فضيلة، وحكماً بديعة، فمن معاني العيد في الإسلام إعلان التوحيد لله تعالى بإفراد بالعبادة لله وحده في الدعاء والخوف والرجاء والإستعاذة والإستعانة، والتوكل والرغبة والرغبة، والذبح والنذر لله تبارك وتعالى، وغير ذلك من أنواع العبادة.

ومن معاني حكم العيد ومنافعه العظيمة: شهود جمع المسلمين لصلاة العيد، ومشاركتهم في بركة الدعاء والخير المنتزل على اجتماعهم المبارك، والإنضواء تحت الرحمة الإلهية التي تغشى المصلين، والبروز والخروج لرب العالمين، إظهاراً لفقر وحاجتهم لمولاهم عز وجل، وتعرضاً لنفحات الله وهباته التي لا تُحَد ولا تُحصَر.

من معاني العيد وحكمه ومنافعه العظيمة: التزاور بين الأرحام، والتواصل بين المسلمين، وتقارب القلوب، وارتفاع الوحشة، وانطفاء نار الأحقاد والضغائن والحسد، فالإسلام الذي اجتمع المسلمون في مكان واحد لأداء صلاة العيد من أجله، إذا طبقه المسلمون في حياتهم فهو الذي يجمعهم على الحق، ويؤلف بين قلوبهم على التقوى، فلا شيء يؤلف بين المسلمين سوى الحق؛ لأنه واحد، ولا

يفرق بين القلوب إلا الأهواء والشهوات لكثرتها وتعددتها وتنافرهما، لهذا شرع في العيد أن يتزاور المسلمون والأرحام، لتجسيد معنى المحبة، كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: ((وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ)) وفي حديث آخر ((المتحابون في جلالي على منابر من نور يغبطهم عليها النبيون يوم القيامة)).

فلا ينبغي في العيد أيها المؤمنون أن تكون الشحناء والبغضاء، ولا التقاطع والشحناء، ولا التدابير والقطيعة، ففي العيد ينبغي أن نحقق جميعاً معنى قول الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}.

وعماد العيد أيها المؤمنون: يتمثل في التعاطف والتراحم والتوادد والعطاء، والتآخي والبذل والسخاء، فقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ خرج لصلاة العيد، والصبيان يلعبون وفيهم صبي جالس في ناحية يبكي، وعليه ثياب خَلِقة، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((أيها الصبي، مالك تبكي ولا تلعب مع أترابك))، فقال له الصبي: وهو لا يعرف أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (خلّ عني أيها الرجل، فإن أبي مات في غزوة كذا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فتزوجت أمي بزوج غيره، فأصابني ما أصابني، فلما رأيت الصبيان يلعبون وعليهم الثياب، تجدد حزني وذكرت مصيبي، فلذلك بكيت)، فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من يده وقال له: ((أما ترضى أن أكون لك أباً، وعليّ عمّاً، والحسن والحسين أخوين))، فقال: كيف لا أرضى يا رسول الله، فحمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى منزله، وألبسه أحسن الثياب وزيّنه، وأطعمه وأرضاه، فخرج مسروراً ضاحكاً يعدو إلى الصبيان فلما رآه رفاقه قالوا له: كنت الآن تبكي، فمالك صرت مسروراً؟.

فقال: كنت جائعاً فشبع، وعارياً فاكتسيت، ويتيماً فصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبي.

فقال الصبيان: ليتنا كنا مثلك، واستمر الصبي على تلك الحال حتى انتقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جوار ربه فخرج يبكي ويحشو التراب على رأسه ويقول: الآن أصبحت يتيماً، الآن صرت غريباً.

فلتفتقد يتامانا وقرآنا وغرباءنا وضعفائنا ومساكيننا في هذا اليوم العظيم المشهود.

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، والله الحمد، والحمد لله

على ما هदानا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام.

أيها المؤمنون: إن من أسباب عموم العذاب، وتسلب الأعداء، ترك شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي مدح الله أهلها والقائمين بها فقال سبحانه: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}، واحذروا أيها المسلمون أن تتكوه فتتشبهوا باليهود في تركهم المعروف ومداهنتهم عليه، وسكوتهم على المنكر وإغضائهم عنه، فلعنهم الله بذلك وكفرهم، فقال تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ، تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ، وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ}، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوَنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ))، مروا بالمعروف تخلصوا، وانحوا عن المنكر ترزقوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا.

أيها المؤمنون: لئن سار القوم إلى الحج وقعدنا، وقرئوا وبعدنا، فما يؤمننا أن نكون ممن (كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدا مع القاعدين)، يحق لمن رأى

الواصلين وهو منقطع أن يقلق، ولمن شاهد السائرين إلى ديار الأحبة وهو قاعد أن يجزن.

أيها الأحبة: إن حُبستم العام عن الحج فارجعوا إلى جهاد النفوس فإنه الجهاد الأكبر، وإن أُحصرتُم عن أداء النُسك فأريقوا على تخلفكم من الدموع ما تيسر؛ فإن إراقة الدماء لازمة للمُحصر، ولا تحلقوا رؤوس أديانكم بالذنوب والخلاف؛ فإن الذنوب والخلاف حالقة للدين وليست حالقة للشعر، وقوموا باستشعار الرجاء والخوف مقام القيام بأرجاء المشعر والحَيْف، ومن كان قد بُعد عن حَرَمِ الله فلا يبعد نفسه عن رحمة الله بالدخول في حَرَمِ الله، وَمَنْ فَاتَهُ فِي هَذَا الْعَامِ الْقِيَامُ بَعْرِفَةً، فَلْيُقِمِ لِلَّهِ بِحَقِّهِ الَّذِي قَدْ عَرَفَهُ، وَمَنْ عَجَزَ عَنِ الْمَبِيتِ بِمَزْدَلِفَةَ، فَلْيَبِيتْ عِزْمَهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَقَدْ قَرَّبَهُ وَأَزَلَّهُ، وَمَنْ لَمْ يُمْكِنَهُ الْقِيَامُ بِأَرْجَاءِ الْحَيْفِ، فَلْيَقِمِ لِلَّهِ بِحَقِّ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، وَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى نَحْرِ هَدْيِهِ بِمَنْى فليذبح هواه هُنَا وَقَدْ بَلَغَ الْمَنْى، وَمَنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْبَيْتِ لِأَنَّهُ مِنْهُ بَعِيدٌ، فَلْيَقْصِدْ رَبَّ الْبَيْتِ فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى مَنْ دَعَاهُ وَرَجَاهُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَإِنْ لَمْ يَنْصَلْ إِلَى دِيَارِ الْحَجَّاجِ فَلْيَنْصَلْ أَنْكَسَارِنَا بِانْكَسَارِهِمْ، وَإِنْ لَمْ نَقْدِرْ عَلَى الْوُقُوفِ بِعَرَفَاتٍ فَلْيَنْسْتَدِرْكَ مِنْ أَعْمَالِنَا مَا قَدْ فَاتَ، وَإِنْ لَمْ يَنْصَلْ إِلَى الْحَجَرِ فَلْيَلِنْ مَنَاكِلُ قَلْبٍ قَاسٍ كَالْحَجَرِ، وَإِنْ لَمْ نَقْدِرْ عَلَى لَيْلَةِ جَمْعٍ وَمَنْى، فَلْنَقِمْ بِمَأْتَمِ الْأَسْفِ هَاهُنَا، أَيْنَ الْمَنْيْبُ الْمِحْدُّ السَّابِقُ؟ هَذَا يَوْمٌ يُرْحَمُ فِيهِ الصَّادِقُ، مَنْ لَمْ يُنَبِّ فِي هَذَا الْيَوْمِ فَمَتَى يَنْبِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْ فِي هَذَا الْوَقْتِ فَمَتَى يَجِيبُ، وَمَنْ لَمْ يَتَعَرَفْ بِالتَّوْبَةِ فَهُوَ غَرِيبٌ، وَاسْفَا لِعَبْدٍ لَمْ يُعْفَرْ لَهُ الْيَوْمَ مَا جَنَى، حَضَرَ مَوْسِمَ الْأَفْرَاحِ فَمَا حَصَلَ خَيْرًا وَلَا اقْتِنَى، وَدَخَلَ بِسَاتِنِ الْفَلَاحِ فَمَا مَدَّ كَفًّا وَمَا جَنَى، لَيْتَ شِعْرِي مَنْ مَنَا خَابَ وَمَنْ مَنَا نَالَ الْمَنْى؟.

جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، بسم الله الرحمن الرحيم {إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر}، أستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم وللمؤمنين والمؤمنات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر،
الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، والله الحمد، والحمد لله على ما هدانا
وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر
أكبر

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، والله الحمد، والحمد لله
على ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسُبْحانَ الله بُكْرَةً
وأصيلاً

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الحمد لله المحمود على كل حال، ونعوذ
بالله من حال أهل النار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد،
وكلنا لله عبد، فهو مستحق الشكر والحمد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد، وصفيه وخليله المسدد، وخيرته من خلقه
من الأقرب والأبعد، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله أهل الشرف والسؤدد.

أما بعد: أيها المؤمنون:

إنكم في يوم عظيم، هو يوم الحج الأكبر، وهو آخر الأيام المعلومات، وأول الأيام
المعدودات، فهو من أيام الله تعالى المفضلة، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم ((أفضل الأيام عند الله يوم النحر ويوم القَرِّ)) أي اليوم الثاني من النحر،
وهو الذي يقر الحجاج فيه في منى، في هذا اليوم العظيم يجتمع الحجاج ليؤدوا فيه
معظم مناسك الحج، ويتقربون إلى الله فيه بالعج والشج، فيه يرمون الجمرات الكبرى،
وينحرون الهدايا، فيه يخلقون رؤوسهم، ويطوفون بالبيت العتيق، في هذا اليوم يشترك
الحجاج وغير الحجاج في إراقة دماء الهدى والأضاحي تقرباً إلى الله عز وجل، قال
الله تعالى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ

عَلَيْهَا صَوَافٌ فِإِذَا وَجِبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاَهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ}، فهذا اليوم العظيم له سنن وآداب وأعمال، وقد شرعت فيه أحكام:

فمن سننه وآدابه: لبسُ الزينة، وإظهارُ نعم الله تعالى، والترفيه على النفس والأهل، والتوسعة في النفقة، وصلة الأرحام والأقارب والمؤمنين، وأن لا يأكل شيئاً من طلوع فجره حتى يعود بعد صلاة العيد، وأن يكثر من الدعاء والتضرع والإبتهال، وهو مع أيام التشريق الثلاثة الآتية بعده أيام أكل وشرب يحرم فيها الصيام.

ومن سننه وآدابه: ومما شرعه الله تعالى فيه، وحث عليه ورغب، إراقة دماء الأضاحي، وهي سنة مشروعة، حث عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فعن ابن عباسٍ، قال: قام رسول الله فينا خطيباً يوم عرفة فحمد الله وأثنى عليه وذكر ما شاء الله ثم قال: ((اشتروا الأضاحي واستعظموها واستسمنوها، ولا تماكسوا في أثمانها، فإنما تخرجونها لله، ولا يذبحن أضاحيكم إلا طاهرًا، ولا يأكل منها إلا مؤمنًا، واحضرونها إذا دُبحَتْ، فإنه يغفر لكم عند أول قطرةٍ من دمها، فإنكم ترون دمها يسيل في الأرض وهو في حرزٍ حتى يوفى صاحبها الأجر يوم القيامة، بكل قطرةٍ من دمها، وبكل بضعةٍ من لحمها، وبكل شعرةٍ من شعرها، وبكل صوفةٍ من صوفها، حتى عظامها وقرونها، ترونها حسناتٍ يوم القيامة في كتبكم، وثقلًا في موازينكم)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحبَّ إلى الله عز وجل من هراقة دم، وإنه ليأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها، وإن الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفساً)).
وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((ما عمل ابن آدم في يوم أضحى أفضل من دم يهراق إلا أن يكون رحماً يوصل))، وعن النبي صلى الله عليه وآله أن قال: ((يا

فاطمة، قومي إلى أضحيتك، فاشهديها، فإن لك بكل قطرة من دمها ما سلف من (ذنوبك)) قالت: يا رسول الله، ألنا خاصة أهل البيت، أو لنا وللمسلمين؟ قال: ((بل لنا وللمسلمين)).

أيها المؤمنون: استسمنوا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم، فإنها سنة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم، وتجزئ الشاة عن الرجل وأهل بيته في الأضحية، وتجزئ البدنة عن عشرة، والبقرة عن سبعة، ولا يجزئ من الضأن إلا ما تم له حول كامل أو أكثر، ويجزئ ما تم له ستة أشهر على قول بعض الأئمة عليهم السلام، ولا يجزئ من المعز إلا الثني وهو ما تم له سنتان، وقيل: يجزئ ما تم له سنة، ولا يجزئ من الإبل ولا من البقر إلا ما تم له سنتان، ويستحب أن يتخير أضحية سمينة صحيحة، كما روي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُضْحِيَ، اشْتَرَى كَبْشَيْنِ عَظِيمَيْنِ سَمِيْنَيْنِ أَفْرَنْيْنِ أَمْلَحَيْنِ مَوْجُوءَيْنِ - أي مخصيين -.

ولا تجزئ في الأضحية المريضة البئير مرضها، ولا العوراء ولا العمياء، ولا العجفاء، وهي الهزيلة، ولا العرجاء البئير عرجها، ولا العضباء التي ذهب أكثر أذنها أو قرنها، وتجزئ الجماء والخصي.

والسنة نحر الإبل قائمة معقولة اليد اليسرى، والبقر والغنم تذبح على جنبها الأيسر متوجهة إلى القبلة، ويقول الذابح عند الذبح: بسم الله والله أكبر، اللهم هذا منك ولك، ويستحب أن يأكل ويدخر ثلثاً، ويهدي ثلثاً، ويتصدق بثلث، لقوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَنَعَ وَالْمُعْتَرَ ﴾، ولا يُعطى الجزار أجرته منها، ولا من جلودها.

ووقت الذبح بعد صلاة العيد بالإتفاق بين المسلمين، ويمتد إلى غروب شمس اليوم الثاني عشر، وهو الثاني من أيام التشريق، وفي اليوم الثالث عشر خلاف هل هو من أيام الذبح أم لا؟ والصحيح أنه منها إلى غروب شمس، ويكره الذبح في الليل.

ولا يجزي ذبح الأضحية قبل صلاة العيد، فمن ذبح قبل الصلاة فهي شاة لحم، وليست بأضحية، فلا يؤجر عليها أجر وثواب الأضحية، ولم يصب السنة النبوية، كما روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((مَنْ كَانَ ذَبَحَ أُضْحِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ أَوْ نُصَلِّيَ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى، وَمَنْ كَانَ لَمْ يَذْبَحْ فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ)).

واعلموا أيها المؤمنون: أن الأيام الثلاثة المقبلة تسمى أيام التشريق وهي: (اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر)، وكانت تسمى في الجاهلية بأسماء: فيوم النحر يسمى الفداء، والثاني: القَرَّ أي يقرون فيه بمنى، والثالث الصرم، أي ينصرم الناس وهو يوم النفر. ومن أحكامها الشرعية التي تخصها:

أنه يحرم صومها مع يوم العيد، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى عن صوم أيام التشريق وقال: هي أيام أكل وشرب وتبعل وذكر الله تعالى، وهي مع يوم العيد وقت لذبح الأضحية، كما تقدم، ويجزئ على الحاج والمعتمر فيها إنشاء العمرة، ومن فعل لزمه دم للإساءة، وفيها أيضاً التكبير الذي قد بدأ فجر يوم عرفة وينتهي آخر أيام التشريق، فأكثروا فيها من ذكر الله تعالى بالتكبير والتهليل والتحميد في أدبار الصلوات وفي جميع الأوقات.

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، والله الحمد، والحمد لله

على ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً

وأصيلاً

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بالصلاة والتسليم على نبيكم محمد صلى الله عليه وآله فريضة منه واجبة، وكرامة فاضلة فقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

اللهم فاجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك، وأزكى تحياتك وأفضل سلامك ومعافاتك، على محمد عبدك ورسولك وصفيك ونجيك وأمينك وخيرتك من خلقك، الداعي إليك بإذنك، والهادي إلى سبيلك، والشاهد على عبادك، البشير النذير السراج المنير صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين وسلم، اللهم ابعثه المقام المحمود الذي وعدته، وبلغه الدرجة والوسيلة والكرامة والشفاعة والذراعة والفضيلة، واجعلنا ممن تشفعه فيه برحمتك يا أرحم الراحمين.

وعلى أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، ليث الله الغالب، علي بن أبي طالب.
وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، وخامسة أهل الكساء.
وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين وربحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى الإمام الولي بن الولي، ذي المنهج الجلي، والمذهب الرضي، فاتح أبواب الجهاد والإجتهد، الشهيد السعيد، زيد بن علي.

وعلى إمام اليمين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصددين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم إن ذكرت اليوم آباء بأبنائهم، أو أبناء بآبائهم فاذكرنا عندك بنبيك الأمين محمد خاتم النبيين وآله الطاهرين، اللهم لا تدع لي في هذه اليوم العظيم الشريف الكريم ذنباً إلا غفرته، ولا عيباً إلا سترته، ولا همماً إلا فرجته، ولا غماً إلا كشفته، ولا سؤالاً إلا أعطيته، ولا بلاء إلا دفعته، ولا كرباً إلا فرجته، ولا سوءاً إلا صرفته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا عدواً إلا كفيته، ولا غائباً إلا أديته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا طفلاً إلا رببته، ولا فاسداً إلا أصلحته، ولا عسيراً إلا يسرته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضى ولي فيها صلاح إلا قضيتها لي ويسرتها في عافية، إنك على كل شيء قدير.

اللهم إنا نتوب إليك في يوم نسكنا وأضحانا، الذي جعلته للمؤمنين عيداً وسوراً، ولأهل ملتك مجمعاً ومحتشداً من كل ذنب أذنبناه، أو سوء أسلفناه، أو خاطر شر أضمرناه، توبة من لا ينطوي على رجوع إلى ذنب، ولا يعود بعدها في خطيئة، توبة نصوحاً خلصت من الشك والإرتياب، فتقبلها منا وارض عنا وثبتنا عليها.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

عباد الله: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، والله الحمد، والحمد لله

على ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام.

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً

٤٦- خطبة عيد الأضحى المبارك لعام ١٤٣٨هـ

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبرُ اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ

الله أكبرُ ما لبس حاجُّ ثياب الإحرام وأحرم ولبى

الله أكبرُ ما طاف بالبيت وسعى بين المروة والصفاء

الله أكبرُ ما وقف الحجيج بعرفاتٍ وباتوا بمزدلفةً ومنى

الله أكبرُ ما رمى حاج الجمار وضحى

الله أكبرُ ما أفاض حاج وودع وبكى

الله أكبر اللهُ أكبر، لا إله إلا اللهُ، اللهُ أكبر اللهُ أكبر، والله الحمد، والحمدلله

على ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام.

الله أكبر اللهُ أكبر اللهُ أكبر، اللهُ أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسُبْحان الله بُكْرَةً وَأَصِيلاً

الحمد لله الذي سهل لعباده شرائع الإسلام، وتابع لهم مواسم الخيرات وسببَ السلام، وواتر عليهم نعمه التوام، له الحمد على نعمه التي لا تُعدُّ ولا تحصر، عدد من حج البيت واعتمر، وأضعاف ذلك وأكثر، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ما خفق نجم وظهر.

وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، لا يحويه قطر، ولا يدركه نظر، الذي خلق فقدر، ومملك فقهر، وبطن وظهر، وعلم وخبر، وكل شيء عنده بقدر.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير المنذر، الطاهر المطهر، صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهر، والحوض والمنبر، الذي بلغ الرسالة وما قصّر، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله البررة العُرر.

أما بعد: أيها المؤمنون: اليوم الذي يحصل فيه اجتماع كبير يسمى عيداً، وإنما سُمِّي العيد عيداً؛ لأنه يعود كل سنة بفرحٍ جديد، هذا معنى العيد عموماً، أما مفهوم

العيد في الإسلام فهو يحمل في ثناياه، ويشتمل في طواياه على معانٍ عظيمة، تملأ القلوب صفاءً وبهجةً، وتغمر النفوسَ محبةً ونشوةً، وتكسو الوجوهَ نضارةً وفرحةً، العيدُ كلمةٌ تُذكرُ المسلمَ بدينه، والمؤمنَ بيقينه، العيدُ كلمةٌ تربطُ المؤمنَ بعقيدته، ليكونَ واثقاً بربه، العيدُ يربطُ الإنسانَ بأحبّته، لأنه يذكرُ المريضَ بصحّته، والغريبَ بقرابته، والفقيرَ والمسكينَ بمحاجته، والغنيَ بثروته، والبعيدَ بأهله وعشيرته، واليتيمَ بأبيه، فإذا كانت رابطة الإنسان بالله قوية، فإنه سيتذكر في حال مرضه أن الله هو الشافي {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}، وفي حال ضعفه سيتذكر أن الله أقوى من كلِّ قوي {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}، إذا كان فقيراً سيتذكر أن الله أغنى من كلِّ غني؛ {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}، إذا كان ضعيفاً ذليلاً سيتذكر أن الله أعزُّ من كلِّ عزيز {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، وتتفاوت درجات الوثوق بالله بحسب الإرتباط الديني، والمعرفة بالله تعالى.

فالأعياد في الإسلام ليست انطلاقاً وراء الشهوات، وليست سباقاً إلى إشباع الرغبات، وليست انتهاكاً للمُحرّمات أو الحرمات، بل الأعياد في الإسلام فرحة بتتابع الطاعات، وتنوع العبادات، التي بسببها تكتسب الحسنات، وتغفر الخطيئات، وتمحى السيئات، وترفع في الجنان الدرجات.

عيد الأضحى المبارك جعله الله يوم العاشر من ذي الحجة بعد أعظم أركان الحج وهو الوقوف بعرفة، وشرع الله في هذا اليوم الأغر، والعيد الأكبر، أعمالاً صالحة يتقرب بها العباد إلى ربهم، فحجاج بيت الله الحرام يؤدون فيه أكثر مناسكهم، وتلك الأعمال والمناسك تتعلق بمكان معين، وزمان محدد، ومن رحمة الله تعالى بعباده شرع لمن لم يستطع الحج أعمالاً وطاعات من جنس تلك الطاعات المختصة بالمكان أو الزمان، فإذا لم يتمكن المسلم أن يعمل بعض الطاعات لأجل اختصاصها بمكان أو

بزمان شرع الله له طاعات من جنسها ونوعها، تعريضاً منه تعالى لعباده على الخير، وأخذ بأيديهم إلى المسارعة في أبواب البر، ودعا الناس جميعاً إلى ذلك قرينةً إليه، وزلفى عنده، كما قال تعالى: **{سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}**، وقال تعالى: **{فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا}**.

فيوم عرفة يجتمع فيه حجاج بيت الله الحرام، من كل بلد وقطر، على اختلاف مراتبهم وأجناسهم وألوانهم وأصواتهم، في مكان واحد، بلباس واحد، في وقت واحد، فمن لم يحج شرع الله له صلاة عيد الأضحى ليجتمع المسلمون في كل بلد، وشرع له أيضاً صيام عرفة، وشرع الله للحجاج الهدي والأضاحي التي تراق دماؤها في منى، وشرع الله لمن لم يحج الأضحية في بلده مقابل ذلك، وشرع الله للحاج التلبية أثناء إحرامه، والتكبير في أيام الحج، وكذلك شرع الله للمقيم الذكر المطلق لله من دخول أول العشر مقابل التلبية، وشرع له التكبير كالحاج، فأبواب الخير كثيرة، وطرق البر واسعة، فليستكثر المسلم من أنواع الطاعات في حياته الدنيوية لحياته الأخروية.

أيها المؤمنون: للعيد معان سامية، وفوائد عظيمة، ومقاصد كريمة، وحكماً جليلة: فمن معاني العيد وحكمه ومنافعه العظمى: تجسيد معنى التوحيد والإخلاص لله تعالى في العبادة بجميع أنواعها، كما يقول الله تعالى **{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ}**، فالصلاة والصيام والذبح والدعاء والخوف والرجاء والإستعاذة والإستعانة، والتوكل والرغبة والرغبة والنذر وغيرها تحتاج إلى أصل تنبني عليه، هو التوحيد والإخلاص كما يقول تعالى معلماً وموضحاً **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ}**، وكما يقول تعالى **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}**، فلا توجه عبادتك أياً كان نوعها، ولا تقصد بفعالها إلا الله تعالى، ولا تطلب ثواباً إلا من الله،

بعيداً عن الرياء والسمعة، بعيداً عن محبة المدح والثناء من الآخرين، بعيداً عن قصد التوصل بها إلى نيل الدنيا وشهواتها، أو أي غرض من أغراضها وأعراضها.

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، والله الحمد، والحمد لله

على ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسُبْحانَ الله بُكْرَةً وَأَصِيلاً

أيها المؤمنون: من معاني العيد وحكمه وغاياته العظمى:

إعلانُ تعاليم الإسلام وأحكامه، ونشرها في الأوقات والأماكن التي يجتمع فيها المسلمون، وتبليغها على رؤوس الأشهاد، ليأخذها الخلف عن السلف، ويتلقاها الأواخر عن الأوائل، والأصاغر عن الأكابر، حتى تكون تلك التشريعات ثابتة ومستقرة في النفوس، علماً وعملاً وتطبيقاً، لدى الكبير والصغير، والذكر والأنثى، فلا تُنسى أو تتغير على مر العصور والدهور.

فنحن نرى الآباء يهتمون بأبناءهم في الأعياد من أجل توفير محتاجتهم لباساً وأكلاً وشرباً، وهذا أمر مطلوب يؤجر عليه المرء المسلم، ولكن هناك تقصير من الناحية الدينية فقد لا يسأل الأب ولده عن حضور صلاة العيد، ولا يهتم بشأنه في ذلك، فعلى الآباء أن يغرسوا في نفوس أبناءهم أهمية العيد من الناحية الدينية، لكي تنبت شجرة الإسلام في قلوبهم مستحكمة الأصول، قوية الجذور.

فعندما يجتمع المسلمون في البلد ويشهدوا صلاة العيد في جمع كبير، وعدد كثير، متعرضين لنفحات الله وهباته، مظهرين لفقيرهم وحاجتهم إلى رهم، منضوين تحت لواء الرحمة التي تغشى المصلين، منتظرين بركة إجابة الدعاء الذي ينزل على اجتماعهم المبارك، عارفين أن من حكم ومقاصد ذلك الاجتماع العظيم هو تهذيب النفوس، وتطهير القلوب من دواعي الفرقة والاختلاف، مستشعرين معنى الأخوة الإيمانية التي تبدأ بالسلام والمصافحة لأخيك المسلم، وتنتهي بالدفاع والمنافحة عن

أخيكم المسلم، فحينئذ يتحقق بين المؤمنين جميعاً تطبيق قول الله عز وجل: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}، فإذا لم يشعر المسلم بهذه الأمور الهامة فليفتش عن نفسه، ليكتشف الخلل الكامن في ذاته، لأن العيد يتمثل في التعاطف والتراحم والتواد والعطاء، والتآخي والبذل والسخاء.

فاجعلوا أيام العيد أيام اتفاق لا اختلاف، أيام اجتماع لا افتراق، أيام سعادة لا شقاء، أيام محبة وصفاء، لا بغضٍ وشحناء، تصافوا وتساخروا، تسالموا وتصافحوا، توادوا وتحابوا، تعاوّنوا على البرّ والتّقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، صلّوا أرحامكم، وارحموا أيتامكم، وتحلّقوا بأخلاق دينكم، فلنتفقد يتامانا وقرآنا وغرباءنا وضعفاءنا ومساكيننا في هذا اليوم العظيم المشهود.

جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وغفر لنا ولكم سالف ذنوبنا فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إنه على كل شيء قدير.

بسم الله الرحمن الرحيم {إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتى}، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم وللمؤمنين والمؤمنات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر،

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، والله الحمد، والحمد لله

على ما هदानا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسُبْحان الله بُكْرَةً وَأَصِيلاً
الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله من
حال أهل النار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أهلُ الثناء والمجد، أحقُّ ما قال العبد،
وكلنا لله عبد، فهو مستحق للشكر والحمد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد، وصفيه وخليله المسدد، وخيرته من خلقه
من الأقرب والأبعد، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله أهل الشرف والسؤدد.

أما بعد: أيها المؤمنون: إنكم في يوم عظيم، هو يوم الحج الأكبر، وهو آخر
الأيام المعلومات، وأول الأيام المعدودات، فهو من أيام الله تعالى المفضلة، كما ورد
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أفضل الأيام عند الله يوم النحر ويوم القَرِّ))
فيوم النحر هو يوم العيد، ويوم القَرِّ هو الثاني من النحر، وهو الذي يقر الحجاج فيه
في منى، في هذا اليوم العظيم يجتمع الحجاج ليؤدوا فيه معظم مناسك الحج،
ويتقربون إلى الله فيه بالعج والشج.

ففي هذه الساعات المباركة من هذا اليوم العظيم ينفر الحجاج من مزدلفة إلى منى
لرمي جمرة العقبة، وكأنهم بعد ما تعرفوا إلى الله بعرفة، يعلنون عداوتهم للشيطان
ومحاربتهم له برميهم الجمار، فمعرفة لهم لربهم تستلزم عداوتهم لعدوه وعدوهم، فما

للشيطان عليهم من سبيل، قد ملأت المعرفة أفئدتهم، وجلت محبة الله غشاوةً أبصارهم، قد تسلحوا بالعلم، وتزودوا بالتقوى، فأصبح كيدُ الشيطان ضعيفاً. وما أن ينتهي الحجاج من الرمي حتى يتجهوا إلى نحر الأضاحي والهدي، وكأنهم بتضحيتهم يُعَبِّرون عن ذبح شهواتهم ونحرها، والتضحية بكل غالٍ ورخيص، ونفس ونفيس في سبيل مرضاة رب العالمين، ويحيون بهذه الأضاحي سنةً أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وفيه يخلقون رؤوسهم، ويطوفون بالبيت العتيق.

في هذا اليوم يشترك الحجاج وغيرُ الحجاج في إراقة دماء الهدي والأضاحي تقريباً إلى الله عز وجل، قال الله تعالى: {وَالْبَدَنَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرٍ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَيَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ}، فهذا اليوم العظيم وأيام النحر لها سنن وآداب وأعمال، وقد شرعت فيها أحكام:

فمن سننها وآدابها: لبسُ الزينة، وإظهارُ نعم الله تعالى، والترفيهُ على النفس والأهل، والتوسعة في النفقة، وصلة الأرحام والأقارب والمؤمنين، وأن لا يأكل شيئاً من طلوع فجره حتى يعود بعد صلاة العيد، وأن يكون أكله من أضحيته، وأن يكثر من الدعاء والتضرع والإبتهال، وهو مع أيام التشريق الثلاثة الآتية بعده أيامُ أُكُلٍ وشُرْبٍ يحرم فيها الصيام، ويسنُّ فيها الترفيه والتوسعة على الأهل والأولاد.

ومن سننها وآدابها: ما شرعه الله تعالى فيه وحبَّب، وحث عليه ورغب، من إراقة دماء الأضاحي، وهي سنة مشروعة، حث عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فعن ابن عباسٍ، قال: قام رسول الله فينا خطيباً يوم عرفة فحمد الله وأثنى عليه وذكر ما شاء الله ثم قال: ((اشتروا الأضاحي واستعظموها واستسمنوها، ولا تماكسوا في أثمانها، فإنما تخرجونها لله، ولا يذبحن أضاحيكم إلا طاهرٌ، ولا يأكل منها إلا مؤمنٌ،

واخضروها إذا دُبِحَتْ، فإنه يغفر لكم عند أول قطرةٍ من دمها، فإنكم ترون دمها يسيل في الأرض وهو في حرزٍ حتى يوفي صاحبها الأجر يوم القيامة، بكل قطرةٍ من دمها، وبكل بضعَةٍ من لحمها، وبكل شعرةٍ من شعرها، وبكل صوفةٍ من صوفها، حتى عظامها وقرونها، ترونها حسناتٍ يوم القيامة في كتبكم، وثقلاً في موازينكم)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحبَّ إلى الله عز وجل من هراقة دم، وإنه ليأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها، وإن الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفساً)).
وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((ما عمل ابن آدم في يوم أضحى أفضل من دم يُهراق إلا أن يكون رحماً يوصل))، وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ((يا فاطمة، قومي إلى أضحيتك، فاشهديها، فإن لك بكل قطرةٍ من دمها ما سلف من ذنوبك)) قالت: يا رسول الله، ألسنا خاصة أهل البيت، أو لنا وللمسلمين؟ قال: ((بل لنا وللمسلمين)).

أيها المؤمنون: استسمنوا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم، فإنها سنة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم، وتجزئ الشاة عن الرجل وأهل بيته في الأضحية، ولا يجزئ من الضأن إلا ما تم له حول كامل أو أكثر، وعلى قول بعض الأئمة عليهم السلام يجزي ما تم له ستة أشهر، ولا يجزي من المعز إلا الشني وهو ما تم له سنتان، وقيل: يجزي ما تم له سنة، ولا يجزيء من الإبل والبقر إلا ما تم له سنتان، ويستحب أن يتخير أضحية سمينة، صحيحة سليمة من العيوب، كما روي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُضْحِيَ، اشْتَرَى كَبْشَيْنِ عَظِيمَيْنِ سَمِينَيْنِ أَقْرَبَيْنِ أَمْلَحَيْنِ مَوْجُوعَيْنِ - أي مخصيين -.

ولا تجزي في الأضحية المريضة البَيِّنُ مرضُها، ولا العوراءُ ولا العمياءُ، ولا العجفاءُ، وهي الهزيلة، ولا العرجاءُ البَيِّنُ عرجُها، ولا العضباءُ التي ذهب أكثر أذنها أو قرنها، وتجزى الجماء والخصي.

والسنة نحر الإبل قائمة معقولة اليد اليسرى، والبقر والغنم تذبح على جنبها الأيسر متوجهة إلى القبلة، ويقول الذابح عند الذبح: (بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ هَذَا مِنْكَ وَلَكَ)، ويستحب أن يأكل ويدخر ثلثاً، ويُهدي ثلثاً، ويتصدق بثلث، لقوله تعالى {فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَنَعَ وَالْمُعْتَرَ}، ولا يُعطى الجزاءُ أجرته منها، ولا من جلودها.

ووقت الذبح بعد صلاة العيد بالإتفاق بين المسلمين، ويمتد إلى غروب شمس اليوم الثاني عشر، وهو الثاني من أيام التشريق، ويكره الذبح في الليل.

ولا يجزي ذبح الأضحية قبل صلاة العيد، فمن ذبح قبل الصلاة فهي شاة لحم، وليست بأضحية، فلا يؤجر عليها أجر الأضحية وثوابها، ولم يصب السنة النبوية، كما روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((مَنْ كَانَ ذَبَحَ أُضْحِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ أَوْ نُصَلِّيَ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى، وَمَنْ كَانَ لَمْ يَذْبَحْ فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ)).

واعلموا أيها المؤمنون: أن الأيام الثلاثة المقابلة تسمى أيام التشريق وهي: (اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر)، وكانت تسمى في الجاهلية بأسماء: فيوم النحر يسمى الفداء، والثاني: القَرُّ أي يقرون فيه بمنى، والثالث الصرم، أي ينصرم الناس وهو يوم النفر. ومن أحكامها الشرعية التي تخصها:

أنه يحرم صومها كما يحرم صوم يوم العيد، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى عن صوم أيام التشريق وقال: هي أيامٌ أَكَلٍ وَشَرِبٍ وَتَبَعْلٍ وَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى. وفيها أيضاً التكبير الذي قد بدأ فجر يوم عرفة وينتهي آخر أيام التشريق، فأكثروا فيها من ذكر الله تعالى بالتكبير والتهليل والتحميد في أدبار الصلوات وفي جميع الأوقات.

أيها المؤمنون: إن حُبستم هذا العام عن الحج فارجعوا إلى جهاد النفوس فإنه الجهاد الأكبر، وإن أُحصرتُم عن أداء التُّسك فأريقوا على تخلفكم من الدموع ما تيسر؛ فإن إراقة الدماء لازمة للمُحصر، ولا تحلقوا رؤوس دينكم وإيمانكم بالذنوب والخلاف؛ فإنّ الذنوب والخلاف حالقةٌ للدين وليست حالقةٌ للشعر، وقوموا باستشعار الرجاء والخوف مقامَ القيام بأرجاء المشعرِ والخيف، ومن كان قد بُعد عن حَرَمِ الله فلا يُبَعِد نفسه عن رحمة الله بالدخول في حُرْمِ الله، ومن فاتته في هذا العام القيام بعرفة، فَلْيُتِمَّ لله بحقه الذي قد عَرَفَهُ، ومن عجز عن المبيت بمزدلفة، فَلْيُبَيِّتْ عزمه على طاعة الله لينال الرُّزْقَةَ، ومن لم يقدر على نحر هديه بمنى فليذبح هواه وشهوته هُنا، ومن لم يصل إلى البيت لأنه منه بعيد، فليقصد رب البيت فإنه أقرب إلى من دعاه ورجاه من جبل الوريد، وإن لم نصل إلى ديار الحجيج فلنصل أعمالنا بأعمالهم، وإن لم نقدر على الوقوف بعرفات فلنستدرك من أعمالنا ما قد فات، وإن لم نصل إلى الحَجْرِ فَلْيَلِنْ مِنَّا كُلُّ قَلْبٍ قَاسٍ كَالْحَجْرِ، وإن لم نقدر على ليلة جمع ومنى، فلنقم بمأتم الأسف هاهنا، أين المنيبُ المجدُّ السابق؟ هذا يومٌ يُرْحَمُ فيه الصادق، مَنْ لم يُنَبِّ في هذا اليوم فمتى ينيب، ومن لم يُجِبْ في هذا الوقت فمتى يجيب، ومن لم يتعرف بالتوبة فهو غريب، وأسفا لعبد لم يُعَفِّرْ له اليومَ ما جنى، حضر موسمُ الأفراح فما حصَّل خيراً ولا اقتنى، ودخل بساتين الفلاح فما مد كفاً وما جنى، ليت شعري من منا خاب ومن منا نال المنى؟.

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، والله الحمد، والحمد لله على ما هدانا

وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسُبْحَانَ الله بكرةً وأصيلاً

بعض الصيغ للدعاء في آخر الخطبة الثانية

الصيغة الأولى

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه أمراً لازماً، فقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، اللهم فاجعل أكمل صلواتك وأشرفها، وأجمل تحياتك وألطفها، وأشمّل بركاتك وأعطفها، وأجلّ هباتك وأرفأها على محمد خاتم النبيين، وأكرم المرسلين، المبعوث في الأميين.

اللهم آتِه الوسيلة والشرف والفضيلة والمنزلة الكريمة، اللهم اجعل محمداً يوم القيامة أعظم الخلائق كلّهم شرفاً، وأقرهم منك مجلساً، وأوجههم عندك جاهاً، وأفضلهم عندك منزلةً ونصيياً، اللهم اعطه أشرف المقام، وحباء السلام، وشفاعة الإسلام، اللهم ألحقنا به غير خزايا ولا ناكثين ولا نادمين ولا مبدلين.

وعلى أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، بنص أبيها سيد الأنبياء. وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين،

وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنّا معهم بمنّك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دينانا التي فيه معاشنا، وأخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح من في صلاحه صلاح للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحّد صفوفنا.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير.

اللهم اسقنا الغيث وآمنا من الخوف، غيث الإيمان في قلوبنا، وغيث الرحمة المنزلة في أوطاننا، غيث النعمة والرحمة، لا غيث السخط والنقمة.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، وأوليائهم المخلصين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المؤذنين والمفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

فاذكروا الله يذكركم، فإنه ذاكر لمن ذكره، واسألوا الله من رحمته وفضله فإنه لا يخيب عليه داع دعاه، {ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار} وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

الصيغة الثانية

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة بقده، وثالث بكم أيها المؤمنون من جنه وإنسه، فقال عز من قائل عليمًا {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

اللهم اجعل أكمل صلواتك وأشرفها، وأجمل تحياتك وألطفها، وأشمل بركاتك وأعطفها، وأجل هباتك وأرفقها على محمد خاتم النبيين، وأكرم المرسلين، المبعوث في الأميين، المنتجب للميثاق، المصطفى للرسالة، المطهر من كل آفة، البريء من كل عيب، الموصل إلى النجاة، المرتجى للشفاعة، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، اللهم شرف بنيانه، وعظم برهانه، وأفلج حجته، وارفع درجته، وأضئ نوره، وبيض وجهه، واعطه الفضل والفضيلة، والدرجة الرفيعة والوسيلة، وابعثه مقاماً يغبطه به الأولون والآخرون.

وصل وسلم على أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، حامل لواء الحمد، وصاحب حوض الكوثر، أسد الله في الأرض على من جحد وكفر وأعرض، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة نساء العالمين، بنص أبيها سيد المرسلين.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى إمام الحاضر والباد، فاتح أبواب الجهاد والإجتهد، إمام الزيدية إلى يوم التناد، الشهيد السعيد، الولي بن الولي، زيد بن علي.

وعلى إمام اليمين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصددين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، الذين جعلهم الله دعائم الدين، وأركان التوحيد واليقين، والحجة على الخلق أجمعين، واستخلفهم في الأرض، واصطفاهم لعباده، وارتضاهم لدينه، وخصهم بمعرفته، وندبهم بحكمته، وألبسهم من نوره، ورفعهم في ملكوته، وحفهم بملائكته، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيه معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح من في صلاحه صلاح للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحّد صفوفنا، اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
عباد الله: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

الصيغة الثالثة

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، وثلت بكم أيها المؤمنون من جنه وإنسه، فقال عز من قائل عَلِيمًا { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }.

اللهم اجعل أفضل صلواتك، وأسمى بركاتك، وأزكى تحياتك، وأشرف كراماتك، وأجل هباتك على محمد أمينك على وحيك، ونجيك من خلقك، وصفيك من عبادك، إمام الرحمة، وقائد الخير، ومفتاح البركة، كما نصب لأمرك نفسه، وعرض للمكروه بدنه، وكاشف في الدعاء إليك حامته، وحارب في رضاك أسرته، وقطع في إحياء دينك رحمه، وأقصى الأذنين على جحودهم، وقرب الأqvين على استجابتهم لك، ووالى فيك الأبعدين، وعادى فيك الأقربين، وأدأب نفسه في تبليغ رسالتك، وأتعبها بالدعاء إلى ملتك، وشغلها بالنصح لأهل دعوتك، وهاجر إلى بلاد الغربة ومحل النأي عن موطن رحله، وموضع رحله، ومسقط رأسه، ومأنس نفسه، إرادة منه لإعزاز دينك، واستنصاراً على أهل الكفر بك، اللهم فارفعه بما كدح فيك إلى الدرجة العليا من جنتك، حتى لا يساوى في منزلة، ولا يكافأ في مرتبة، ولا يوازيه لديك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وعرفه في أهله الطاهرين وأمته المؤمنين من حسن الشفاعة أجل ما وعدته، يا نافذ العدة يا وافي القول، يا مبدل السيئات بأضعافها من الحسنات، إنك ذو الفضل العظيم.

وصل وسلم على أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، حامل لواء الحمد، وصاحب حوض الكوثر، أسد الله في الأرض على من جحد وكفر وأعرض، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة نساء العالمين، بنص أبيها سيد المرسلين.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى إمام الحاضر والباد، فاتح أبواب الجهاد والإجتهد، إمام الزيدية إلى يوم التناد، الشهيد السعيد، الولي بن الولي، زيد بن علي.

وعلى إمام اليمينيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصددين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، الذين جعلهم الله دعائم الدين، وأركان التوحيد واليقين، والحجة على الخلق أجمعين، واستخلفهم في الأرض، واصطفاهم لعباده، وارتضاهم لدينه، وخصهم بمعرفته، وندبهم بحكمته، وألبسهم من نوره، ورفعهم في ملكوته، وحفهم بملائكته، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دينانا التي فيه معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح من في صلاحه صلاح للإسلام، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهلكه، واجمع كلمتنا، ووحّد صفوفنا، اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل

لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

عباد الله: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

فاذكروا الله الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

مَا تَصْنَعُونَ

تم القسم الأول من الخطب

والحمد لله على كل حال

الفهرس

- المقدمة..... ٧
- الأول: الخطب المتعلقة بشهر محرم..... ١١
- ١- في أول السنة الهجرية حول محاسبة النفس الخطبة الأولى..... ١٣
- الخطبة الثانية..... ١٧
- ٢- حول بداية السنة الهجرية الخطبة الأولى..... ٢٣
- الخطبة الثانية..... ٢٧
- ٣- حول شخصية الإمام الحسين عليه السلام الخطبة الأولى..... ٣١
- الخطبة الثانية..... ٣٥
- ٤- حول مقتل الحسين الخطبة الأولى..... ٣٨
- الخطبة الثانية..... ٤٠
- ٥- حول مقتل الحسين وأهل بيته وأصحابه الخطبة الأولى..... ٤٤
- الخطبة الثانية..... ٤٨
- ٦- همجية الطغاة وأحداثهم بعد كربلاء الخطبة الأولى..... ٥٣
- الخطبة الثانية انتقام الله من قتلة الحسين..... ٥٩
- ٧- حول انتساب الزيدية إلى الإمام زيد الخطبة الأولى..... ٦٣
- الخطبة الثانية..... ٦٧
- ٨- حول مولد الإمام زيد ونشأته الخطبة الأولى..... ٧٠
- الخطبة الثانية..... ٧٤
- ٩- شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام الخطبة الأولى..... ٧٧
- الخطبة الثانية..... ٨٠
- ١٠- حول منهجية الإمام زيد في قيامه وجهاده الخطبة الأولى..... ٨٢

- الخطبة الثانية ٨٨
- ١١- حول غزوة خيبر والدروس منها الخطبة الأولى ٩٢
- الخطبة الثانية ١٠٠
- الثاني: الخطب المتعلقة بصفر وبيع الأول ١٠٣
- ١٢- دخول الإمام الهادي عليه السلام إلى اليمن الخطبة الأولى ١٠٥
- الخطبة الثانية ١١٠
- الثالث: الخطب المتعلقة بشهر ربيع الأول ١١٥
- ١٣- خطبة حول المولد النبوي وواجبنا نحوه ١١٧
- الخطبة الأولى ١١٧
- الخطبة الثانية ١٢١
- ١٤- حول مولد النبي صلى الله عليه وآله الخطبة الأولى ١٢٥
- الخطبة الثانية ١٣٠
- ١٥- حول البعثة النبوية الخطبة الأولى ١٣٢
- الخطبة الثانية ١٣٨
- ١٦- بعض صفات النبي صلى الله عليه وآله ومعجزاته الخطبة الأولى ١٤١
- الخطبة الثانية ١٤٦
- ١٧- حول وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخطبة الأولى ١٥١
- الخطبة الثانية ١٥٦
- الرابع: الخطب المتعلقة بشهر جماد الآخرة ١٦٣
- ١٨- حول فاطمة الزهراء عليها السلام الخطبة الأولى ١٦٥
- الخطبة الثانية ١٦٨
- الخامس: الخطب المتعلقة بشهر رجب ١٧٣
- ١٩- حول فضائل شهر رجب الخطبة الأولى ١٧٥

- الخطبة الثانية ١٨٠
- ٢٠- خطبة أخرى حول فضائل شهر رجب الخطبة الأولى ١٨٣
- الخطبة الثانية ١٨٨
- ٢١- أول جمعة من رجب إسلام أهل اليمن الخطبة الأولى ١٩١
- الخطبة الثانية ١٩٦
- ٢٢- مولد أمير المؤمنين (ع) ودعاء الإستفتاح الخطبة الأولى ١٩٩
- الخطبة الثانية ٢٠٥
- ٢٣- حول حادثة الإسراء والمعراج الخطبة الأولى ٢٠٨
- الخطبة الثانية ٢١٣
- السادس: الخطب المتعلقة بشهر شعبان ٢١٧
- ٢٤- في فضل شعبان والإعداد لرمضان الخطبة الأولى ٢١٩
- الخطبة الثانية ٢٢٣
- ٢٥- في فضل ليلة النصف من شعبان والعبادة فيها ٢٢٦
- الخطبة الأولى ٢٢٦
- الخطبة الثانية ٢٣١
- السابع: الخطب المتعلقة بشهر رمضان ٢٣٣
- ٢٦- في استقبال شهر رمضان الخطبة الأولى ٢٣٥
- الخطبة الثانية ٢٤٠
- ٢٧- كيف نقضي شهر رمضان (مختصرة) الخطبة الأولى ٢٤٢
- الخطبة الثانية ٢٤٦
- ٢٨- خطبة أخرى حول استغلال شهر رمضان الخطبة الأولى ٢٤٩
- الخطبة الثانية في فضل الصدقة ٢٥٤
- ٢٩- في فضل القرآن وتلاوته الخطبة الأولى ٢٥٨

- الخطبة الثانية ٢٦٣
- ٣٠- في العشر الأواخر واعتكافها وليلة القدر الخطبة الأولى ٢٦٦
- الخطبة الثانية ٢٦٩
- ٣١- في التوبة ووداع رمضان الخطبة الأولى ٢٧٢
- الخطبة الثانية ٢٧٦
- ٣٢- حول مواضيع متعددة في شهر رمضان الخطبة الأولى ٢٧٩
- الخطبة الثانية ٢٨٣
- ٣٣- حول مواضيع متعددة هامة في شهر رمضان الخطبة الأولى ٢٨٨
- الخطبة الثانية ٢٩٣
- ٣٤- حول غزوة بدر الكبرى وفتح مكة الخطبة الأولى ٢٩٨
- الخطبة الثانية ٣٠٤
- ٣٥- في آخر جمعة من شهر رمضان الخطبة الأولى ٣٠٨
- الخطبة الثانية ٣١٣
- الثامن: الخطب المتعلقة بشهر شوال ٣١٧
- ٣٦- غزوة أحد والدروس المأخوذة منها الخطبة الأولى ٣١٩
- الخطبة الثانية ٣٢٤
- ٣٧- غزوة الخندق (الأحزاب) الخطبة الأولى ٣٢٨
- الخطبة الثانية ٣٣٣
- التاسع: الخطب المتعلقة بشهر الحجة ٣٣٧
- ٣٨- حول فضل الحج وثوابه الخطبة الأولى ٣٣٩
- الخطبة الثانية ٣٤٤
- ٣٩- الحكمة من شرعية الحج الخطبة الأولى ٣٤٧
- الخطبة الثانية ٣٥١

- ٤٠ - خطبة في العشر من ذي الحجة الخطبة الأولى ٣٥٥
- الخطبة الثانية ٣٦٠
- ٤١ - في فضل عرفة والأيام التي تليه الخطبة الأولى ٣٦٢
- الخطبة الثانية (إذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة) ٣٦٨
- ٤٢ - إمامة علي عليه السلام وخلافته من البعثة إلى حجة الوداع الخطبة الأولى ٣٧١
- الخطبة الثانية ٣٧٦
- ٤٣ - مباهلة النبي صلى الله عليه وآله مع نصارى نجران الخطبة الأولى .. ٣٨٠
- الخطبة الثانية ٣٨٤
- الثامن: الخطب المتعلقة بالأعياد ٣٨٩
- ٤٤ - خطبة عيد الفطر المبارك لعام ١٤٣٥ هـ الخطبة الأولى ٣٩١
- الخطبة الثانية ٣٩٥
- ٤٥ - خطبة عيد الأضحى لعام ١٤٣٧ هـ الخطبة الأولى ٤٠١
- الخطبة الثانية ٤٠٧
- ٤٦ - خطبة عيد الأضحى المبارك لعام ١٤٣٨ هـ الخطبة الأولى ٤١٣
- الخطبة الثانية ٤١٨
- بعض الصيغ للدعاء في آخر الخطبة الثانية ٤٢٣
- الصيغة الأولى ٤٢٥
- الصيغة الثانية ٤٢٧
- الصيغة الثالثة ٤٢٩
- الفهرس ٤٣٣